لعنة كيوبيد

لعنة كيوبيد

أحمد الطوبجي

تصميم الغلاف: أحمد مصطفى

رقم الإيداع: 2019/7483

I.S.B.N:978-977-6640-53-5

الطبعة الثانية 2019م

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطربة، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر: د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

أحمد الطوبجي

لعنة كيوبيد

رواية

إهداء

أمي وأبي إليكما أولا أهدي تلك السطور التي لا أعلم وأنا أكتبها الآن إن كانت سترى النور أم لا، ولكني أهديكما نجاحها "إن حدث"، لقد كنت دوماً سبباً في شقائكما، وعلى النقيض كنتما دائماً سبباً في هنائي.

أبي وأمي.. أكتب تلك السطور بنية أن أرى بعينيكم نظرة الوالدين الفخورين بولدهما من جديد..

أدامكما الله نعمة لا تزول.

أهدي تلك السطور لكل شخصية حقيقية أوحت إلى عقلي بتفصيلة صغيرة كانت أو كبيرة لتخرج حبراً على ورق "تلك الرواية".

فضلت أن أختم قائمة الإهداءات بمن أدعي وأتشرف أني أنتمي إليهم دائما..

"محبي القراءة والموهوبين بالكتابة"

أعلم أن بداخل ذلك المجتمع الغارق بمستنقع الجهل، توجد بلورات من ماس إن طفت على السطح ستضيء العالم أجمع وليس فقط بلدنا الغالي. لذا أهديكم تلك السطور وأعلموا حال قراءتها أن أحدكم قد وصل إلى مبتغاه.

لذلك أدعو كل من يرى بنفسه الموهبة الكافية، ولكنه أضاع الطريق أن يتواصل معي حالاً على حسابي الشخصي والوحيد على فيس بوك..

https://www.facebook.com/ahmed.topgy.5

شكر واجب..

أتوجه بالشكر إلى دار زين للنشر والتوزيع والكاتبة آية سعدالدين مدير عام الدار.

كما أدين بالفضل والشكر إلى الروائي الكبير

أ/ محمد صادق

على تواضعه الكبير وإرشاده لأحد قرائه وعلى تلك الدقائق الثمينة التي أهداها إلي ليوجهني إلى الطريق الصحيح وإن كنت أشك في أنه بالكاد سوف يتذكرها.

أتوجه بكامل الشكر إلى من كانا بمثابة الداعم الأول والأخير لي على دعمهما الدائم ووقتهما الثمين والملاحظات والأفكار التي أضفت على ذلك العمل الكثير والكثير.. لقد كنتما معي منذ كانت تلك السطور مجرد فكرة حتى رأت النور..

شكراً.. عبدالرحمن عليوة، عمرو بركات

فلولاكما ما كُتب سطر بتلك الرواية.

أدين بالشكر إلى أول من أعطوني آراءهم بتلك الرواية وأضاعوا جزءاً وإن كان صغيراً من يومهم في قراءة ذلك العمل قبل نشره.

شيماء رمضان، دعاء البدري، عبدالله منير، سلوى الحمامي وأحمد مجاهد.

أما أنتم يا أسرتي الصغيرة فالسطور لا توفيكم أدنى حقوقكم

فشكراً جزيلاً لكم وأدامكم الله سنداً ودعماً لا ينتهي..

ياسمين الطوبجي، فيروز الطوبجي، شريف دهب، محمد حلمي، فاطمة البدري.

***

شكر واجب إلى محمد جمال البواب

على المراجعة النفسية للراوية

***

شكراً لكل من اقتطع جزءاً من قوت يومه لشراء تلك الصفحات.

***

مقدمة تاريخية

بالرغم أن تلك الرواية ليست تاريخية ولا أسطورية بالمرة، ولكن فكرتها قد اشتعلت برأسي إثر قراءة إحدى الأساطير اليونانية القديمة.. وشعرت أن من الضروري تعريف القراء بذلك.

قد يتساءل البعض ما هي لعنة كيوبيد؟؟! هل هي لعنة ابتكرها الكاتب أم حقيقة عزف عليها كلماته؟

كيوبيد هو إله الحب الأسطوري في الحضارة الإغريقية وبالتأكيد لعنة كيوبيد ليست من ابتكاري الشخصي ولكن يوجد لها أساس مشابه في الأساطير الإغريقية وعالم الآلهة الإغريقية.

وتعتمد على قاعدتين سندا إلى قصتين أسطوريتين:-

أولهما.. قصة كيوبيد وأبوللو:-

في عالم الآلهة الإغريقية كما ذكرتها الأساطير نجد دائماً أن الحياة كانت مليئة بالصراعات والفوضى.

أبوللو وهو من ضمن الآلهة المميزة حيث كان إله الشِعر والشباب وكان محارباً بارعاً، ولكن أبوللو اعتاد السخرية دائماً من كيوبيد الصغير إله الحب كلما رآه يلهو بقوسه وسهمه واصفاً إياه أن سهمه لا يصلح إلا للهو فقط وليس للحرب بينما هو أبوللو المحارب البارع الذي يصيب بسهامه من يريد.

فما كان من كيوبيد إلا أنه رد قائلاً:-

ربما كانت سهامك قادرة على إصابة أي شخص، ولكن سهامي ستصيبك أنت.

فأراد كيوبيد أن يُري أبوللو الوجه الآخر له ويذيقه انتقامه.

فالتقط كيوبيد قوسه وسهمه وكان لديه نوعين من الأسهم، سهام ذهبية اللون مسئولة عن إلقاء الحب بالقلوب وسهام أخرى رصاصية اللون مسئولة عن إلقاء الكراهية.

وصوب كيوبيد سهمه الذهبي باتجاه أبوللو أثناء مرور الحورية دافني ابنة النهر بينوس المقدس، وفي المقابل صوب سهمه الرصاصي باتجاه دافني.

صار أبوللو مجنوناً بدافني مما سبب له الشقاء بمطاردتها بكل مكان وهي التي كانت تكرهه وتتهرب منه دائماً.

وبعد حزن وشقاء كبير لأبوللو نمى إلى علمه إن كل ما يمر به حدث بسبب الإله كيوبيد الذي لعنه بحب دافني، فذهب له معتذراً معترفاً بقدراته فشفاه كيوبيد من حب دافني وهو يقول:

"لكيوبيد سهم يحمي المحبين.. لا يعذبهم"

ولذا عزيزي القارئ فلم أجد فرقاً بين سخرية أبوللو من قدرات كيوبيد وسخريتنا نحن من الحب واستهانتنا به، فإذا كان الشقاء جزاء أبوللو فبالطبع سيكون جزاء المستهترين بالحب ليتذوقوا بملعقة الفقد.

أما عن فك تلك اللعنة والحصول على العفو من كيوبيد فلم تأت أيضاً من الفراغ بل أتت من القاعدة الثانية والأسطورة الثانية

كيوبيد وسايكي:

يُحكى أن الإله كيوبيد كانت لديه زوجة يعشقها حد الجنون وتعشقه حد الموت اسمها سايكي.

وذات يوم عصت سايكي أوامر الإله كيوبيد فهجرها وطردها من قصره لتجد نفسها بالمدينة وقد فقدت زوجها.

لم تجد سايكي أي طريقة للعثور على كيوبيد سوى أن تذهب إلى والدته فينوس التي كانت تكره سايكي من البداية فكانت فرصة فينوس، فقد وضعت لها شروطاً تعجيزية بمهام مستحيلة شرطاً للصلح مع كيوبيد.

كانت أولى تلك المهام أن تفصل وعاء كبير جداً من الفواكه كل نوع على حدة لتطعم حمامها في وقت قصير جداً، ولكن رأتها نملة وأشفقت عليها فسخرت جيش النمل كله لمساعدتها فأتمت المهمة الأولى.

أما ثاني المهام فكانت الذهاب إلى واد تجتمع فيه الخرفان ذهبية الصوف وهي خرفان قوية جداً يعني الاقتراب منها الموت ولم تأمرها فقط بالذهاب بل أمرتها أن تحضر جزءاً من هذا الصوف وهو الذي يعتبر انتحاراً في حد ذاته، ولكن حب كيوبيد كان قد أعماها وقررت الذهاب.

وهي في الطريق أشفق عليها نهر فأستوقفها ونصحها بأن تنتظر حتى الظلام فتمر الخرفان بالغابة وتتعلق أجزاء من صوفها بالأغصان والأشجار فتذهب وتجمعها، فأتمت ثاني المهام.

فلما رأت فينوس نجاتها قررت أن ترسلها إلى عين الجحيم فقد أمرتها في ثالث المهام أن تحضر جُرة من ماء جار بشلال يستحيل على بشري الهبوط إليه دون الهلاك خصوصاً وأن حارسه تنين مفترس عملاق، ولكن سايكي لم تكترث وفي طريقها أشفق عليها صقر وأتم لها المهمة.

أما آخر المهام التي راهنت فيها فينوس على الفضول الأنثوي داخل سايكي، فقد أمرتها أن تهبط إلى العالم السفلي وتحضر صندوقا به مادة تُزيد الجمال وتجعله خالدا شرط ألا تفتحه.

وبالفعل ذهبت سايكي إلى العالم السفلي ومرت بمغامرات صعبة جداً ساعدتها فيها جميع الكائنات بعدما أشفقوا وأعجبوا بحبها الشديد لكيوبيد، حتى وصلت إلى ذلك الصندوق وبعدما غادرت العالم السفلي،

استيقظت المرأة التي بداخلها فقررت أن تفتح الصندوق لتأخذ منه بعض الجمال، ولكن ما كان بالصندوق هو غبار شيطاني سبب لها نوما فوريا أو ما يشبه بغيبوبة.

عندما رأت الطبيعة الأم ما يحدث ذهبت لإخبار الإله كيوبيد عن كل تلك المعاناة التي مرت بها سايكي، فأفصح عنها وأزال النوم عن عينيها وعاشا معاً في سعادة وأنجبا فتاة أطلقا عليها اسم "فولابتوس".

ومن هذه القصة نستنتج أن العالم بأسره يساعد المُحب وأن الطبيعة ستساند من رأت في قلبه ذرة من الإخلاص في الحب.

وكمثل تلك الأسطورتين، وددت أن أصور الوجه الآخر من كيوبيد الذي طالما عرفناه بوجهه الطفولي يلهو بسهمه وقوسه.

وددت أن أوضح أن للحب وجهاً آخر ولكيوبيد وجهاً آخر لا يقسو علينا بل يضعنا أمام جريمتنا في حق من أحبونا ويترك لنا القرار، فإما أن نكفر عن ذنوبنا وإلا سيكون كيوبيد على الموعد.

سيذيقنا مثل ما أذقناهم من الأسى لتدور الكئوس ونشرب بملعقة الفقد.

يا أيتها القلوب الظالمة قد آن الأوان أن نرى ما اقترفت قلوبنا، آن الأوان أن نصلح ما أفسدناه.. وهنا ستساندنا الطبيعة كما ساندت سايكي

وسيعفو عنا كيوبيد.

أحمد الطوبجي

مقدمة

كم منا قد رأى أو سمع عن محاكمة تضع الجاني أمام إثمه الذي اقترفه وتأتي للمجني عليه بحقه؟!

ولكن ما الذي يحدث بمحاكمة من نوع آخر. محاكمة للقلوب تُحاكم فيها على خداعها وإهمالها في حق من أحبونا. وقاضيها ليس ببشر يخطئ ويصيب بل هو كيوبيد إله الحب.. أما عن قانونها فهو قانون الحب الأبدي.

أحمد يوسف رشدان، شاب في منتصف العشرينيات استيقظ من نومه ذات صباح ليجد كل ما بناه قد هُدم، والأدهى من ذلك أنه قد وجد فأس الهدم بيده تتساقط منها قطرات الدمار.

ومن ثمَ.. فُتحت الجلسة

تراقصت أمامه الذكريات واختلط الظالم بالمظلوم، مضى بطريقه لاستعادة ما أضاع ليواجه إثمه ويكفر عن ذنبه.

نعم فتلك اللعنة هي المحاكمة الوحيدة التي يُناقش فيها الحُكم عقب تنفيذه، هل سبق ودمرت حياتك بأفعالك، بل وهجرت أعز الناس إلى قلبك وبمحض إرادتك؟!

قبل أن تستيقظ كمن خدرته الحياة ليجد ذلك الجحيم من حوله؟!

إن كانت الإجابة "نعم"

فلتنضم إلي عزيزي القارئ لنواجه ما اقترفناه بأيدينا وألقى بنا إلى بئر الوحدة والعزلة، أو بالأحرى... فلتنضم إلى أحمد رشدان في رحلته مع لعنة كيوبيد.

أحمد الطوبجي.

"تعلموا أن تثقوا بأحلامكم، دققوا بتفاصيلها، وتذكروا.. الأحلام ما هي إلا رسائل غير مرئية يبعثها القدر إلينا"

الفصل الأول

1يناير 2017

جرعة اشتياق

الساعة الـ 12:00 صباحاً

ليلة عيد ليلة عيد الليلة ليلة عيد

يتعالى صوت فيروز الملائكي من كل جانب مرحاً وفرحاً بقدوم عام جديد أملاً في أن يكون أفضل من سابقه.. تعم المدينة بالفرح والنشاط وتعج بالسرور، ومن بين طياتها جلسا يتبادلان سجائر الحشيش على أنغام وصوت أُم كلثوم منعزلين تمام الانعزال عن العالم الخارجي بمحل يخص أحدهما.. صمت يخيم على أجواء ذلك المحل إلا من صوت أم كلثوم فات الميعاد.

وما أن أنهت أم كلثوم غناءها حتى بدأ أحمد الكلام وهو يقاوم أثر ما يجري بعقله من مُخدر قائلاً:

أحمد:- فكرك فات الميعاد فعلاً يا فاروق؟؟!

فاروق:- يعني هي الست هتكذب؟؟ لو ما فتش هتقولك فات ليه يعني؟

أحمد:- مين يقول ياد يا فاروق أني أبقى ماليش لا صحاب ولا حد في حياتي غيرك أنت يا أقرع.

فاروق:- متشكرين يا عم بس خد بالك يا أقرع دي مش شتيمة دي صفة من صفات العباقرة.

أحمد:- عارف السنين اللي فاتت كانت حياتي مختلفة، كان في حياتي ناس كتير أوي.. ولاء وحسام.. ده غير أميرة طبعاً طب أنت عارف أنا الساعة 12 بالظبط السنة اللي فاتت كنت فين؟!!

فاروق:- مش عارف؟؟ أنا عن نفسي كنت بحشش برده.

أحمد:- أنا بقى كنت واقف تحت بيت أميرة وجايبلها بابا نويل كبير.. وشجرة كريسماس.

فاروق:- ما هو عشانك أهبل.. بذمتك في راجل عاقل يمشي في نص الشارع ماسك دبدوب وشجرة؟

أحمد:- لا يا فالح العقل أن إحنا نفضل نشرب لحد الصبح مش كده؟؟؟ بقولك إيه ولع وأنت ساكت .

وبالفعل استجاب فاروق لطلب أحمد بكل رحب ولا يزال الوقت يمر ولا يزالا بمكانهما، صمت ابتلع بطياته الكثير من الكلام حتى التهم الصمت أجواء المدينة الصاخبة وأعلنت عقارب الساعة عن الرابعة والنصف فجراً فقاما دون أي سابق كلام أو اتفاق واستعدا للذهاب، أغلقا أبواب المحل سوياً وذهب كل منهما بطريقه بالكاد يدرك خطواته حتى وصل أحمد إلى منزله الذي يلتهمه السكون إلا من دعوات والدته في سجودها وصلواتها المعتادة في ذلك التوقيت.

مضى إلى غرفته مرتكزاً على أنامل قدمه أملاً في ألا تشعر والدته بقدومه وبالتالي يتحول هدوء الساعات الأولى من الصباح لشجار متكرر، وصل إلى غرفته وتمدد على سريره.

ها هو الهجوم المعتاد في مثل هذه الساعات، تلك الساعات اللعينة التي يلتهمها السكون من حولنا وعلى النقيض تشتعل بأفئدتنا الحروب، الغريب في الأمر ذلك الهجوم الذي شنته أميرة على قلبه في تلك اللحظة... لا يعلم لمَ يشتم رائحة عطرها؟ بل يشعر بيدها تلمس يديه وللمرة الأولى

منذ شهرين يشعر أنه يفتقدها، قد يكون ذلك بالتأكيد إثر ما يجري بعقله من مُخدر.. وقد تكون إحدى هجمات الشوق الليلية المفاجئة التي سيتخلص منها فور استسلام أجفانه للنوم.. بالطبع سيتخلص منها.. فقد ترك أميرة بمحض إرادته، والأقرب إلى الصواب أن ما يشعر به الآن بالتأكيد نتيجة وحدته المحيطة به وحياته الفارغة من جميع نواحيها، في جميع الأحوال سيتخلص من ذلك الشعور فور خلوده للنوم الذي بدأ الآن في إعلاء رايته والتهام جسده وعقله المنهك.

***

محكمة..

فتح عينيه عند سماعه هذه الكلمة تصفع بأذنيه.. مستطلعاً ما حوله.. ليجد نفسه بالمجهول.. الظلام يسيطر على كل شيء، اللَهم إلا ضوء باهت يُمكنه من تمييز وجود بعض الحاضرين في مدرجات تشبه مدرجات المحاضرات العلمية نوعاً ما، ولكنه فشل في تمييز ملامح الحاضرين.. قبل أن يميز وجوده داخل قفص حديدي.. لا يعلم أين هو.. ومن هؤلاء الجالسين؟؟!!. ألم يكن بغرفته منذ قليل؟!.. كيف انتقل إلى ذلك المكان الغريب؟؟ ولماذا يُحبس بداخل ذلك القفص الحديدي..؟؟!.. ثم هب واقفاً من على دكته المستلقي عليها محدثاً نفسه:

. أين أنا بحق رب السموات؟؟

نعم.. إنها قاعة للمحاكمة.. ولكن هذا يعني أنه هو المتهم؟؟..

هل فقدت الذاكرة؟؟.. وجه ذلك السؤال إلى نفسه

فهرول بعقله يسترجع ذكرياته... اسمه وسنه وتاريخ مولده.. يراجع ماضيه.. محاولاً تذكر كل شيء حتى الأمس وسهرته مع فاروق.. إذن فما الذي حدث؟؟!! الغموض يسيطر على أرجاء جسده لدرجة أنه لم ينطق بكلمة واحدة واكتفى بالنظر مذعوراً إلى كل الجالسين في مدرجات القاعة.. الذين اختبأت ملامحهم تحت جناح الظلام المخيم على المكان.

ثم يدخل رجل ليجلس على منصة كانت مطموسة ببقع الظلام، ولكن بمجرد جلوسه سُلطت هالة من الضوء الباهت عليه ليبدو واضحاً..

رجل ذو هيبة.. رغم نحافة بنيانه وشعره المُصفر الكثيف الذي أضفي عليه غرابة وغموضا يبدو عليه أنه تخطى حاجز الخمسين بسنوات قليلة وهو ما ظهر على لون شعره الرمادي.. ولحيته الكثيفة وملامحه الحادة التي تتخللها بعض التجاعيد.

عيناه تخترق الظلام بسهامها الموجهة إليه.. ولكن لم الظلام يغطي كل شيء إلا منصته؟.. حاول أن يصرخ كثيراً.

ولكن لسانه وكأنه مكبل عاجز عن الكلام.. عاجز حتى عن إصدار أي صوت.. ازدادت ضربات قلبه حتى بدت مسموعة بوضوح ويحدث نفسه مرة أخرى.. أين أنا؟.. أنقذني يا الله..

الرعب يسيطر على وجدانه والغموض يسود الموقف.. حاول مجدداً أن يتحدث أن يصرخ ولكن فمه يرفض أن يُفتح.. هيأ له عقله للحظات أنه قد فارق الحياة وأنه الآن يحاسب بالآخرة؟؟!!...

فُتحت الجلسة..

إنه نفس الصوت الذي أيقظه منذ قليل يقاطع تفكيره بذلك النداء ويستكمل:

(... القضية رقم 1 لسنة 2017 قتل مع العمد..)

هنا تحدث رئيس المحكمة بصوته الأجش:

نادي على المتهم..

عاد الصوت الذي حاول جاهداً أن يعرف مصدره وسط غيابة الظلام ولكن دون جدوى ليتحدث:

(المتهم.. أحمد يوسف إبراهيم رشدان)

ما هذا.. إنه اسمه.. قتل عمد؟؟!! كيف حدث ذلك حاول أن يصرخ بكل هذه الكلمات ولكن مازال لسانه رافض الحديث فظل يحاول أن يصرخ ويصرخ بكل جهد.. ويضرب بكفه على فمه وخديه كأنه يستجديهم بالحديث.

ما قتلتش حد.. ماقتلتش حد..

بهذه الكلمات انفكت عقدة لسانه وصار يصيح بها مراراً وتكراراً وكأنه يتأكد من أن لسانه أخيراً قد سمح له بالصراخ فأخذ بالحديث

-.. حد يقولي أنا فين.. وإيه اللي جبني هنا انتو عايزين مني إيه؟؟ أنا ما قتلتش حد والله العظيم ما أعرف حاجة.

انهالت دموعه وازدادت نبضاته وهو يكرر ذلك الكلام مرارا حتى قاطعه رئيس المحكمة قائلاً:

(عارف... عارف إنك مش فاهم حاجة.. إهدى.. إهدى خالص وأنت تفهم كل حاجة.. قولي.. أنت أحمد يوسف إبراهيم؟؟..)

امتثل لقراره محاولاً تمالك نفسه واكتفى بهزات متقطعة من رأسه متعجباً كيف يراه رئيس المحكمة خلال ذلك الظلام الكاحل قبل أن يستدرك رئيس المحكمة حديثه قائلاً:

(.. طيب يا أحمد أنت متهم بقتل المجني عليها وردة مع سبق الإصرار والترصد.. وسبق الإصرار والترصد ده لأنك حاولت تقتلها مرتين قبل كده وفشلت..)

هنا توقف عن الانفعال وامتنع نبضه عن اللهث..

لقد تعرف طوال عمره البالغ خمسة وعشرين ربيعاً على العديد من الفتيات ودخل في العديد من العلاقات ولكنه لم يقابل فتاة تحمل ذلك الاسم ولو على سبيل الصدفة، وكأن ذلك الأمر قد أعطى إشارة لعقله فعاد للعمل مرة أخرى فصاح وقد بدا على صوته الذعر:

-.. وردة ميين ؟؟؟ أنا معرفش حد بالاسم ده.. وبعدين أنت عايزني يعني أقتنع أن دي محكمة وأن دي جلسة صح؟؟.. طيب ليه النور.. مطفي وأنت بس اللي ظاهر؟؟!!.. طب فين المحامي بتاعي؟؟.. فين مدعي النيابة.. بلاش كل ده.. إزاي محدش حقق معايا.. وفين أهلي.. خرجوني من هنا.. أنا هقلب الدنيا.. ومش هسيبكو.. أنا كنت نايم في بيتنا وصحيت لقيت نفسي هنا.. ده خطف.. أنت فاهم يعني إيه؟؟!.-

نظر له رئيس المحكمة وعلى شفتيه ابتسامة حمقاء تحمل من الاستهزاء بكلامه ما تحمله وكأنه لم يستمع لأي حرف مما نطق به أحمد.. ظلت ابتسامة القاضي تتسع وتتسع ويرتفع صوتها أكثر وأكثر وفجأة اختفت الأضواء الباهتة ليخيم الظلام الدامس على الأجواء مع تكرار صدى ضحكات القاضي العالية الممزوجة بصوت أنفاس أحمد اللاهثة رعباً.. فتراجع قليلاً ليجلس على الدكة التي استيقظ فوقها.

وفجأة تسطع الأضواء وتختفي أصوات الضحكات وقبل أن يستطيع أحمد تمييز ملامح تلك القاعة إذ به يجد القاضي واقفاً بجواره داخل القفص وملامح الغضب تعتصر وجهه حتى دمت عيناه ممسكاً بيده اليمنى بوردة حمراء اللون تتساقط منها الدماء، يقف بجواره أحد الأشخاص جاثياً على ركبتيه وقد غُطيت رأسه تماماً وكُبلت يداه خلف ظهره مرتدياً زياً قديماً أشبه بال "شوال" غطى ملامح جسده بالكامل.

ثوان مرت قبل أن تبدأ أنفاس رئيس المحكمة بالزئير كأنه وحش مفترس يستعد للهجوم على ضحيته قبل أن يضع يده اليسرى على رأس ذلك الشخص المُغطاة رأسه وينزع عنه ذلك الغطاء ليفاجئ أحمد بما ظهر تحت ذلك الغطاء فقد رأى أميرة وقد كُمم فمها وانهمرت الدموع حتى غطت وجنتيها تسجدي أحمد بعينيها أن ينقذها مما هي فيه.

ولكن كان فعل رئيس المحكمة أسرع من أي فعل فأشهر سيفاً ضخماً مهدداً بذبح أميرة.

ليصرخ أحمد هلعاً:- لا بلاش أميرة.. أنت عايز إيه وأنا أعمله مستعد لأي حاجة، بس سيبها بلاش أميرة أبوس إيدك.

سالت الدموع من عيني أحمد وعاد القاضي لضحكاته العالية المتتالية وقد رمى بالوردة التي أمسكها بيده اليمنى أرضاً واقترب من أحمد تدريجياً وشرار الغضب المبهم يتطاير من عينيه.. ليمسك بشعر أحمد الكثيف ويجذبه إليه محركاً أحمد من مكانه مقترباً من أميرة.

حاول أحمد التخلص من تلك القبضة التي أمسكت برأسه ولكن دون جدوى، حتى أحس أن شعره صار على وشك الاقتلاع والألم يزداد.. شعر أحمد بكهرباء غريبة تسري بجسده فجثا على ركبتيه أملا في التخلص من قبضته ولكن دون جدوى ولا يزال الألم يزداد فإذا برئيس المحكمة يحول ناظريه إلى أميرة المكبلة شاهراً سيفه رافعاً إياه إلى أعلى وسط صراخ أحمد ورجائه بألا يمسها بسوء قبل أن يصرخ رئيس المحكمة وهو يستعد بإنزال سيفه على عنق أميرة.

"أنا كيوبيد.. هقتلك أميرة.. زي ما أنت قتلت وردة"

فتح عينيه صارخاً باسم أميرة ليجد نفسه على سريره لاهثة أنفاسه والذعر والرعب يمتلكان فؤاده تجول بعينيه داخل غرفته وكأنه يتأكد من انتهاء ذلك الكابوس المفزع.. يتنفس بصعوبة ولا زال أثر الألم جراء إمساك ذلك الوحش المخيف الذي أتاه بحلمه برأسه باقياً.

ظل ماكثاً للحظات على سريره يحاول تنظيم أنفاسه التي كانت أوشكت على الاختناق وعقله غير مشغول بالمرة سوى بأميرة وما رأى بحلمه.

اليوم هو أول أيام السنة الجديدة 2017 وقد مر شهران بالتمام والكمال على قرار الفراق الذي اتخذاه أحمد وأميرة.. ولكن ذلك الحلم جعله يشعر بالقلق عليها.. فهب واقفاً ممسكاً بهاتفه.. أحضر رقمها يوجه

أصابعه لتضغط على زر الاتصال ثم يتراجع ويسحب يده.. عقله وقلبه وكل جوارحه تقوده إلى الاتصال بها، ولكن ما يعوقه هو ردة فعلها.. لقد كانت فترة عصيبة مرا بها كلاهما... لا يعلم كيف حدث ذلك.. وهي حب عمره وثمرة فؤاده.. لقد ظلا يحلمان ما يقارب العام بيوم خطبتهما.. حتى تحقق منذ سنة ونصف تقريباً.. وظنا أن الحياة قد أتت بما يرغبان.. ولكن تأتي رياح الفراق بما لا تشتهي الأفئدة.

فقد تغير أحمد كثيراً... ودون أي أسباب مفهومة.. والحق أنها قد تحملت من أجله الكثير والكثير.. أملاً في أن يعود إلى رشده.. ولكن على النقيض تماماً فقد تمادى وتمادى حتى يئست أميرة وتشققت حبال الود بينهما وكان الفراق هو الحل.

انتهى كل ذلك فقط منذ شهرين وبالتحديد في الأول من نوفمبر الماضي ولا يضمن ردة فعلها على اتصاله بعد شهرين من الجفاء خصوصاً وأنه لم يحاول حتى لو محاولة كاذبة بالتمسك بها، بل على النقيض تماماً وكأن قرار الفراق هو ما أراده.

تراجع عن قراره السابق بالاتصال بها وفتح أحد أدراجه وأخرج منه دبلة خطبتهما.. ناظراً على الكلمات المحفورة عليها

"أميرة.. 2015/8/6"

أعاد الدبلة إلى مكانها.. ثم أخذ علبة سجائره وأشعل سيجارة ليقف أمام المرآة مفكراً فيما رأى في منامه منذ قليل مدققاً بتفاصيل وجهه التي وكأنه يراها للمرة الأولى.

الهالات السوداء تغطي ما تحت عينيه، لحيته الكثيفة المبعثرة تداري ملامحه الباهتة وبشرته الخمرية بمساعدة من شاربه الكثيف الذي تحولت بضع شعيراته إلى اللون البرتقالي نظراً لشراهة تدخينه، وقد استباحت الوحدة والكآبة ملامحه كما استباحت روحه دون أي أسباب واضحة.

ما زال ينظر إلى مرآته مفكراً ولكن ما أذهله هو ما وجده بداخله من حنين وشوق إلى أميرة وللمرة الأولى منذ شهور عدة.

فقد بدا وكأن ذلك الكابوس الذي رآه قد حقن فؤاده بجرعة من الاشتياق لتوقظه من حالة اللامبالاة الغريبة التي اكتسبها طيلة الفترة الماضية.. حتى عندما جاءت أميرة في الأول من نوفمبر الماضي وبعد ستة شهور كاملة من معاملته القاسية لها لتخبره بأنها قد سئمت من كل ما يفعل وضاقت بها نفسها من تصرفاته وأنها قد انتوت الرحيل، لم يجد بفؤاده ما يدفعه ليمنعها لم يقدر على قول شيء سوى كلمة واحدة:

"براحتك يا أميرة"

قطع حبل تفكيره وتدقيقه بملامحه أمام المرآة صوت والدته مدام عائشة وهي تدخل غرفته قائلة:-

. خير يعني صاحي بدري على غير عوايدك.. وبرده سجاير عالريق.. يابني طب كنت كل أي لقمة..

نظر أحمد إلى الساعة فوجد عقاربها تقترب من التاسعة صباحا ثم وجه أنظاره الحائرة بسبب ما رأى في منامه الذي لا يزال عالقاً بفكره قائلاً:

- صباح الخير يا أوشا.. عادي صحيت.

لاحظت والدته نظراته الغير مستقرة بالإضافة إلى شحوب وجه الواضح جدا فاقتربت:

عائشة:- مالك يا حبيبي شكلك مغير.. أنت تعبان..؟؟!!

أحمد:- لا يا أمي مفيش حاجة بس مصدع شوية.

عائشة:- طبعا مانت لازم تصدع.. كل يوم سهر لوش الفجر.. وتصحى عالعصر.. يا بني أنا ماليش غيرك من يوم أبوك الله يرحمه ما مات ويمنى

أتجوزت وأنا نفسي أرتاح من نحيتك.. حتى الدكان اللي كان كل دنيتك معنتش مهتم بيه.. ولا ناوي تضيعه زي ما ضيعت أميرة من إيدك يابني حرام عليك أميرة بتحبك وأنت بتحبها واديك شايف من يوم ما سبتو بعض حالك عامل إزاي.

زفر أحمد ضيقا.. فها هي والدته تستعد للحديث المعتاد يومياً والذي ستعبر من خلاله عن ضيقها من تأخره اليومي وستختتمه برجاء أن يحاول إصلاح ما أفسده مع أميرة.. فقاطعها قائلا:

- هابي نيو يير يا أمي.. إحنا لسه عالصبح ولسه ماشربتش القهوة.

عائشة: ماشي يا روح أمك هسكت وهعملك القهوة.. بس ياريت تحلق.. دقنك دي.. عشان موسخاك.. أبقى أسأل على أختك عشان زعلانة منك.

وانصرفت والدته لتتركه واقفاً كما هو أمام المرآة محاولاً أن يزيح عبء ما رأى منذ قليل عن عقله قائلاً بصوت مرتفع كأنه يحدث من يراه بالمرآة أو يقنعه بذلك:

.. ده حلم مجرد حلم وانتهى..

وما هي إلا لحظات حتى عادت والدته وهي تحمل صينية بها الفطور وفنجال القهوة واضعة إياها على مكتبه الخشبي ثم خرجت.. وكالعادة تناول أحمد فنجال القهوة متجاهلاً الفطور وارتشفه مشعلا سيجارة أخرى.. وما أن انتهى منه حتى أعد ملابسه وبدأ في استعداده للخروج من منزله. ركب سيارته متجهاً إلى محله الذي يبعد قرابة العشرين دقيقة عن منزله.. وللأمانة لم يكن بمثابة محل بالنسبة له ولكن كان عالمه الخاص الذي عانى كثيراً من أجل تكوينه.. بعد حوالي الأربعة أعوام من عمله بجانب دراسته بالجامعة وهو محل لبيع (البيبي دول واللانجيري).. وقد نجح في تكوينه منذ قرابة السنتين عقب تخرجه في كلية تجارة.. جامعة

قناة السويس.. بالإسماعيلية منشأه وموطنه والذي أطلق عليه اسم الملكة مستغلاً نصيبه من تركة والده الذي توفى قبل تخرجه بشهور.

تسيطر عليه هجمات الشوق المفاجئة التي ليس لها أي تبرير حتى أنه بعد أن كان بطريقه إلى محله وجد نفسه أمام منزلها دون أي عمد ودون أي تبرير رغم اختلاف الطريقين، أوقف سيارته وظل ينظر إلى شرفتها التي طالما وقف أسفلها تقليداً لأساطير الحب التي تعشقها أميرة.. وما أزاد شوقه أشواقاً تلك الأمطار التي عرفت طريقها للهبوط بكثافة شديدة كأنها أرادت أن تُكمل تلك اللوحة لذكرياته فابتسم متذكراً حب أميرة الشديد للمطر ورفع ناظره عسى أن يراها في شرفتها.

وكأن العقول والقلوب المحبة تلتقي حتى ولو بعد فراق ففي نفس تلك اللحظات كانت أميرة ممسكة بصورة خطبتها إلى أحمد والدموع تغزو عينها.. ثم ابتسمت وهي وتتذكر فرحتها لحظة أن أدخل خاتم الخطوبة بإصبعها.

ملعونة تلك الابتسامة التي تظهر على الشفاه من بين الدموع.. ملعون ذلك الألم الذي يصاحبها ليحتل الصدور.. ملعونة تلك الذاكرة التي لا يحلو لها إلا تذكر ما يبكينا وما يؤلمنا.. ملعون إيها الحب.. كم أبكى من عيونٍ صادقة.. وملعون يا فراق من بعد وعودٍ وذكريات.

اتجهت إلى سريرها وأراحت رأسها على الوسادة لتتذكر المرة الأولى التي التقت بها أحمد.. كانت بخطبة صديقتها وتلاقت أعينهما.. ومن ثَم أتى الإعجاب.. ثم الحديث.. ثم اللقاء.. ثم الحب.. كيف تبخرت تلك الأماني الوردية التي طالما حلما بها، لقد هُدم قصر الحب بفعل فاعل، ولكنها الآن وبعد أكثر من شهرين.. وإن بدت أكثر قدرة على التماسك.. ولكنها تشعر بتلك اللحظة أنه قريب تشعر بأنفاسه.. تستنشق عطره.

ففي نفس اللحظة التي شعرت فيها أميرة بأنه قريب كان أحمد لا يزال واقفا بسيارته تحت بيتها ينظر إلى نافذة غرفتها يحدثها كأنها تسمعه.. ويبكي.. نعم يبكي وبحرقة.. على ما فقد.

أين اختبأت تلك الأشواق طوال ثمانية أشهر؟؟.. لا يعلم.. ولكنه يشعر وكأنه كان مُغيب عن الوعي وكأنه مُخدِر قد تم دسه إلى عروقه.. ثم أفاق على جحيم فراقها.. وكأن ذاكرتهما قد تلاقتا بنفس الموقف.

فتذكر أحمد يوم لقائه الأول بأميرة.. كأنه البارحة.. يتذكرها بفستانها الذهبي.. وعينيها اللامعتين.. تلك الفتاة ذات البشرة الخمرية والعيون البنية والخصر الممتلئ نسبياً المليء بالمنحنيات الأنثوية التي يخضع أمامها كل ما هو مُذكر.. تلك الخمرية التي دخلت لتوها إلى ذلك الحفل لتختطف أنظاره وعقله وقلبه.. تلك الابتسامة النقية التي ارتسمت على شفتيها.. انطلاقها وتمايلها بخصرها على بعض الأغاني.. حتى التفتت له أميرة أخيراً وتنبهت أن أحدهم كالعادة يرمي بشباك عيونه عليها.. ولكنها لم تستطع تجاهله كعادتها، بل ولا شعورياً بادلته تلك النظرات وذلك الاهتمام، ظلا طوال الحفل أعينهما تتلاقى.. حتى حانت لحظة الحديث بينهما عندما خرج أحمد من القاعة ليشعل سيجارة ليجدها واقفة تتحدث بهاتفها.. لا يعلم ما الذي جعله يقترب منها ويقف خلفها دون وعي.. يستنشق عطرها الذي طالما أشاد به وأحبه بعد ذلك.. يركز في نبرة صوتها الملائكية وهي تتحدث إلى والدتها قائلة:

- حاضر يا ماما مش هتأخر والله وبعدين متقلقيش البنات صحابي معايا..

أغلقت الهاتف واستدارت لتجد ذلك الشاب بشعره الكثيف وحلته السوداء.. ولحيته المهذبة ينظر لها بعينتين بنيتين ويدقق بتفاصيلها كأنه رسام يدرس تفاصيل لوحته التي طالما أراد أن يرسمها. نظرت له بعينيها اللامعتين.. ها هو ذاك الشاب الذي ظلت عيناها تخاطب عينيه طوال

ساعات الحفل السابقة.. حتى أنها قد ذُهلت من نفسها عندما اختفى لبعض اللحظات فأخذت تبحث بعينيها بين الحضور بلهفة.. حتى وجدته بين المدعوين ولا يزال ينظر إليها.. وكأنهما بالحفل وحدهما.. ها هو يقف أمامها صامتاً للحظات قبل أن يمد يده بالسلام ويقول:

. أنا أحمد ابن خالة العريس.. أنتي من قرايب العروسة صح؟؟.

. آه... العروسة صاحبتي معايا في الكلية.

رد أحمد والسعادة تغمر وجهه:

. ده معناه أن أنتي في تجارة زيي.. أنا في بكالوريوس السنة دي

وأنتي في سنة تانية زي العروسة صح؟؟.. اسمك إيه؟؟-

اكتفت بهزة من رأسها خجلاً وهي تردد اسمها بصوت خافت فلقد كان الخجل في تلك اللحظة قد تمكن من وجنتيها فحولهما إلى الاحمرار مضيفاً عليها مزيداً من الجمال والتألق قبل أن تستأذنه وتدخل إلى القاعة.. ليتبعها أحمد إلى الداخل وتستمر النظرات.. حتى انتهى الحفل.

دقائق من الشوق والحنين مرت ولا يزال واقفاً تحت نافذتها يبكيها ويتحسر على أطلال هواها.

أما أميرة فقد تنقلت بذاكرتها إلى اليوم التالي عقب لقائهما الأول.. عندما كانت تجلس بمدرجات كلية تجارة تنتظر دخول المُحاضر ليلقي بمحاضرته فإذا بأحمد يدخل إلى القاعة باحثاً بعينيه عنها بين الحاضرين.. حتى وجدها.. فصعد درجات القاعة حتى وصل إلى مكان جلوسها وأعينهما مثبتة على بعضهما البعض وما أن وصل إليها حتى قال بلهجة مازحة:

. بصي بقى أنا عرفت أنك قافلة على نفسك ومالكيش كلام مع حد هستناكي بعد المحاضرة وزي بعضه هعزمك على عصير إنشالله ما حد حوش.. بس أقسم بالله لو ما جيتي لعملك فضيحة في الدفعة.

أنهى حديثه ثم استدار وهبط الدرجات بطريقه للخروج من القاعة ناظراً إليها ليجدها تنظر إليه بمزيج من الذهول والسعادة إلى أن خرج من القاعة.

لا تعلم ما الذي جذبها إليه.. ولا تدري كيف قبلت دعوته.. كم من دعاوي تلقتها ممزوجة بكلام الغزل ولكنها حتى لم تكلف نفسها بالرفض أو التفكير ولكنها أكتفت فقط بالتجاهل، فلم هذه المرة تجد فؤادها يلبي النداء؟ انتهت المحاضرة.. وخرجت من القاعة إلى ساحة الكلية باحثة بعينيها عن ذلك الفتى الذي اختطف فؤادها وعقلها، حتى وجدته جالساً على إحدى المقاعد ولكنه لم يكن بمفرده.. كانت جالسة بجواره إحدى الفتيات التي بدت من جلستها أن علاقتها وطيدة جداً به.. هذا ما يمكن لأي من الذكور استنتاجه، أما الإناث فلديهم قوانينهم العقلية النابعة من أحاسيسهم.. فمنذ النظرة الأولى لتلك الفتاة أحست أميرة بنيران الغيرة تلتهم فؤادها.. ولكن لمَ تشعر بالغيرة وعلى من؟

على شخصٍ منذ أقل من يوم لم تكن حتى لتنظر إليه.. فأدارت وجها واستمرت في السير.. قبل أن يراها أحمد.. ليعدو وراءها حتى وصل إليها ليدور ذلك الحوار بينهما:

أحمد:- رايحة فين.. مش قايلك مستنيكي؟؟

أميرة:. مفيش قولت أسيبك براحتك مع الناس اللي معاك.

ليضحك أحمد سعادةً بردها الذي ينم عن غيرة قبل أن يقول:

. على فكرة اللي معايا دي ولاء ومعايا في الدفعة.. صاحبتي وزي أختي.. إحنا صحاب بقالنا 6 سنين.. ومفيش حاجة بنا غير صحوبية وأخوة.

أميرة :. على فكرة أنا مسألتكش دي مين.. دي حياتك وأنت حر.

أحمد:. بطلي بواخة بقى.. بقولك أختي.. وتعالي نعد نشرب حاجة.

وبالفعل استجابت أميرة إلى رغبة أحمد وجلست معه ليتجاذبا أطراف الحديث.. وتبدأ قصة الحب التي توجت بخطبتهما بعد ما يزيد من العام بقليل، مرا خلال تلك الفترة بعديد من التحديات والمواقف.. التي أثبت كل منهما خلالها تمسكه بالآخر.. وخصوصا عندما تقدم أحمد لخطبتها وكان جواب والدها الرفض.. فقد تمسكت بأحمد إلى حد الاستعداد للموت في سبيله.. إلى أن وافق والدها.

ذكريات تعصف بعقله وقلبه أراد لو أن تصعد عيناه إلى شرفتها ليلقي بناظريه عليها عشماً في أن يهدأ قلبه ويكف عقله عن التفكير وتطمئن روحه قبل أن يدير محرك سيارته ويذهب بطريقه.

أما أميرة فقد التقطت ألبوم الصور التي تجمعها بأحمد من أحد أدراجها وفتحته على صورة جمعتهما بعيد مولده قبل الماضي قبل خطبتهما بحوالي شهرين بكافيتريا cassmento التي اعتاد أحمد الجلوس بها والتي احتوت على معظم ذكرياتهما معاً قبل أن تنظر إلى ظهر الصورة لترى بضع كلمات قد دونتها سراً على ظهر الصورة كما اعتادت لتقرأ ما كتب عليها:

"النهارده 6/2 عيد ميلاد حبيبي طبعاً هو يوم مميز أوي بس مش عشان عيد ميلاده وبس لا عشان ده آخر عيد ميلاد ليه وأنا مش خطيبته مش بس كده.. من النهارده مفيش ولاء ☺ ☺♥ ".

وصل إلى محله الواقع بشارع السلطان حسين وهو الشارع المعروف جدا بمدينة الإسماعيلية الساحرة والأكثر رواجا بها..

دخل إلى محله وبدأ نشاطه اليومي كالعادة بتنظيف آثار سهرة البارحة مع فاروق ثم جلس على المكتب وفتح أحد الأدراج ليخرج منها ورقة من السولفان مطبقة بعناية شديدة يفتحها ويخرج منها مكعب صغير بني اللون من مخدر الحشيش الذي طالما اعتاد على شربه منذ مراهقته قبل أن يقلع عنه تنفيذاً لطلب أميرة، ولكن كان أيضا من ضمن

تغيراته أن يعود إليه وبشراهة.. بدأ في إعداد 3 سجائر من الحشيش انتهى من ذلك ثم وضع اثنتين منهن بنفس الدرج وأشعل الثالثة ثم نزل بجسده على كرسيه الجلدي ليريح عنقه ناظرا إلى سقف المحل المغطى بالمرايات ليرى نفسه من كل اتجاه، انتهى منها ومازال جالسا نفس جلسته.. مرت حوالي الساعة والنصف ولا يزال شارداً حتى اهتز هاتفه المُعد دائما على وضع الصامت أخرجه من جيب معطفه الأسود ليجد صديقه فاروق يتصل به امسك بهاتفه ورد ليأتيه صوت فاروق الآتي من طيات النوم قائلاً:

- إيه يا رشدان أنا لسه صاحي أهو.. أظبط نفسي وأعدي عليك في البيت زي كل يوم؟

أحمد:- إيه يا فاروق.. لا يابني أنا في المحل وصاحي من بدري.

فاروق:- إيه ده؟؟!! هو الحشيش اللي شربناه إمبارح مأثر للدرجة دي.. ولا أنا سامع كويس؟.. لا ده أنا هلبس وأجيلك بقى.

ظل أحمد كما هو ناظراً إلى سقف محله المغطى بالمرايات ليرى نفسه من كل اتجاه مقاوماً لهجوم النعاس الذي تغلب عليه أخيراً.

لازم أقتلها زي ما أنت قتلت وردة..

انتفض جسده عند سماعه لتلك الكلمات ليجد نفسه بالظلام جالساً على نفس الدكة بقفصه الحديدي ولكنه هذه المرة مكبل الأيدي.. ظلام دامس وصمت مخيف سيطرا على الموقف ومازال جالساً على دكته يحاول التخلص من قيوده قبل أن يشعر بخطى أحدهم تقترب حاول أن يخترق الظلام بأسهم عينيه ولكن دون جدوى.. ثم ينمو إلى أذنه صوت بكاء من أنثى تنادي باسمه.

صوت يعرفه تمام المعرفة.. أنها أميرة تستنجد به.. حاول جاهداً أن يتخلص من قيوده صارخاً:

أميرة.. أنتي فين يا أميرة..

لحظات مرت قبل أن يسطع ضوء خافت عن يمينه ليرى رئيس المحكمة ممسكاً بشعر أميرة مشهراً سيفه مستعداً لذبحها ودموعها تنهمر مستنجدة بأحمد الذي حاول بكل قوته أن يتخلص من قيوده وهو يصرخ قائلاً:

. سيبها.. هي مالهاش ذنب

كيوبيد:- ووردة كان ذنبها إيه؟؟!! ذنبها إيه تدبحها؟؟

حاول مستجدياً بكل وسيلة وكل حيلة أن يثني كيوبيد عن فعلته ولكن دون جدوى.. فقد رفع سيفه إلى أعلى هابطاً به على عنقها وهو ينظر إلى أحمد صارخا

(أنا كيوبيد.. هقتل أميرة زي ما أنت قتلت وردة)

استيقظ أحمد من غفوته السريعة لاهث الأنفس يتصبب عرقاً رغم برودة الجو بأول أيام السنة نظر إلى ساعته والرعب لا يزال مسيطراً عليه وبالطبع لم يستطع مقاومة عقله الذي أصر على التفكير.

(من هي وردة التي تطاردني؟؟ وما علاقة أميرة بها؟؟)

قطع تساؤل عقله وصول فاروق ذلك الصديق حديث العهد الذي لم يمر على صداقته بأحمد إلا ستة شهور ولكنه أصبح صديقه الوحيد أو بالأحرى مؤنسه الوحيد خصوصاً بعد فراق أحمد وأميرة الذي تم منذ شهرين.. سحب فاروق مقعداً ليجلس بجوار أحمد قبل أن يلاحظ تصببه عرقاً رغم برودة الجو وأنفاسه اللاهثة.

فاروق:- مالك يا رشدان أنت كويس؟؟!

نظر إليه أحمد وهو يحاول ابتلاع ريقه ونسيان كابوسه قبل أن يهز رأسه مجيباً على فاروق قائلاً:

- تمام.. أنا تمام يا فاروق

نظر إليه فاروق وهو غير مقتنع بإجابته فقد بدا على أحمد الإرهاق الشديد لدرجة حولت بشرته القمحية إلى الاصفرار ولكنه لم يعاود السؤال بل اكتفى بإخراج علبة سجائر محملة بسجائر الحشيش. ذلك المخدر الذي كان السبب في توطيد أواصر الصلة مابين أحمد وفاروق حتى أنهما تعودا على شربه علناً وكأنه شيء تقليدي وعادي، أشعل فاروق السيجارة وتناوبا على شربها.

مرت الساعات كما مرت في الثلاثة أشهر السابقة دون أي تغيير سيجارة تتلوها الأخرى يتخللها بعض المزاح أو سماع لأغاني (تناسب المود) على حد تعبير فاروق ثم تناول الطعام والعودة مرة أخرى لما كانا عليه وللأمانة فقد نجح الحشيش بمساعدة من فاروق في التغلب على المزاج السيئ لأحمد بسبب ما رأى في منامه ولكن ذلك ما لم يمنع ملاحظة فاروق للحزن المسيطر على ملامح أحمد حتى في ضحكه.. حتى أتت الساعة الثالثة صباحاً وأنصرف كل منهما بطريقه.. ليصل أحمد إلى بيته رامياً جسده على فراشه حتى دون أن يبدل ثيابه.

الفصل الثاني

2 يناير 2017

هي الوحدة لا مفر..

هو الظلام الذي طارده بأحلامه يوم أمس ظلام دامس وصمت مخيف قبل أن ينمو إلى آذانه صوت أنين أنثوي غير مألوف إلى أذنيه يتصاعد تدريجيا قبل أن يصمت الصوت.

لحظات مرت شعر فيها وكأن نبض قلبه أراد أن يفتح ممراً بصدره ليهرب منه، قبل أن يسطع ضوء باهت متزامن مع بدء القاضي الجالس على منصته المضاءة بتوجيه حديثه إلى أحمد:

"ها قتلتها ليه يا أحمد قتلت وردة ليه ؟؟؟!"

هب أحمد واقفاً ممسكاً قضبان قفصه الحديدي وهو يصرخ:

"وردة مين اللي قتلتها.. أنا مقتلتش حد.. معقول هقتل حد معرفوش.."

ضحكات صارخة ومتكررة يتردد صداها في أذني أحمد كانت إجابة كيوبيد وانطفأت الأنوار جميعها ليسيطر الظلام الخانق على الأجواء ليبدأ صوت الأنين الأنثوي في التصاعد مرة أخرى بشكل مرعب ألقى بخيام الخوف داخل فؤاد أحمد قبل أن تسطع الأضواء كاملةً ليرى ما لم يكن في الحسبان.

فقد رأى أمامه أنثى داخل قفصه الحديدي حيث لا مفر ولا نجاة ولكنها لم تكن أنثى عادية.

فقد كانت ممسوحة الملامح، بدا وجهها كقطعة الخشب الملساء وقد غُرز بقلبها سكيناً قبل أن تبدأ بالأنين من جديد.

مسكينة يا وردة

بذمتك.. الملاك ده يستاهل كده؟؟؟!!

كلمات صدرت من على يساره فأدار عينيه ليجد أمامه كيوبيد بعباءته السوداء ممسكاً بوردته الحمراء النازفة.. قبل أن يستكمل وهو في طريقه بجانبها:

"أنا كيوبيد.. هقتلك أميرة زي ما أنت قتلت المسكينة دي"

قال تلك الكلمات قبل أن يمد يديه إلى رأس أحمد من جديد.. ليلصقه بوجه ذلك الشبح الأنثوي المطعون صارخاً صرخات مملوءة بالغضب:

"بص لوشها كويس يا أحمد يمكن تفتكر وردة.. عارف أن مفيش ملامح بس يمكن تفتكر قلبها.. أنت اتحكم عليك بالفقد والوحدة.. هتعيش وحيد وتموت حزين.. هتعيش وحيد وتموت حزين.."

فتح عينيه ليجد نفسه على سريره ممدا وقطرات العرق الغزير تغطي جسده بالكامل الرعب يسيطر عليه إجمالاً حتى أنه وجد صعوبة كبيرة في أن تصل رئتاه إلى القدر الكافي من الأكسجين، حاول جاهداً تنظيم أنفاسه نظر إلى ساعة الحائط ليجدها تشير إلى الخامسة والنصف صباحاً فذهب ووقف أمام المرآة محدثاً نفسه:

"لا ده حلم.. أنا هخاف من حلم ولا إيه.."

***

شتان الفارق بين ما نظهره وما نضمره، كلنا نملك ذلك الشخص الذي يواري الكثير بطيات ضحكاته، يواري ألماً جماً يأبى أن يظهره علناً،

ولكن في الكالوس وما أن يُسدل الستار يمدد جسده على سريره يبحث عما يلهيه.. عما يخرجه من وحدته وينقذه من عقله وذكرياته.

السادسة صباحاً بمنزل فاروق الشاذلي ذلك الشخص المعروف باستهتاره وضحكاته المستمرة في شتى المواقف.. أراد أن يُصدر ذلك الوجه للعالم فأصبح مثلاً يقتدى به في شرب المخدرات بمختلف أنواعها.

تنظر إلى عينيه قاتمة السواد لتجد فراغا مريبا لا تفهم أسبابه يواريه بضحكة دائمة علها تضيق حلقتي عينيه فتزيد من صعوبة فهمها.

رأسه الصلعاء أشد ما يميزه تشعر وأن ذلك الفراغ ممتد من داخلها لا يمكن لشخص أن يتخيل أن ذلك الفاروق يحمل هماً أو غماً بل يحسده كل من يعرفه على ضحكته الدائمة في أحلك المواقف.

ولكن وراء كل ذلك يتوارى ذلك الرجل البائس الهارب من ماضيه وذكرياته.

يطارده الأرق فيحاربه بسلاحه البني المحروق وحيداً كان أم مع أنيس حتى يضطر بنهاية كل يوم أن يذهب إلى منزله ليجلس وحيداً بين جدرانه وأشباح الماضي, يناجي النوم بلا جدوى، وذات مرة وجد ضالته في تلك الحبوب المنومة التي تقضي على وحش الأرق المخيف، ليغمض عينيه وينتهي بذلك يومه.

ولكن في ذلك اليوم كان مخزونه من تلك الحبوب قد نفد وتأخرت الجرعة الشهرية التي تُقدم إليه من أحد الأصدقاء العاملين بإحدى الصيدليات مقابل زيادة معقولة في أجر الجرعة.

فاستمر في عراكٍ مستمر مع ماضيه، عراك لا فائز فيه أو مهزوم ولكن بالطبع ستكون نتيجته زيادة في سجائر الحشيش التي سيتطلبها عقله لينسى ما مر به بتلك الليلة.

السادسة صباحاً ولا يزال فاروق باحثاً عن نومه دون جدوى يناجي الشمس أن تطل بكامل نورها حتى يستطيع أن يخرج إلى العالم ليبدأ بتمثيل الدور المحبب له لعله ينسى الحقيقة ولو لدقائق.

***

ما زال أحمد يحاول إخراج نفسه من هواجس ذلك الكابوس المرعب بشتى الطرق فأمسك بهاتفه مستطلعاً آخر الأخبار على مواقع التواصل الاجتماعي بالرغم أنه لا يهواها كثيراً على عكس السواد الأعظم من الشباب في مثل عمره.. ولكنها تساعد أحياناً في التخطي والتغلب على بعض الأوقات السيئة الممزوجة بالفراغ الكلي كما هو حاله في هذه اللحظات تماماً.

ثم استلقى على سريره.. يداهمه النوم.. وكلما حاول أن يستسلم امتلأ قلبه بالخوف من أن يواجه ذلك الوحش ويرى ذلك الكابوس مجدداً، نعم يخاف النوم وهو ملاذه الوحيد الآمن من كل الفراغ المحيط به.. يقاوم النوم بكل قوة.. شعر أن قواه ستخور فهب واقفاً وذهب إلى المطبخ ليعد فنجالاً من القهوة السادة التي يعشقها حد الجنون قبل أن يعود إلى غرفته وأشعل سيجارة، ثم توجه إلى النافذة ليراقب التهام الشمس لما تبقى من سواد الليل متأملاً في ذلك المنظر الباعث للأمل في النفوس.

شيء ما شتت انتباهه وجعله يتغاضى عن التركيز في هذه اللوحة الربانية الخلابة.. صوت ما يصل إلى أذنيه، دعا ربه كثيراً ألا يجده كما ظن.. فها هو صوت الأنين الأنثوي لوردة الذي طارده في حلمه يصدر من خلفه، فاستدار بحيطة وحذر شديدين لينظر على سريره ليجد ضيفين غير مرحب بهما على الإطلاق داخل غرفته.

فها هي وردة المطعونة بملامحها الممسوحة ممددة على فراشه تتألم بشدة.. ويجلس بجوارها قاضي المحكمة بردائه وهيئته الشامخة

الغاضبة يداعب خصلات شعر وردة السوداء المنسابة على جبينها برقة تتنافى تماماً مع نظراته الغاضبة إلى أحمد.

لحظات من الدهشة الممزوجة بالرعب مرت على أحمد حاول فيها مراراً إغلاق عينيه وفتحهما عسى أن يجد نفسه مستلقياً على سريره مستيقظاً من كابوسه كما حدث سابقاً، ولكن دون أي جدوى.

كيوبيد:- جميلة أوي وردة عمرها ما كانت تستاهل القتل.

مد كيوبيد يده إلى السكين المغروز بقلب وردة ليسحبه بعنف شديد وسط صراخها ورعب أحمد الشديد.. قبل أن يهب واقفاً ليتجه إلى أحمد.

كيوبيد:- أنت لازم تموت زي ما قتلتها بالظبط.. وبنفس السكينة كمان.

بدأ كيوبيد في الاقتراب من أحمد بخطوات بطيئة مشهراً السكين الذي تتساقط منه دماء وردة.. فتراجع أحمد إلى الخلف بخطوات سريعة مرتعشة حتى اصطدم ظهره بالحائط فعلم أن لا مفر، فأغمض عينيه مستسلماً لكيوبيد الذي اقترب منه حد الأنفاس.

لحظات تمر ينتظر أحمد أحد أمرين لا ثالث لهما.. إما أن يفتح عينيه ليجد نفسه ممدداً على سريره.. أو ألما شديدا وسكين كيوبيد تخترق فؤاده.. ظل مغمضاً عينيه للحظات دون جديد.. قبل أن يفتحهما ببطء وحذر شديدين.. ليجد نفسه بمكانه كما هو ملتصقاً بالحائط ولكنه وحيداً بغرفته.

سقط على ركبتيه لاهثاً يلتقط أنفاسه كمن يصارع الموت متشبثاً بما تبقى من حبال الحياة بداخله.

***

غاب عني فغاب كل شيء من بعده.. ملامحي وضحكي وسكوتي وحتى كلامي أصبح بلا صوت.. صرت ملامح مصمتة دون عقل أو روح، أحيا كقلبٍ دون دقات.. فآااهٍ ثم آااه.

آه من قلبٍ جار على قلبي كمثلِ نيران البراكين لا مفر منها ولا عاصم.. فصرت أتلذذ بلهيبها.

حتى أدمنتها خلاياي... ثم غاب.. والآن أرقد على فراش وحدتي.. أحاول أن أواجه ذلك الواقع المرير دونك أبكي على أنقاض تلك القصور الوهمية التي بنيتها لي.. أبكي وحيدة على أطلال هواك.. أنظر في مرآتي فتلعنك.. فأثور عليها.. لا تلعنيه.. فأتذكر كيف مزقت قلبي.. فألعنك، فيثور عليّ قلبي.. لا تلعنيه.. اليوم سأحيى من دونك وسأنتظر أن تعود راكعاً.. سأنتظر أن أراك ضعيفاً تناجيني.. وسأحاول رغم كل شوقي إليك وضعفي أمامك أن أردك صريع هواي..

2017/1/2

هكذا كتبت أميرة بدفتر خواطرها المليء بمثل هذه الكلمات.. فتارة تكتب ما تحمله الكلمات من شوقٍ مؤجج كالنيران.. وتارة أخرى تتحدى وتقسم ألف قسم أن تنسى قبل أن تعود مرة أخرى وتعلن فشلها في ذلك.. هكذا مضت حياتها طيلة الشهرين الماضيين ما بين دفتر خواطرها وبين الألبوم الذي يضم معظم ذكرياتهما معاً.. ودائماً ما تكون دموعها هي النهاية.

ها هي الآن تجلس تبحث عن النوم كمن يبحث عن كنزه، تترجى عقلها أن يتوقف ولو دقيقة عن التفكير به.. وتستحلف الذكريات بكل غال ونفيس أن تتوقف بقطارها.

***

ساعاتٍ مرت عليه كالدهر يشعر بالرعب يبحث بعينيه بكل ركن في غرفته يشعر كأنه فريسة تشعر باقتراب صيادها، قبل أن يقرر أخيراً النزول من منزله.. توجه إلى إحدى الكافيهات وتناول فنجالاً آخر من القهوة قبل أن يقرر أن يتوجه إلى محله في تمام التاسعة صباحاً،

وبالفعل وصل إلى محله وهو لا يزال حبيساً لحالة الهذيان والشرود المسيطرة عليه بالإضافة إلى الألم الذي يكاد أن يفتك برأسه فتح أبواب محله وسط استغراب المحلات المجاورة نظراً لوصوله مبكراً على عكس ما جرت العادة عليه الشهور السابقة وبدأ نشاط يومه المعتاد والذي دائماً ما يبدأ بجمع ما تبقى من أعقاب السجائر والحشيش المتبقية من يوم أمس ثم جلس على كرسيه الجلدي وأشعل سيجارة من سجائر الحشيش قبل أن يتصل بمؤنس وحدته فاروق الذي لبى نداء صديقه في أقل من نصف ساعة ليصل إلى المحل هو الآخر ليحيى بعضهما الآخر ويجلس فاروق بجواره مشعلاً سيجارة هو الآخر.

لحظات مرت لاحظ فيها فاروق تغيرا كبيرا على ملامح أحمد وتصرفاته لليوم الثاني على التوالي فقد بدا شارداً باهت الملامح الصمت يسيطر عليه

فاروق:. مالك يا رشدان.. مش عاجبني من امبارح.

أحمد:. حلم يا فاروق حلم مش عايز يسيبني من امبارح.

فاروق:. تقريبا الحشيش بتاع امبارح ده بيطلب بأحلام أنا برده حلمت حلم غريب أوي.

هب أحمد واقفا عند سماعه تلك الجملة ليضع يديه على كتف فاروق قائلا بلهجة تنم عن الجدية:

. حلمت بإيه؟؟؟

أخفض فاروق صوته وكأنه سيخبره بسر ثم قال:

. حلمت بكيم كاردشيان عندي في البيت وبنحشش مع بعض ولابسه حتة قميص نوم أحمر من اللي بتبيعهم دول ياد يا أحمد ولسه هقرب منها هوب أختي الله يحرقها طبت علينا وظبطتنا.

أحمد:. إيه يا ابني الحلم المراهق ده.. وإيه الغريب فيه يعني.

رد فاروق ضاحكا: الغريب أن ماليش أخوات.

ضحك أحمد وأشعل سيجارة الحشيش وتناوبا هو وفاروق شربها قبل أن يسأله فاروق:

. أنت بقى حلمت بإيه؟

تراجع أحمد ليريح ظهره بكرسيه قائلا:

. حلمت أن كيوبيد بيقتل أميرة.

نظر إليه فاروق نظرات استفهام واندهاش فهو بالطبع لا يعرف من يكون كيوبيد ففهم أحمد نظراته فاستكمل حديثه:

. كيوبيد ده ياجاهل يبقى إله الحب في الحضارة اليونانية القديمة وكان ليه سهمين سهم رصاصي وسهم ذهبي.. الذهبي بتاع الثواب والرصاصي بتاع العقاب.

نظر إليه فاروق مندهشا ثم قال:

. يخرب عقلك يلا وعرفت الحاجات دي إزاي أنت كنت يوناني قديم ولا إيه.

ابتسم أحمد وهو يتذكر كيف عرف تلك المعلومة ثم قال:

. عرفتها من ناس كانوا صحابي أيام الكلية.

وبدأ أحمد في سرد ذلك اليوم الذي سمع فيه عن كيوبيد لأول مرة.

كان جالسا وقتها في cassmento تلك الكافيتيريا المحببة إلى قلبه ومعه صديقته الوحيدة والمقربة في ذلك الوقت ولاء تلك الفتاة التي تتميز بالبياض الناصع والعيون الزرقاء التي تشبه أمواج البحر كثيراً. قصيرة نوعاً ما ولكنها تحمل من معالم الأنوثة ما يحول الثلج إلى ماء. تمتلك ما يثير أي رجل.. إلا أحمد.. فهو يراها صديقته أو بمعنى أصح كما أعتاد أن يطلق عليها "ولاء دي زي أخويا بالظبط..".

يحتفلان معاً بعيد مولدها العشرين يتذكر التاريخ جيدا 8 مايو 2012.. كان يسرد تلك الذكرى بسعادة كبيرة ويتذكر كيف جلست ولاء مبهورة بما أعده لها من مفاجآت، فالبالونات بكل مكان واسمها مكتوب على إحدى الحوائط بالزينة.. يتذكر كيف هبط من منزله قبل ميعاد التقائهما بساعتين كاملتين ليعد كل ذلك وكعكة الميلاد التي كتب عليها

"كل سنة وأنتي طيبة يا أحلى أخت في الدنيا"

وسعادة ولاء وهي تطفئ الشموع وكذلك أنغام أغنية انزل يا جميل في الساحة.. وكيف جلسا معاً كعادتهما يتجاذبا أطراف الحديث عن كل شيء، وفجأة صمتت ولاء وسلطت انتباهها على التلفاز حيث كانت إحدى قنوات الأفلام تذيع فيلماً ومن ضمنه أغنية لثلاثي أضواء المسرح وهي التي تعشقهم حد الجنون وهم يغنون

(كيوبيد للبيع.. كيوبيد للبيع..)

ورأسها تتمايل مع أنغام الأغنية بانسجام كبير.. أنتظر أحمد حتى انتهت الأغنية ليسألها:

. عجباكي أوي الأغنية للدرجة دي؟

هزت ولاء رأسها بكل حماسة قائلة:

. طبعا.. ما أنت عارف أنا بعشقهم إزاي.. وبعدين أنت عارف يعني إيه كيوبيد أصلاً؟

نظر أحمد إليها بحيرة مفكرا ثم قال:

. مش تقريبا رمز للحب اللي هو طفل وماسك سهم كده.

هزت ولاء رأسها بالنفي قبل أن تقول:

. أنا برده كنت مفكرة زيك كده.. بس من يومين حد أعرفه اسمه حسام لقيته كاتب كلام عالفيس بوك عن الموضوع ده.. بيقولك إيه بقى

يا سيدي.. أن الحب ده شيء مقدس زيه زي الدين وليه إله اسمه كيوبيد.. وإله بجد مش اعتباري يعني لدرجة إنه بيعاقب وبيكافئ كمان.. وده اللي قالوه اليونانيون القدماء.. وبيكافئ بسهم ذهبي.. ويعاقب بسهم رصاصي.

قاطعها أحمد ساخرا وهو يقول:

. أنتي مصدقة الهبل ده؟؟.. مين المتخلف اللي كتب كده؟

توقفت ولاء عن الكلام لبضع لحظات ثم وقفت لتنظر على شخص على طاولة أخرى وهي تردد:

. مش معقول يارتنا كنا بنجيب في سيرة مليون جنيه.

قبل أن تلوح بيدها منادية.. يا حسام ... حسام.

ينظر أحمد باتجاه نظراتها وتلويحها فإذا بشاب أسمر البشرة نحيف البنية يبدو على مظهره وملابسه أنه غير مهتم أبداً بنفسه مرتدياً حلة تعود إلى أيام السبعينيات وربما قبلها يرتدي نظارة طبية كبيرة جالساً بمفرده يقرأ بكتاب، قبل أن يرى ولاء فيهب واقفاً ويهرول إليهما والابتسامة البلهاء تعلو شقتيه.. يمد يده ليصافح أحمد.. قبل أن تعرفهما ولاء ببعضهما البعض قائلة:

. ده أحمد رشدان يا حسام صديقي الصدوق وزميلي في الكلية.. وده حسام يا أحمد تانية كلية آداب وباباه عمو منتصر.. صاحب بابا من وهم صغيرين.

رحب به أحمد مبتسما قائلا:

. أهلا وسهلا.. اتفضل أقعد معانا حبة.

قالها على سبيل المجاملة ليس إلا.. ولكن حسام وكأنه قد وجد ضالته، فسحب مقعداً وجلس بالفعل وسط ذهول واندهاش احمد وولاء.

فعادت ولاء بالحديث مرة أخرى كنوع من إذهاب الحرج الملم على الموقف موجهة حديثها إلى أحمد قائلة:

. حسام يا أحمد هو اللي كان كاتب البوست بتاع كيوبيد.

نظر إليه أحمد ساخرا.. ثم قال:

. إيه يا عم هتهبلنا البت أكتر ما هي... إله إيه وهبل إيه.

نظر إليه حسام عاقدا حاجبيه وكأنه قد سبه لتوه ووضع سبابته بين حاجبيه ليعدل وضع نظارته ثم قال:

. على فكرة ده مش هبل.. دي نظرية لدكتور صاحبي وأنا مقتنع بيها جدا.

استكمل أحمد حديثه الساخر قائلا:

. نظرية مرة واحدة.. والنظرية دي بتقول إيه بقى.

نظر حسام إلى أحمد وولاء والجدية تسيطر عليه غير مهتم بسخريتهما من حديثه قبل أن يبدأ في شرح النظرية قائلا:

. النظرية ببساطة وبدون تعقيد بتقول أن كيوبيد إله الحب عند الإغريق وزي أي نظام إلهي.. فيه ثواب وفيه عقاب عشان كده ليه سهمين.. سهم ذهبي للمخلصين في الحب.. ودول هيعيشوا في سعادة ويموتوا محبوبين أما السهم الرصاصي فلغير الملتزمين بقواعد الحب وبيتعرضوا لغضب كيوبيد وبيتعرضوا لأحداث غريبة أو ما يطلق عليه لعنة كيوبيد.

في تلك اللحظة قاطع فاروق سرد أحمد لتلك الذكريات قائلا:

. أقطع دراعي من عند كتفي أن صاحبك ده يا رشدان كان بيحشش زينا كده.. أو لأ... الدماغ دي دماغ برشام.

رد أحمد على مقاطعة فاروق ضاحكا:

. لا ياعم ده واد غلبان مالوش في السكك دي.

ساد الصمت قليلا قبل أن يسأله فاروق مجددا:

. وصاحبك ده ماقالكش إيه الأحداث الغريبة بتاعت اللعنة العبيطة بتاعته دي.

تبدلت ملامح أحمد في الحال فقد تذكر ما سرده حسام من تفاصيل لتلك اللعنة فنظر إلى فاروق وهو يهز رأسه بالإيجاب قبل أن يتحدث قائلا:

. قال أن الإنسان الغير ملتزم بقوانين الحب هيوصل لقمة الشيء ثم يفقده يعني هيفضل يدور عالحب ولما يوصله يضيعه بأيديه وعقابه أنه هيعيش وحيد ويموت حزين.

نظر إليه فاروق قائلا:

. مش بقولك دماغ برشام.

سيطرت ملامح الخوف والذهول على ملامح أحمد لمدة لحظات وأخذ يعبث بلحيته بطريقة عصبية قبل أن يشعل سيجارة ويشربها بنهم كبير وسط استغراب فاروق قبل أن يتحدث بعصبية كبيرة ونبرة مرتجفة:

. ده نفس اللي كيوبيد حكم بيه عليا في الحلم.. مش شايف يا فاروق أن تفاصيل اللعنة بالظبط بتحصل معايا.. أنا حكتلك أنا تعبت قد إيه عشان أوصل لأميرة وفي الآخر ضيعتها من إيديا.. وكأن واحد تاني اللي عمل فيها كل ده.. وعمال أخسر في الناس بطريقة غريبة تقريبا معدش ليا حد.. يعني بقيت وحيد.. وعايش من غير هدف.. حتى المحل بعد ما حلمت بيه ليل ونهار أديك شايف مبقتشي مهتم بيه إزاي وبرده بأيديا مش بأيد حد.

رد عليه فاروق مستنكرا كلامه:

. يا عم عادي بتحصل والله وبكره كله هيتصلح.

زفر أحمد ضيقا قبل أن يتحدث بعصبية:

. عادي صح عادي!!.. وأني أحلم حلم زي ده مرتين ورا بعض يبقى عادي برده يا فاروق؟

رد فاروق ساخرا:

. يا عم عادي أبقى خلي الحجة تغطيك تلاقيك كنت مكشوف ولا حاجة.

رد عليه أحمد بغضب والشرار يتطاير من عينيه:

. يالا أنت مفيش عند أهلك دم.. مش شايفني متضايق إزاي وبرده بتهزر وبتهرج.

شعر فاروق بالحرج مما قاله أحمد وبالغضب من عصبيته الزائدة فصمت قليلا ثم قال بلهجة جادة:

. أنا هسيبك تهدى يا رشدان عشان أنت أعصابك تعبانة.. سلام.

رحل فاروق تاركاً أحمد وحده في حيرته.. محاولاً إقناع نفسه أنه مجرد حلم حتى لو تكرر.. فلهذا مبرر أيضاً وهو انشغاله به.. فلابد أن العقل الباطن قد تأثر بتفكيره فأعاد له الحلم، وربما إسرافه في شرب الحشيش هو المتسبب فيما رأى من هلاوس.

مرت لحظات وهو مازال جالساً على كرسيه الجلدي ناظراً إلى انعكاس صورته على مرايات السقف حتى سمع صوتا عاليا مثيرا للانتباه صادر من الشارع المواجه لمحله، هو على ما يبدو شجارا قد اشتعل بالخارج فهب واقفاً ليلقي نظرة على الخارج.. وبالفعل وقف على باب محله يشاهد ما يحدث.. حتى هدأت الأجواء ليدير وجهه عائداً إلى محله.

أدار وجهه ليجد ما ألقى بسهام الرعب مجدداً بفؤاده.. فها هو رئيس المحكمة كيوبيد واقفاً أمامه داخل المحل بنفس هيئته الغاضبة يده اليمنى ممسكة بنفس الوردة النازفة وملطخة بالدماء، ويده الأخرى مخبأة وراء ظهره، مرت ثوان ولا يزال أحمد واقفاً بمكانه مذهولاً حتى أخرج رئيس المحكمة اليد الأخرى ممسكاً برأس أميرة المقتصة من جسدها والدماء سائلة منها قائلا:

(كيوبيد قتل أميرة.. زي ما أنت قتلت وردة)

تراجع أحمد إلى الخلف خارجاً من محله غير مدرك خطواته ليسقط أرضاً من الصدمة حتى أتاه صوتاً من على يمينه.. وهو الشيخ وليد.. صاحب محل الملابس المجاور له يهرول عليه قائلا:

(لا إله إلا الله سلامتك يا أستاذ أحمد أنت كويس؟)

نظر إليه أحمد والرعب يملأ عينيه ثم أعاد النظر إلى داخل المحل فوجد أن كل ما رأى قد اختفى تماماً.. فأعاد النظر إلى الشيخ وليد الذي قد انحنى ممسكا بيد أحمد المرتجفة.. فتمالك أحمد نفسه قائلاً:

. لا يا شيخ وليد مفيش دوخت بس شوية فوقعت.

ساعده الشيخ وليد على القيام ووجه له أحمد الشكر ودخل إلى محله مترقباً، خائفاً، ناظراً يمينه ويساره كأنه يتأكد أنه خال بالفعل ثم تنهد مستعيذاً بالله من الشيطان.. ثم جلس على كرسيه مفكراً.

صباحاً عندما استيقظ من نومه كان كل ما عانى منه هو كابوس تكرر مرتين.. أما الآن فهو ليس بكابوس، ولكنه بدأ يدخل إلى حالة هلوسة واضحة والمتكرر الدائم هو اسم كيوبيد وغضبه وبالطبع اسم وردة والتهديد بقتل أميرة، فجأة نمى إلى عقل أحمد فكرة أن يتصل بحسام صديقه السابق والمعيد بكلية آداب قسم تاريخ حالياً.. لعله يفيده فيما رأى ولم لا أليس هو من حدثه عن كيوبيد ولعنته تلك؟؟؟

ولكنه تردد.. فقد كان آخر لقاء بينهما منذ حوالي العام ونصف ولم يكن على ما يرام وانقطعت علاقتهما كلياً من بعدها.. أخذ يفكر ملياً.. إلى أن اتخذ قراره بأن يتصل به.. أخرج هاتفه واتصل به راجياً أن يرد وألا يتجاهله حسام لعله يخرجه مما هو فيه لحظات ثم رد حسام ولكن رد بصمت دون أن ينطق أي كلمة.. فتحدث أحمد بلهفة الغارق الباحث عن النجاة قائلا:

. حسام أنا أحمد رشدان.. ياريت ترد.

أتاه صوت حسام المليء بالاستغراب والبغض معاً قائلاً:

. أيوه يا رشدان خير؟؟!!.

صمت أحمد لبضع ثوان قبل أن يقول:

. أنا محتاج أشوفك وأتكلم معاك ضروري.

ليرد حسام بنفس اللهجة الجافة قائلا:

. أيوه برده خير..

. مش هينفع في التليفون يا حسام.. موضوع مهم جدا حياة أو موت، صدقني لازم أقابلك ضروري جداً، والنهارده يا حسام.

ساد الصمت قليلا قبل أن يرد حسام قائلا:

. تمام قابلني الساعة 4 في الكافيه اللي كنا بنقعد فيه ده لو فاكره يعني.

ليرد عليه أحمد فرحا:

. تمام يا حسام فاكره طبعا.. 4 بالظبط هكون موجود.

أغلق أحمد المكالمة ونظر إلى ساعته ليجده تشير إلى الثانية والنصف بالتمام والكمال.. تلك الكافيتريا تبتعد عنه حوالي النصف ساعة ولكنه

قرر الذهاب حالاً.. وذلك لشغفه الكبير وأمله في أن يجد تفسيرا لما حدث من جانب، وخوفه الشديد من البقاء وحيداً فتداهمه الهلاوس من جديد.

أغلق محله وذهب إلى الكافيتيريا، مرت الدقائق ببطء كحالها عند الانتظار وظل جالساً يشعل سيجارة عقب الأخرى مرتباً أفكاره، محاولاً إعداد كلامه... ولكن كل محاولاته تبوء بالفشل.

مرت الدقائق بطيئة جداً عليه يشعر وكأن نصف ساعة قد مضت لينظر إلى ساعته ليجد أن ما قد مر هو خمس دقائق فقط لا غير فيزفر في ضيق.. حتى رأى حسام قادماً من على بعد واثق الخطى منظم الهندام على عكس ما اعتاده عليه أحمد يقترب ليجلس دون أن يصافحه وبوجه عابس قائلاً :

. أديني جيت.. خير؟؟!!.

اعتدل أحمد في جلسته متردداً فيما يقوله مبتلعاً ريقه بصعوبة بالغة فلم يسبق أن يعامله أحد بهذا الجفاء ويضطر للسكوت فتحامل على نفسه قائلاً:

. أنا وأميرة سيبنا بعض يا حسام.

اعتدل حسام في جلسته واضعاً سبابته بين عينيه ليعدل من وضع نظارته كعادته كل دقيقتين تقريباً ثم يزفر بضيق بالغ ويتحدث بنبرة حادة إلى أحمد قائلا:

. والله؟؟!! يعني أنت مسيبني اللي في إيدي يا رشدان عشان تقولي سبتو بعض طب وأنا مالي يا أخي ماتسيبو بعض ولا تولعو.

ليرد عليه أحمد قائلاً:

. حسام أنا عارف إنك مش طايقني وليك حق في ده بس أنا محتاج مساعدتك فوق مما تتخيل.. فاكر لعنة كيوبيد!!

تأفف حسام مجدداً ثم ثار قائلاً:

. أنا مش فاهم أنت عايز إيه بالظبط قولتلي عايزني أساعدك أتفضل قول عايزني أساعدك إزاي

أشعل أحمد سيجارة قبل أن يقول:

. حاضر هحكيلك كل حاجة.

وبدأ أحمد بسرد تفاصيل حلمه الذي تكرر والهلوسة التي حدثت له بالمحل وبغرفته وتفاصيل تغيره المريب طوال الثماني شهور السابقة رابطاً كل هذا بسرد حسام لنظرية كيوبيد منذ سنوات بأول جلسة بينهما وفي نفس الكافيتيريا.

ظل حسام يراقبه باهتمام مبالغ وبين تارة والأخرى يوجه سبابته بين عينيه ليعد نظارته الطبية.. ومازال أحمد يسرد كيف تغيرت علاقته بأميرة وكيف تغير هو شخصياً.. ويروي تفاصيل الحلم والهلاوس بالتفصيل غارقاً في عرقه رغم الجو البارد نسبيا بثاني أيام السنة.

وقد نال التوتر منه منالاً كبيرا حتى أن حلقه قد جف أكثر من مرة فيضطر أن يقطع سرده ليرتشف قليلاً من الماء ثم يستكمل حتى أنهى حديثه.. بدا على حسام التوتر هو الآخر فبدأ يخبط بأنامله على الطاولة ثم قال:

. أنت ذات نفسك قولت عالكلام ده هبل.. وأنا برده شايف كده.. مش مجرد أن حلم حلمته مرتين.. يبقى نظرية عبيطة كتبها دكتور لاسع صحيحة.

قاطعه أحمد قائلاً:

. حسام أنا بترجاك.. أنا حاسس إني بضيع.. أنا كنت خايف أنام تاني بسبب الكابوس ده.. بس دلوقتي كمان وأنا صاحي بيجيلي أنت لازم تساعدني.

نظر إليه حسام طويلاً قبل أن يتحدث قائلاً:

. مفيش في إيدي حاجة أعملها غير إني أوصلك بدكتور طارق صاحب النظرية دي.

رد عليه أحمد متلهفاً:

. وأنا مش عايز غير كده يا حسام.. بس ياريت النهارده.

أمسك حسام هاتفه لمدة قصيرة ثم قال:

. ما تقلقش أنا بعتله رقمك عالواتس أب وشرحتله ظروفك كلها أكيد أول ما هيشوف إنها حاجة متعلقة بالنظرية دي هيسيب كل اللي في إيده ويكلمك.. عن إذنك همشي أنا.

وهم حسام بالرحيل قبل أن يوقفه أحمد قائلاً:

. شكراً يا حسام.

اكتفى حسام بهز رأسه ولم يرد بكلمة واحدة ورحل أيضا دون أن يصافح أحمد حتى.

جلس أحمد قليلا ليتناول قدحاً آخر من القهوة وقد هدأت نفسه قليلاً.. وتذكر فاروق وكيف كان حاداً معه... فأخرج هاتفه محاولاً الاتصال به ولكن فاروق لا يرد كعادته عند غضبه حاول مجدداً ولكن دون جدوى فقرر أن يذهب إلى منزله. ولكن حدث شيء جعل فاروق يختفي من عقله تماماً.

فقد اهتز هاتفه معلناً عن رقم غير مسجل لديه.. فأسرع أحمد بالرد ليأتيه صوت محدثا إياه بلهفة شديدة قائلا:

. مساء الخير أحمد معايا ؟؟!! أنا دكتور طارق عبد الحي.

لم يمهله أحمد فرصة لتعريف نفسه أكثر من ذلك بل رد بكل لهفة قائلاً:

. أيوه يا دكتور أجي لحضرتك إمتى وفين؟؟!.

ليرد عليه دكتور طارق قائلاً:

. تجيلي عيادتي.. الساعة 9 في شارع شبين كده.. اسأل أي حد عن عيادة دكتور طارق بتاعة الأمراض النفسية هيدلوك.

صمت أحمد لبضع ثوان لم يخطر بباله أن دكتور طارق هو دكتور نفسي وبالطبع لن يوافق أحمد أن يصعد إلى عيادته فما بالك بأن يسأل عنها علناً.. فقال له:

. دكتور معلش ممكن نتقابل بره أحسن.

وهنا تحولت نبرة دكتور طارق إلى غضب شديد قائلاً له:

. لو بتستعر من المرض النفسي يبقى متجليش أحسن.. كلنا مرضى نفسيين يا أستاذي أنا هبقى في انتظارك 9 عايز تيجي أهلاً وسهلا مش عايز براحتك.. سلام وأغلق الخط.

تعجب أحمد من طريقة الدكتور طارق.. الذي لم يترك الطريق أمام حل وسط.. وهنا اتخذ أحمد قراراً بعدم الذهاب إلى دكتور طارق في عيادته.. متخيلاً أن يراه أحد من أقاربه أو معارفه صاعداً إليه أو هابطاً من عنده أو ربما يسأل عن مكانه.. فلتأتي الهلاوس وتهاجمه الكوابيس ولكنه بالطبع لن يذهب على آخر الزمن لعيادة طبيب نفسي.

ثم تذكر فاروق.. فقرر الذهاب إليه خصوصاً أنه يقيم بمفرده فوالدته متوفية ووالده يعمل بدولة الإمارات العربية.. وعلى خلاف دائم مع ابنه بسبب أفعاله الصبيانية فارتضى له الجلوس وحيداً منذ سنة تقريباً مقابل أن يبعث له بمبلغ كبير كل شهر أما باقي أقاربه بالقاهرة.. ركب أحمد سيارته متجهاً إلى منزل فاروق.. وقف أمام شقته وضرب جرس المنزل.. وهو متأكد من وجود فاروق بالداخل.. وبالفعل ما هي إلا

لحظات وفتح فاروق الباب بوجه عابس.. أفسح المجال لأحمد بالدخول وجلسا متواجهين ليبدأ أحمد الحديث:

. أكيد يعني مش هتفضل مقموص خلاص بقى يا روقة حقك عليا أنا أتعصبت عليك وغلطانلك.

هز فاروق رأسه قبل أن يتحدث:

. عادي يا معلم ولا يهمك.. المهم أنت أخبارك إيه دلوقت.

سرد له أحمد ما حدث وعن مقابلة حسام له ومكالمة دكتور طارق له ليقاطعه فاروق قائلا:

. هو أنت زعلت حسام في إيه بالظبط ؟؟

يصوب أحمد أنظاره إلى الأرض خجلاً قبل أن يتحدث قائلاً:

. أنا وحسام مكناش صحاب أصلاً اللي كانت صاحبتي بجد هي ولاء وحسام كان يعرفها ومع الوقت بقينا إحنا التلاتة مع بعض لحد ما عرفت أميرة، المشكلة كلها أن أميرة غيورة جداً وطبعاً كانت بتغير من ولاء رغم إنها عارفة أن ولاء بالنسبة لي أختي.. وفضلت الغيرة تزيد لحد ما في يوم شدو مع بعض.. وكان لازم أختار بين أميرة وولاء.. في وقت الاتنين فيهم غلطانين.. فطبعاً إخترت أميرة.

قاطعه فاروق قائلاً:

. آه.. فهو زعل على زعلها.

يهز أحمد رأسه نافياً ويقول:

. لا مش ده اللي زعله مني.. اللي زعله مني أنه جالي بعدها بكام يوم.. وحاول يتكلم معايا في الموضوع إني أصالح ولاء.. وللأسف أنا جيت عليه جامد وشدينا مع بعض.. ويعتبر طردته.

شعر فاروق أن ذلك الحديث قد جعل الحزن يتمالك من أحمد.. فأدار دفة الحديث:

. طب والدكتور كلمك قالك إيه؟؟!!

رد أحمد قائلاً:

. للأسف.. طلع دكتور نفسي.. وقال إيه عايزني أروحله.. العيادة.. بس طبعا رفضت.. فكك أنت صح ده مجرد حلم.. ما تلفلنا سيجارتين.

أحضر فاروق سيجارتين كان قد أعدهما مسبقا وأشعل إحداهما وهو يضرب بقدمه على الأرض بتوتر ملحوظ ثم نظر إلى أحمد بعصبية قائلاً:

. أنت لازم تروحله.

نظر إليه أحمد بدهشة.. كبيرة وهم أن يتكلم فقاطعه فاروق:

. إوعى تكون فاكر أن حالنا إحنا الاتنين عاجبني.. آه أنا أبان مش فارقة معايا.. بس أنت لازم تروح.. عارف ليه يا رشدان؟؟.. عشان كل كلمة موجودة في النظرية دي صح.. إلحق نفسك يا صاحبي.. عشان ماتبقاش زيي.. الصبح أنا مازعلتش منك.. أنا زعلت لما لقيت كلام النظرية على مقاسي بالظبط.. أوعى تفكر أن أنا من يومي كده طايش وبنام أقوم بشرب حشيش.. أنت حيالله عارفني من كام شهر..

أنا كنت شاب عادي يا أحمد مش هقولك كويس أوي.. بس مكنتش وحش كده.. لحد ما عرفت بنت حبتني من كل قلبها..

كان اسمها هند.. بس أنا عمري ما حبتها.. وبدل ما أبعد عنها استغليت حبها ليا ولعبت بيها لحد ما سلمتلي نفسها.. وطبعا بعدها عملت فيها هندي.. واتهربت منها.. لحد ما واجهتني.. وبدل ما أفوق وأصلح اللي عملته.. هنتها وقولت عليها شمال لمجرد إنها وثقت فيا.. سابتني

ومشيت وهي منهارة وعلى لسانها كلمة واحدة.. عمري ما هسامحك يا فاروق.. وأنا مفيش شعراية جوايا اتهزت.. بالعكس كنت بتريق عليها.

مشيت وبعدها بنص ساعة عرفت أنها انتحرت.. مع إني مش ناقصني حاجة.. وحواليا حريم كتير.. بس تقول إيه بقى.. واطي ووسخ.. كان ممكن أصلح غلطتي.. أو من الأول ببساطة أبعد عنها.. كان زمانها عايشة ومتجوزة ومخلفة بنت وولد زي ماكان نفسها.. بدل ما أعشمها.. العشم حاجة وحشة أوي يا أحمد أوي.

ومن يومها كل حاجة أتغيرت في حياتي.. الكل بيبعد عني.. كأني منبوذ.. كل حاجة في حياتي بتفشل.. حتى لما حبيت بعدها.. فترة قصيرة وحصل نفس اللي حصل بينك أنت وأميرة.. لحد ما لهيت نفسي في الحشيش.. عشان أضحك أو عشان أعرف أمثل إني بضحك.. عايش من غير أي لازمة.. عايش مستني أموت وبس.. عشان خاطري روح يا أحمد.

أنهى فاروق حديثه وهو يبكي بحرقة كبيرة.. لم يظن أحمد أن إنسانا مثل فاروق يمكن أن يبكي في يوم من الأيام فذهب إلى جواره مربتاً على كتفه يواسيه وعازماً على الذهاب.. قائلاً:

. حاضر يا فاروق هروح.. حاضر.. طب أخلص وأعدي عليك نسهر؟

هز فاروق رأسه نفياً ثم قال:

. في قرار أنا خدته النهارده لازم تعرفه.. أنا مسافر بكره لعمامي في القاهرة.. أنا كلمت أبويا وراضيته.. وكلها كام يوم يبعتلي أروحله.. يمكن أعرف أصلح حاجة في حياتي.

رفع أحمد رأسه إلى السماء حزناً، فبعد تلك اللحظة سيصبح وحيداً تماماً، نظر إلى ساعة يده فوجدها تشير إلى الثامنة والربع.. فقرر أن يذهب إلى دكتور طارق حالاً.. فربت على كتف فاروق من جديد.. ثم قبل رأسه الصلعاء قائلا:

. أنا هنزل يا فاروق أشوف وشك بخير.

هب أحمد واقفاً مستعداً للرحيل تاركاً فاروق غارقاً بدموعه فاستوقفه فاروق قائلا:

. خد بالك من نفسك يا أحمد.

ليعود له أحمد ويحتضنه مودعاً إياه.

ركب أحمد سيارته مكث قليلاً بسيارته مفكراً هل بالفعل سيذهب إلى ذلك الطبيب.. هل سيتحمل نظرة أحدهم له وهو يدخل إلى عيادة ذلك الطبيب أو خارجاً منها.. بالطبع لا.. ولكنه الآن أصبح وحيداً.. فجأة نمى إلى ذاكرته وتردد بأذنيه حكم كيوبيد عليه...

"هتعيش وحيد وتموت حزين"

نعم هو الآن وحيد تمام الوحدة وفي أشد درجات الاحتياج أن يملأ حياته صديق ولو على شكل طبيب نفسي أدار محرك سيارته متجها إلى شارع شبين حيث تقع عيادة دكتور طارق.. متبعاً وصفة للطريق حتى ظن أنه قد وصل تقريباً إلى مكان العيادة.. نزل من سيارته وتوجه إلى بقالة ملقياً السلام على رجلين يقفا بداخلها أولاً ثم قال:

. لو سمحت في عيادة هنا بتاعت دكتور اسمه طارق عبد الحي؟

نظر الرجلان إلى بعضهما البعض وكأنهما يتذكرا مكان العيادة.. حتى قال أحد الرجلين مرتدياً عباءة صعيدية محاولا التذكر:

. دكتور طارق؟؟.. يكونش قصدك دكتور طارق هوبا..

عقد أحمد حاجبيه مذهولا.. قبل أن يقول:

. لا حضرتك طارق عبد الحي.. مش هوبا.

فنظر إليه الرجل الصعيدي ضاحكاً وهو يقول:

. هو طارق هوبا.. مش بتاع لا مؤاخذة المناخوليا؟؟.. العمارة اللي قدامك دي يا أستاذ الدور التاني على إيدك الشمال.

انصرف أحمد مستشعراً الحرج مما حدث خصوصاً عندما سمع أحد الرجلين يتحدث عنه أثناء رحيله ويقول للآخر:

. سبحان الله مع أن شكله ابن ناس ما يديش على مجنون أبدا.

صعد أحمد إلى الطابق الثاني ليجد يافطة مغطاة بالرمال حتى اختفت الحروف.. فنفخ بها حتى تطاير جزءا كبيرا من الغبار ليقرأ ما هو مكتوب عليها.

دكتور/ طارق عبد الحي.. نفسية وعصبية

فاستنتج أن عدد زبائن تلك العيادة قليل للغاية فالمنزل يبدو من الخارج كالمهجور وخيوط العنكبوت تغطي الباب.

طرق الباب مرة واحدة ولم تمر إلا ثوان حتى فتحت الباب امرأة سمينة عريضة المنكبين ترتدي زي الممرضات ويبدو أنها قد عانت حتى تدخل بداخل ذلك الرداء.. قائلة له:

. اتفضل يا أستاذ.. الدكتور قدامه خمس دقايق ويوصل.

دخل ليجد العيادة خاوية تماما.. بدهانها القديم المتساقط.. ثم جلست تلك الممرضة على الكرسي الخاص بها ليقف أمامها وتحدثه قائلة:

. الاسم والسن بعد إذنك.

. أحمد يوسف إبراهيم..24 سنة.

لترد عليه الممرضة قائلة:

. طيب اتفضل يا أستاذ أحمد الدكتور على وصول.. استأذنك 50 جنيها فلوس الكشف.

مد أحمد يده في جيبه وأخرج خمسين جنيهاً وأعطاها إياها قائلاً:

. هو لو أنا عايز أشرب سجاير أعمل إيه؟؟!!

فأشارت بإصبعها إلى الشرفة دون أن تتكلم ففهم أحمد ما تقصده.. فدخل إلى الشرفة وأشعل سيجارة وبدأ في التهامها.

مفكراً وسائلاً نفسه من تكون وردة التي قتلها ومن أجلها سيقتل كيوبيد أميرة.. وهل هو فعلاً مصاب بتلك اللعنة أن وجدت؟؟.. لحظات مرت حتى دخلت الممرضة إلى الشرفة لتخبره بوصول الدكتور وانتظاره.

الفصل الثالث

د/ طارق "هوبا"

دخل إلى غرفة الطبيب متفحصاً إياها بعينيه ليجدها غرفة قديمة لا تختلف كثيراً عن غرفة الاستقبال بطلائها المتساقط والشقوق التي تملأها والأثاث المهترئ المنهك بفعل الزمن، وذلك المكتب الخشبي الهارب من المتاحف نظراً لقدمه وتهالكه، ليجد الطبيب واقفاً موجها ظهره إليه مقلباً ببعض الأوراق مرتدياً حلة سوداء ظاهراً عليها الاتساخ والاهتراء حولها الزمن إلى اللون الرمادي، ومازال أحمد واقفاً ومازال دكتور طارق مديراً ظهره قبل أن يقول الأخير:

. اتفضل يا أستاذ أحمد ثواني وهبقى معاك.

وبالفعل جلس أحمد على كرسي خشبي لا يلائم عيادة طبيب مبتدئ.. وما هي إلا ثوان حتى استدار دكتور طارق لترتسم على أعين أحمد ملامح الرعب وينفتح فمه عن آخره.. فقد وجد أمامه نفس رئيس المحكمة أو كيوبيد بلحيته الرمادية وأنفه الطويل وملامحه الحادة، لكن بملابس عادية وشعر قصير غير مضفر.. استمر ذهول أحمد ورعبه للحظات يحاول تمييز إذا كان ما يراه حقيقياً أم عاودته الهلوسة مرة أخرى فأخذ يفرك عينيه ويهز رأسه يمينا ويسارا رغبةً في الاستفاقة لكن دون جدوى.. وبالطبع قد لاحظ دكتور طارق ذلك عليه فتحدث قائلا:

. مالك يا أستاذ أحمد.. أنت كويس..؟؟!!

ساد الصمت للحظات يدقق فيها أحمد بملامح الطبيب غير مصدق حتى فُتح باب الغرفة فجأة بطريقة فزعت أحمد فحاول أن يهب واقفا فجأة ليسقط أرضاً مغشياً عليه.

لحظات لا يعلم مدتها إلا الطبيب والممرضة بعد الله مرت ومازال أحمد فاقداً لوعيه حتى شعر أحمد بيد تمتد لتمسك أنفه من أسفل عينيه وتقبضها بشكل مفاجئ ومؤلم فاستعاد وعيه وفتح عينيه ليجد أمامه دكتور طارق أو (كيوبيد بوجهه البشري) جالساً بجواره على سرير للكشف وخلفه الممرضة السمينة ممسكة بكوب من الليمون.

انتابه الفزع مجددا.. ليهدئه دكتور طارق واضعا يديه على كتفي أحمد.. ثم يستدير ليأخذ كوب الليمون من الممرضة ليعطيها لأحمد قائلا:

. اشرب ده.. ليمون هيهديك ويخليك كويس.

بدأ أحمد في تمالك أعصابه وأمسك الكوب وبدأ بالشرب.. ليقف دكتور طارق متجهاً إلى مكتبه.. أنهى أحمد الكوب.. وبالفعل شعر بتحسن قليل ولكنه كاف ليمكنه من الوقوف.. وبالفعل وقف على مهل.. معطياً الكوب إلى الممرضة ليتحدث دكتور طارق قائلاً:

. خدي يا سناء الكوباية نزلها لمعلم فضل.. وقوليله دكتور طارق هيبقى يحاسبك بعدين.

نظرت إليه سناء بتردد قبل أن تقول:

. ما أنت عارف يا دكتور طارق المعلم فضل حالف ما يديك حاجة بعد كده.. ده أنت أخر مرة زوغت منه 3 شهور عشان 50 جنيه لسه دافعينهم النهارده من كشف الأستاذ ده حتى مرضاش يديني الليمون إلا لما خد موبايلي رهن.

وأثناء حديثها حاول أن يوقفها دكتور طارق ببعض الغمزات ولكن لا حياة لمن تنادي انطلق حديثها كسلاح الآلي الرافض للتوقف حتى أنهته.. فنظر إليها دكتور طارق قائلا:

. خلاص خلاص أنا هتصرف.. بكام الليمون ده

ردت الممرضة:. 9 جنيه.

فنظر إلى أحمد مبتسما قائلاً:

. هات عشرة جنيه تحت حساب.

هز أحمد رأسه وأدخل يده بجيبه مخرجاً 20 جنيها ليعطيها للمرضة لتخرج.

ليوجه الطبيب حديثه لأحمد قائلا:

. بتهيألي بقيت كويس.. احكيلي بقى حسام قالي إنك بتمر بحالة تشبه النظرية بتاعتي.. أحب أعرف إيه الموضوع.

فكر أحمد للحظات أن يخبره بأنه أتاه في حلمه.. ولكن بالطبع سيصنفه هذا الطبيب بأنه مجذوب.. فبدأ أحمد بالحديث:

. الموضوع بدأ إمبارح.. حلمت أني زي ما أكون في محكمة بس مضلمة وأنا واقف في القفص.. وفجأة دخل القاضي ومفروض أني متهم بقتل واحدة اسمها وردة ونادى على اسمي على أني المتهم مع أني عمري ما عرفت واحدة اسمها وردة.. ومفروض القاضي بيقولي أن هو كيوبيد وأنه هيقتل أميرة (ودي خطيبتي اللي سبتها من شهرين).. والحلم اتكرر النهارده وغير كده شوفت حاجات مشابهة ومرعبة وأنا صاحي.

قاطعه دكتور طارق وهو ممسك بروشتة طبية وقلم ومنفعلا قائلا:

. دي حالة هلوسة يا أستاذ ناتجة أكيد من ضغوط اتعرضتلها الفترة اللي فاتت.. موضوع النظرية أكبر من حلم إتكرر.. الحلم ده تشوفله شيخ يفسرهولك مش دكتور.. كل اللي في إيدي أني أكتبلك مهدئات للأعصاب.

قاطعه أحمد بنظرة ثاقبة قائلا:

. أنت القاضي اللي جتلي في الحلم مرتين وفي الهلوسة يا دكتور.

توقف الطبيب عن الكتابة ناظرا إلى أحمد من فوق نظارته الطبية.. ثم خلعها وهب واقفاً ليستدير حول مكتبه الخشبي ليقف أمام أحمد ويشده من ياقة معطفه صارخاً:

. أنت بتشتغلني يالا؟؟.. مين من الدكاترة زقك عليا عشان تتسلوا بيا حبة؟؟.. مكفهومش اللي عملوه فيا؟؟.

لم يحرك أحمد ساكناً.. ولم ينفعل ولكنه اكتفى بالنظر إلى أعين دكتور طارق.. ليرى الطبيب بعينيه نظرة إنسان قد فقد كل شيء واقترب من فقدان نفسه.. كانت تلك النظرة كافية ليتركه الطبيب ويجلس أمامه قائلاً:

. اللي أنت قولته ده حقيقي فعلاً؟؟.! وهو ده اللي خلاك تقع من طولك، لما شوفتني صح؟؟.

لم يرد أحمد ولكنه اكتفى بهزة من رأسه جعلت الطبيب يستكمل قائلاً:

. وأنا مصدقك.. أنا أسف بس أصل النظرية دي بحاول أقنع الدكاترة بيها بقالي أكتر من خمستاشر سنة.. وكالعادة بفشل.. وده اللي خلاني تريقتهم.. وطلعوا عليا سمعة إني مجنون.. تخيل يا أستاذ مسميني طارق هوبا؟؟!!.. يلا مش موضوعنا.. المهم إحنا دلوقتي قدامنا سكتين.. أول سكة إنك مريض بالهلوسة ومريض بدرجة متقدمة كمان.. والطريق التاني.. إنك أنت اللي هتخليني أثبت صحة نظريتي وهو أنك بتعاني فعلا من لعنة كيوبيد.. عشان كده عايزك تيجي معايا عالشزلونج.. وندردش حبة.. بس بصراحة يا أبو حميد.. يلا بينا.

استرخى أحمد على سرير الفحص.. وبجواره جلس دكتور طارق ممسكاً بهاتفه الذي أعده لتسجيل الجلسة ثم بدأ الطبيب الحديث قائلا:

"بص يا أحمد لو أنت جاي هنا بسبب الحلم.. يبقى مجيتك زي قلتها.. كده كده الحلم هينتهي.. سواء كنت جتلي أو لا.. أنا عايزك تشيل موضوع الحلم ده من دماغك.. وتشيل كمان موضوع اللعنة عشان أقدر أحدد هل هي فعلاً لعنة كيوبيد ولا مجرد ضغوط أدت لحالة نفسية سيئة وصلت للكوابيس والهلوسة.. باختصار كده أنا عايز أسمع اللي جواك وبصراحة متناهية كأنك بتكلم نفسك.. اتفضل سامعك.."

أغمض أحمد عينيه لمدة دقيقة ثم فتحها متحدثا:

. أنا فعلا تعبان وتعبان جدا.. عارف لما تحس أنك مش فارق معاك حاجة.. الغريب أن أنا مكنتش كده.. ومفيش سبب يخليني كده.. تعرف.. وحشني أوي إحساس إني باقي على حاجة.. عمال أخسر كل اللي حواليا لدرجة أن اللي ما بيخسرنيش بقيت بسبق أنا وبخسره.. بقت راحتي في الوحدة.. وكل ده فجأة.. من 8 شهور بس.. الإنسان اللي قدامك ده كان مختلف تماما.. كان عندي حيوية ونشاط غريبة.. كنت بضحك على طول وبهزر على طول.. وحواليا ناس كتير أووي.. بس كل حاجة انتهت تدريجياً، تعرف يا دكتور لو ربنا كتب عليك إنك ما تخلفش؟؟.. بتبقى حاجة صعبة جداً.. بس الأصعب من كده.. إنك تتعب أوي وتدوخ لحد ما تخلف.. وابنك يموت قدام عينيك.. ده اللي أنا فيه بالظبط والكارثة أن أنا اللي قتلت ابني.. أنت متعرفش أنا عملت إيه عشان أوصل لأميرة.. عملت البدع بمعنى الكلمة... وهي كمان اتحدت الدنيا كلها عشاني وراهنت عليا.. والنتيجة أن أنا خلتها تكرهني... وبعد ما كرهتني بقيت حاسس أني محتاجها.

ليقاطعه الطبيب باستغراب:

. اتحدت الدنيا عشانك إزاي يعني.

نظر إليه أحمد قبل أن يقول:

. أنا كنت خاطب أميرة على صديق.

قاطعه دكتور طارق قائلا:

. بنت على صديق رجل الأعمال وعضو مجلس الشعب المعروف؟؟.

هز أحمد رأسه بأسى قبل أن يستكمل:

. بالظبط.. وطبعاً والدها كان شايف إني أقل من طموحه.. ورفضني.. لكن أميرة فضلت متمسكة بيا واتحدت الكل عشاني.. لحد ما وافق.. متخيل أنا عملت فيها إيه؟

قاطعه دكتور طارق:

. مادام أنت لسه بتحب أميرة.. طب ليه ما تحاولش ترجعلها.

نظر إليه أحمد بتردد قبل أن يجيب:

. أنا مفكرتش مجرد تفكير إني أحاول أرجعلها ومع ذلك أنا بشوفها في وشوش البنات في الشارع وبسمع صوتها في وداني.. بس تعالى قولي ارجعلها هقولك لأ.. فاهم حاجة ؟؟.

نظر إليه الطبيب باسماً قبل أن يقول:

. محدش فاهمك قدي.. أنت بتحبها.. وحاسس أنك جيت عليها وفي نفس الوقت خايف ترجعلها فتصدك.. كمل يا أحمد كمل.

استمر حديث أحمد عن أميرة وشعوره بها قرابة النصف ساعة تقريبا بدا خلالها كالعاجز عن الاقتراب منها أو الابتعاد عنها لا يستطيع أن يبقى معها ولكنه يعجز كل العجز عن تجاوزها.. ببساطة فهو يقف تماما بالمنتصف المميت.

حيث لا حول له ولا قوة.. خائفا بعدها من وحدته فليس هناك من يلاطفه أو يؤنسه.. فتوارى في طيات الثمل.

قاطع دكتور طارق كلام أحمد بوقوفه فجأة ذاهبا إلى مكتبه محضرا بعض الأوراق ومدونة وقلم ويعود ويطلب من أحمد سرد الحلم بأدق التفاصيل.

وبالفعل بدأ أحمد بسرد تفاصيل الحلم صغيرتها قبل كبيرتها وبالطبع لم ينس منه شيئا.. فلا تزال أحداث ذلك الكابوس حبيسة بداخل عقله وما أن فرغ من ذلك حتى جلس على سرير الكشف موجهاً حديثه إلى دكتور طارق قائلاً:

. أنت أتأكدت أنها لعنة كيوبيد مش هلوسة صح؟

هز دكتور طارق رأسه دون أن يرفع نظره عن الأوراق والمدونة ويدون بها كل تفصيلة صغيرة ذكرها أحمد عن حلمه قبل أن يتحدث قائلا:

. مشكلة اللعنة دي أنها بتموت شعور الإنسان وتحبسه في وحدته.. بتسرق منه أسباب البهجة اللي في حياته وهو متخدر وبعد كده بيفوق على جحيم.

قال دكتور طارق هذه الكلمات بلهجة جدية صارمة.. فرد عليه أحمد قائلا:

. يعني علاجها متاح يا دكتور؟؟

ابتسم طارق قبل أن يقول:

طارق: دي لعنة مش مرض يا أحمد.. فاهم الفرق؟؟!! اللعنة دي بتحصل للساخرين من الحب أو بالبلدي للي بيظلموا قلوب بتحب بجد.

أحمد: عايز تقنعني يا دكتور أن أي حد بيضحك على واحدة ولا بيظلمها بيحصله اللي بيحصلي وبيحلم بكيوبيد وهلاوس؟

طارق: لازم تفهم إنك شخص مميز يا أحمد اللعنة دي عامةً بتدمر كل حاجة في حياة اللي بتجيله وهو متخدر زي ما قولتلك قبل كده. وبعد ما

بيفوق بتسيبه يواجه اللي حصل.. وبيكون نتيجتها في العادة اكتئاب شديد جداً لكن أنت شخص مميز جداً بدليل أنك جالك تحذير في شكل أحلام وهلاوس.

أحمد: فهمت.. طب والحل؟؟

طارق: الحل أننا نمشي في سكتين مع بعض.. أول سكة أننا نقاوم اللعنة والتانية أننا نفكها.

أحمد: طب وإيه الفرق بين نقاومها ونفكها؟

طارق: نقاومها بأننا نمسح الآثار اللي اتسببت فيها يعني بمعنى أصح نصحي مشاعرك.. نرجعك بني آدم بتحس ونخلصك من اللامبالاة والوحدة، أما عشان تفك اللعنة فلازم نعرف مصدرها.. لعنة كيوبيد بتحل عالإنسان لما بيظلم حد باسم الحب أو يخدعه ويعشمه.. والشخص اللي أنت ظلمته وكان سبب في أن كيوبيد يصيبك باللعنة ويخسرك أميرة اللي هي حب عمرك كيوبيد أشار إليها باسم وردة.. مع أنك عمرك ما عرفت واحدة اسمها وردة، لكن الوردة هي رمز للحب.. وبالتالي كيوبيد بيكرر أنا هقتل أميرة زي ما أنت قتلت وردة.. بمعنى أنه هيفسد قصة الحب اللي بينك وبين أميرة زي ما أنت قتلت حب وردة..

أنا قادر أفهم من حلمك إني أنا الوحيد اللي هساعدك.. عشان كده جتلك في هيئة كيوبيد.. ودي رسالة مفهومة جداً وعلامة أن إحنا نتقابل والوردة اللي بتنزف دم هي البنت اللي أنت ظلمتها أو زي ما أشار كيوبيد قتلتها.. عشان كده لازم نوصل لوردة بأي طريقة... قولي يا احمد.. قبل ما تعرف أميرة.. عمرك ضحكت على بنت أو استغلتها؟؟.. وياريت تجاوب بصراحة.

ابتلع أحمد ريقه بصعوبة قبل أن يجيب:

. هو لو عالبنات اللي عرفتهم يا دكتور قبل أميرة فالمفروض كيوبيد يجي ماسك بوكيه ورد مش وردة.

قطعت دقات الساعة وهي تشير إلى الثانية عشرة منتصف الليل حديثهما لينظر الطبيب إلى الساعة بأسف كبير ليقول:

. في الحقيقة أنا مكنتش متخيل أنك ممكن تكون حالة جدية تصلح للمناقشة فمكنتش متصور أننا هنطول مع بعض في الكلام بالشكل ده للأسف الوقت سرقنا وللأسف ورايا ميعاد عائلي.. أنا بقول كفاية كده وتقوم تروح دلوقتي ترتاح.. إلا قولي يا أحمد أنت شغال إيه..؟.

أحمد: فاتح محل في شارع السلطان يا دكتور.

طارق: محل إيه ؟؟

أخرج أحمد من جيبه كارت للمحل معطياً إياه لدكتور طارق لينظر الأخير به قارئاً ما عليه بصوت مرتفع.. الملكة للانجيري والقطنيات وضع الطبيب الكارت بجيب الجاكيت المهترئ قبل أن يقول:

. حتى في الشغل نسوان.. مرزق يا أبوحميد مش أنا ليل ونهار سناء عالعموم تقدر تروح.

أحمد: طب أجيلك تاني إمتى.

ابتسم دكتور طارق قائلاً:

. أنا الدكتور الوحيد اللي مينفعش أحددلك ميعاد الاستشارة لما تحس أنك عايز تجيلي.. رقمي معاك وعلى فكرة أنا متأكد أن كيوبيد هيساعدك وهيديك تفاصيل أكتر بمرور الوقت عالعموم لما تحتاجني يا أحمد كلمني عشان نفصص البوكيه ده وردة وردة.

أحمد: طب وفكرك الحلم هيتكرر ولا هيقف؟؟

طارق: لا هيتكرر ولا هيقف.. أنت خدت خطوة وجتلي وأنا متأكد أن كيوبيد هياخد خطوة تانية عشان يوضح رسالته، فيه حاجة كمان لازم تعرفها يا أحمد اللعنة دي بتتغذى عالوحدة.فياريت تحاول تتجنب الوحدة تماماً.

صافح أحمد الطبيب وصاحبه حتى باب العيادة قبل أن يهبط أحمد الدرَج متوجهاً إلى سيارته.

***

جلس الطبيب على مكتبه بعدما اصطحب صينية الطعام التي أعدتها له سناء الممرضة قبل انصرافها وبعدما أعد كوباً من الشاي المُطعم بنبات النعناع المحبب إلى قلبه قبل أن يمسك هاتفه ناقلاً التسجيل الذي أتمه لجلسته مع أحمد على حاسوبه النقال وهو يبتسم فرحاً بصناعة مجلد جديد لينضم إلى المرضى السابقين.. ولا يزال يحتفظ بملفاتهم أتم نقل الملف الصوتي لتسجيل الجلسة الأولى قبل أن ينظر إلى الملف الذي أعدته سناء محتوياً على اسم مريضه الجديد ويدونه على ذلك الملف.. "أحمد يوسف إبراهيم..".

أتم تلك المهمة قبل أن يمسك هاتفه من جديد ويضغط بعض أزراره ويبدأ بالحديث:

"إيه يا حبيبتي.. معلش عارف إني أتأخرت عليكي وأن ميعاد كلامنا الثابت الساعة 12.. بس أنتي عارفة ميأخرنيش عنك غير الشديد الأوي.. خلاص بقى متزعليش وحياتي ده أنا حتى جايبلك حتة خبر هيفرحك أووي.. لا مش هقول غير ماتقوليلي إنك بتحبيني.. وأنا كمان بحبك أووووي.. النهارده جتلي حالة جديدة يا هدى.. لا طبعاً مش ده الخبر الخبر يا ستي إنها حالة جديدة من لعنة كيوبيد وحالة واضحة جداً وحاسس كده والله أعلم إني أخيراً هنحقق حلمنا يا هدى.. أخيراً هخليكي فخورة بيا.."

ترك الطبيب الهاتف وقد دمَت عيناه دمعاً إثر حديثه المُعتاد اليومي مع زوجته (الراحلة) هدى.. نعم الراحلة.. ليس خطأ إملائيا.. أو سهواً.. راحلة منذ حوالي خمس سنوات، ولكنها وأن رحلت عن عالمنا.. فلا تزال باقية بعالم دكتور طارق، نعم إلى هذا الحد بل وأكثر.. مضى على وفاتها خمس سنوات.. ولكنها وكأنها البارحة.. فقد أعتاد يومياً طيلة هذه السنوات أن يفتح مسجل هاتفه ويتحدث معها، بل والأغرب من ذلك.. يستمع إلى ردها وكأنها تتحدث معه، يستشيرها بكل أمور حياته ويتناقش معها بل ويختلف معها في الرأي أحياناً.. خمس سنوات وما زالت عيناه تبكيها بعد كل حديث معها وكأنها فارقته يوم أمس، يحيى وحيداً مستأنساً بذكراها.. ولعل ذلك هو أبرز أسباب إطلاق الناس من حوله عليه لقب "هوبا".. كلما اقترب من حياته أحدهم يتفاجأ به قبل كل قرار يؤكد وينوه.. "هبقى أخد رأي هدى".. وبدلاً من أن يصير مثالاً للزوج الوفي والحب الأبدي.. حوله مجتمعنا إلى هوبا.

***

أما أحمد فقد وصل إلى منزله، دخل إلى غرفته.. بدل ثيابه.. ثم أخرج من خزانته ألبوما يحتوي على صور لذكرياته مع أميرة.. جلس على فراشه متصفحا إياه.. شاعرا برياح شوق وحنين تهب على قلبه.. يتذكر كل صورة بموقفها بنبرة صوت أميرة.. برائحة عطرها التي لا تزال تسكن فؤاده حتى اللحظة.

لحظات مرت قبل أن يعيد الألبوم إلى خزانته.. وقف أمام سريره متحدثاً بصوت خافت:

"يا ترى مخبيلي إيه يا عم كيوبيد"

ثم ألقى بجسده على الفراش مستسلماً للنوم مستعداً لرحلة جديدة مع كيوبيد.

الفصل الرابع

3 يناير 2017

الشاهد الأول "بتول"

"حب أم رغبة.. قلب أم شهوة"

القضية رقم 1 لسنة 2017 قتل مع العمد المتهم فيها

"أحمد يوسف إبراهيم رشدان"

بقتل المجني عليها وردة مع سبق الإصرار والترصد

فتح عينيه عند سماعه لتلك الكلمات تصفع بآذانه ليجد نفسه بنفس القفص والظلام الغير مكتمل ما زال يخيم على الأجواء إلا منصة القاضي الذي لا يزال جالساً بها.

ولكنه لم ينتفض رعباً أو ذعراً ولم ينطق بحرف واحد بل أراد أن يتابع بصمت نظر إليه القاضي نظرات حادة وثاقبة بعينتين يملأهما الغضب قبل أن يحدثه بصوته الأجش:

. قتلتها ليه؟؟

أحمد: هي مين؟؟

كيوبيد: هتكون مين يعني.. وردة طبعاً

أحمد: إزاي هقتل حد معرفوش..

خبطة من قبضة يد كيوبيد على منصته كانت كفيلة بعودة الرعب إلى قلب أحمد قبل أن يتحدث كيوبيد قائلاً:

. يعني مصمم إنك مقتلتهاش.. نادي عالشاهد الأول

الشاهد الأول..

انطلق ذلك الصوت المخيف يتردد صداه في جنبات القاعة ينادي على الشاهد الأول في القضية.. وما أن اختفى ذلك الصوت الصادر من طيات الظلام.. حتى تحرك أحد الجالسين بمدرجات المحكمة مختبئة ملامحه تحت عباءة الظلام ليقف في المساحة الفاصلة بين المنصة والمدرجات لينعكس عليه ضوء خافت من الضوء المسلط على المنصة لتظهر ملامح أنثوية غير واضحة.. إذن فالشاهد الأول هي أنثى

تحدث إليها رئيس المحكمة:

(اسمك وسنك..)

استدارت بجسدها ليصبح وجهها باتجاه أحمد مباشرةً.. وما أن بدأت بالحديث حتى سقطت عليها دائرة من الضوء لتظهر ملامحها جلية الوضوح وهي تنطق اسمها:

بتول عبد الحميد.. 30 سنة.

في تلك اللحظة شعر أحمد وكأن الدم بكل عرق بداخله صار كالبركان.. واتسعت عيناه حتى كادت تخرج من مكانهما.

انعقد لسانه من جديد ولكن هذه المرة من الدهشة والذهول حتى أن فمه قد فتح عن أخره وهو يراها واقفة أمامه وابتسامة الانتقام تطغى ملامح وجهها.. فأخذ بالصراخ:

. بتول... فهميني في إيه.. ؟

اتسعت ابتسامتها المليئة بنار البغض وهي لا تزال تنظر إليه ثم استدارت موجهة حديثها إلى رئيس المحكمة:

. أيوه أحمد هو اللي قتل وردة.. أنا متأكدة من ده.. أنا شوفته.. وهو بيحاول يقتلها قبل كده بس فشل يبقى أكيد هو اللي قتلها.

وقف أحمد بالقفص صارخاً بكل ما يمتلك من قوة:

. وردة مين؟؟.. إنتو عايزين تجننوني.؟؟!!

لم يلتفت القاضي إلى أحمد ولكنه استمر موجهاً حديثه إلى بتول قائلا:

(علاقتك إيه بالمتهم يا بتول..)

ضحكت بتول ضحكة استهزاء قبل أن تقول:

. حتة عيل اتعرفت عليه بالصدفة بعد ما اتطلقت بسنة.. فضل يتمسكن ويمثل أنه بيحبني لحد ما وصل للي هو عايزه.. وزيه زي كل الرجالة زهق ورماني.

هنا صرخ أحمد مدافعا عن نفسه قائلا:

. ما حصلش.. أنا عمري ماقولتلك إني بحبك يا بتول.

وفور نطقه بهذه الكلمات اختفت كل الأضواء مجدداً وعم السكون.

تراجع خطوات إلى الخلف حتى وصل إلى دكة الجلوس فجلس والتعب ينهش جسده واضعاً كفيه على وجهه مغمضاً عينيه لبضع لحظات والصمت يسود الموقف..

أنطلق صوت صرير مرتفع فرفع وجهه فإذا بباب القفص قد فُتح.. والأنوار الباهتة تسيطر على الوضع والقاعة خالية تماماً.

لحظات من الدهشة مرت وعيناه زائغتان يتأكدا من خلو القاعة تماماً.. بالفعل لا يوجد أحد هنا سواه.. أين ذهب رئيس المحكمة؟؟ وأين ذهبت بتول؟؟ وأين ذهب الجالسون؟؟.. بدأ في استطلاع ملامح القاعة القديمة المشققة الجدران التي ظهرت بشكل طفيف إثر ذلك الضوء الباهت. قبل أن يتمالك أعصابه وذهب ببطء إلى باب القفص المفتوح.. خرج من القفص.. والقاعة خالية من الأفراد والأصوات.. وقف متردداً..

هل يذهب؟؟!!.. هل هناك بديل؟؟!.. خطر بباله أن يصيح عسى أن يلفت انتباه من يؤنس وحدته وخوفه... همهم قليلا قبل أن يصيح..

. بتول.. يا بتول أنتي فين.

ولكن لا حياة لمن تنادي.. وأخيراً قرر أن يتحرك تجاه باب القاعة.. وبدأ يخطو خطوات بطيئة ومنظمة ويصدر بها صوتاً ملحوظاً حتى وصل إلى باب القاعة.. وضع يده المرتجفة على المقبض النحاسي اللامع محاولاً فتح الباب ولكن دون جدوى.. حاول مراراً وتكراراً.. حتى انخلع المقبض بيده.. فجأة سمع أحمد صوت ضحكات نسائية يعرفها جيداً صادرة من خلفه فاستدار ببطء فإذا بها بتول واقفة مربعة الأيدي على بعد خطوات منه.

اقترب منها ببطء فإذا بها تمد يديها إليه ممسكة بمرآة وابتسامة البغض تشع بما تحمله وهي تقول:

. امسك المرايا وبص على شكلك بقى عامل إزاي.

مد أحمد يده ببطء وأخذها منها بحذر ليضعها أمامه على مهل. لينتفض جسده من هول ما رأى فقد ظهر في المرآة وكأن أحدهم قد أقتلع عينيه.. ألقى المرآة فزعاً ووضع يديه على عينيه ليتحسسهما وهو يصرخ.. وإذا بيد تمتد لتشده من شعره الكثيف إلى الخلف حتى كادت أن تكسر عنقه.. ليرى رئيس المحكمة والغضب يجحظ من عينيه حتى صارت دامية الاحمرار وممسكاً بوردته النازفة بيده الأخرى الملطخة بالدماء ويصرخ قائلاً:

"أنا كيوبيد احفظ اسمي كويس.. كيوبيد.. قتلتلك أميرة زي ما أنت قتلت وردة.. قتلتلك أميرة.. .زي ما أنت قتلت وردة"

وظل يجذبه من رأسه بعنف شديد حتى طرحه أرضاً.

فتح أحمد عينيه ليجد نفسه مطروح أرضاً بجوار سريره تتسارع أنفاسه وكأنه كاد أن يختنق هم بالنهوض واضعاً يديه على عينيه وكأنه يتأكد من وجودهما.

***

انطلق صوت جرس الباب بشقة المهندس على صديق بأحد الأبراج السكنية الشاهقة بشارع محمد على الشهير بمدينة إسماعيلية، لتتجه مدام فريدة زوجته إلى الباب وتفتحه بلهفة كبيرة لتجد هاجر ابنة شقيقتها واقفة أمامها ليتبادلا السلام والقبلات التي حولها معشر النساء إلى ثلاث دليلاً على الترحيب.

هاجر: صباح الخير يا خالتو ها أميرة جهزت ولا هتعطلني سنة زي عوايدها.

فريدة: صباح الخير يا روح خالتو آه جهزت.. إوعي يا جوجو أميرة تحس إني أنا اللي زقاكي عليها.

هاجر: ما تقلقيش عيب عليكي.

همت مدام فريدة باستكمال حديثها قبل أن تلاحظ ولوج أميرة إلى غرفة الاستقبال وهي على أتم الاستعداد للخروج من المنزل.

أميرة: صباح الخير يا ماما.. صباح الخير يا جوجو إيه رأيك ما أتأخرتش أهو وجهزت، موضوع إيه اللي عيزاني فيه عالصبح كده.

هاجر: بعدين بقى يا ميرو هبقى أقولك... باي يا طنط.

فريدة: باي يا حبايب قلبي.. متتأخروش هستناكو عالغدا.

هبطت أميرة بصحبة ابنة خالتها وصديقتها منذ الصغر هاجر، واتجها إلى سيارة الأولى قبل أن تبدأ أميرة بإدارة محرك السيارة وتبدأ هاجر بالتحدث.

هاجر: يخرب عقلك يا ميرو طب وربنا أنتي تنفعي ممثلة اللي يشوفك وأنتي مستعبطة قدام مامتك ميقولش إني حكيتلك عن مكالمتها معايا إمبارح.

أميرة: مشكلة ماما وكل الجيل بتاعها إنهم مفكرين نفسهم أذكى مننا.

هاجر: ما هي برده يا ميرو خايفة عليكي، شيفاكي قاعدة لوحدك على طول وقافلة على نفسك عايزة تنسيكي أحمد بأي طريقة.. وشيفاني أني الوحيدة اللي أقدر أساعدك في ده.

أميرة: مشكلة أحمد إنه دخل حياتي واستحوذ عليها كلها بقى خطيبي وحبيبي وأهلي وصحابي ماما متخيلة إني هدوس على زرار هنساه.. ده لو أنا أصلاً عايزة أنساه.

هاجر: طب أنتي راحة بينا على فين... مش متفقين نروح نقعد في النادي؟ ده مش طريق النادي خالص.

أميرة: يعني هخطفك يا هاجر مثلاً!! أنا بس بقول نروح بيتك، مامتك بقالي كتير ما شوفتهاش.

ضحكت هاجر ضحكة تعني بفهمها لما يدور بعقل أميرة، فبيت هاجر يقع في شارع السلطان حسين ولا يبعد عن محل أحمد سوى بضعة أمتار وخصوصاً أن غرفة هاجر تستطيع من خلالها أميرة أن ترى أحمد.. قبل أن تتحدث هاجر قائلة:

هاجر: للدرجة دي وحشك؟؟

أميرة: هو مين ده اللي وحشني يا بنتي؟

هاجر: بيتنا.. هيكون مين يعني؟

أميرة: آه وحشني ووحشني أوي كمان.. ويلا يا لمضة عشان وصلنا.

هبطت أميرة وبصحبتها هاجر من السيارة وتوجهتا إلى باب عمارة هاجر.. ولكن أميرة كانت تبحث بعينيها البنيتين من أسفل تلك النظارة الشمسية عنه فبعد أن نظرت نظرة خاطفة على المحل لتجده مغلقاً نظرت إلى ساعتها لتجدها تشير إلى الحادية عشرة فأعادت البحث من جديد بعينيها عسى أن تجد سيارته السوداء هنا أو هناك قبل أن تقاطع هاجر بحثها قائلة:

هاجر: متتعبيش نفسك مبيفتحش إلا عالعصر.

أميرة: على فكرة أنتي دماغك بتروح بعيد أنا ببص عالصيدلية فاتحة ولا لا عشان مصدعة.

هاجر: طب ما أنا قصدي عالصيدلية أمال أنتي فهمتي إيه؟!

تبادلا الضحكات قبل أن تصعد كل منهما تباعاً إلى شقة هاجر لتقابلهما والدتها بكل ترحاب قبل أن تدخلا إلى غرفة هاجر، وبالطبع أصرت أميرة على الجلوس بالشرفة الخاصة بالغرفة.

***

لم بتول الآن؟؟

هكذا حدثه عقله.. لقد مضى على انتهاء علاقته بها حوالي الثلاث سنوات ونصف ولم يسبق أن يراها في عقله المستيقظ لا النائم منذ أن قطع علاقته بها.. هل لها علاقة بتلك اللعنة التي أصابته؟؟؟ هل هي وردة؟؟!!

ظل يطرح على نفسه تلك الأسئلة متذكراً دموع بتول في أخر لقاء جمع بينهما وهو يعلمها بنيته للفراق.. هل ظلمها؟؟ ظل يوجه التساؤلات والاتهامات إلى عقله واقفاً أمام مرآته قبل أن تفيقه دقات ساعة الحائط معلنة عن الثانية عشرة ظهراً.. وبدون أي تفكير اتجه إلى هاتفه واتصل بدكتور طارق.

أنفاسه تترجى الطبيب أن يرد ولكن دون جدوى يعاود الاتصال مراتٍ ومرات حتى أتاه ذلك الصوت الذي طالما أحبطنا عند محاولة الاتصال بأحدهم ليعلن أن ذلك الهاتف مغلق أو غير متاح.

ألقى الهاتف في غضب مشعلاً سيجارة ينفِخ بها ما يضيق به صدره حتى أعاد اهتزاز هاتفه الأمل بقلبه فأسرع إليه متمنياً أن يكون دكتور طارق هو المتصل.. ولكن وجد اسم والدته هو المتصل فهي لم تكن موجودة بالمنزل عندما أستيقظ ذلك الصباح.

عائشة: صباح الخير يا حبيبي.. إيه صحيتك؟؟

أحمد: لا يا أمي أنا صاحي.. أومال أنتي فين.

عائشة: أنا عند يمنى وعندي خبر حلو ليك.

أحمد: خير.. ؟؟!!

عائشة: هتبقى خالو قريب..

أحمد: بجد؟؟!!! مبروووك يا أمي مبروك.. وباركي ليمنى.

أغلق الهاتف مع والدته وارتسمت الابتسامة على ثغره للمرة الأولى منذ شهور.. فقد طال انتظار سماع ذلك الخبر.

مرت حوالي الساعة أستعد خلالها أحمد للنزول وركب سيارته مستعداً للذهاب إلى محله ومازالت صورة بتول لا تفارق عقله، يفكر بها باستمرار أدار محرك سيارته ووقف في إحدى إشارات المرور مستمتعاً بنبرات أم كلثوم وأغنية فات الميعاد التي يعشقها ووقف في إحدى إشارات المرور..

"بتفكر فيا مش كده؟؟.."

أتاه ذلك الصوت من على يمينه ليلتفت ليجد بتول جالسة بجواره تنظر إليه بعينيها البنيتين وتداعب خصلات شعرها الأحمر.. اتسعت عينا أحمد ذهولاً بما رأى قبل أن تستكمل بتول:

"بص وراك كده.."

بدأ أحمد في تحريك رأسه في تردد وعلى مهل لينظر وراءه ليجد الزجاج الخلفي لسيارته قد كُتب عليه اسم وردة بالدماء السائلة..

أفاقته أبواق السيارات من ذهوله ليعيد النظر إلى الكرسي جواره ليجد بتول قد اختفت واختفى معها ما كُتب على الزجاج..

تحرك بسيارته وقد قرر ألا يذهب إلى محله فقد أستنتج أن تلك الهلاوس ملازمة لوحدته وأيد ذلك التفكير كلام دكتور طارق له بالأمس ففكر أن يذهب إلى مكان تعجه الضوضاء والناس.. وبالفعل قرر أن يذهب إلى تلك الكافيتيريا التي احتوت على معظم ذكرياته.

وبالفعل اتجه إلى الكافيتيريا وجلس على طاولته المفضلة وما هي لحظات إلا وأتاه أحد العاملين بالكافيتيريا بمشروبه الوحيد والمعبر عن حالته حالياً قهوة سادة... بدأ في ارتشافها مشعلاً سيجارة محاولاً الالتفات إلى أي شيء يشتت تفكيره عن كوابيسه المستمرة وهلاوسه المزعجة... زاغت عيناه متفقدة الجالسين على كل طاولة.

أطال النظر على شاب تجلس بجواره فتاة يبدو على وجهه العبوس والجمود وبجواره الفتاة تحاول بكل ما تملك من قوة إخراجه من تلك الحالة.

حتى سئمت صارخة ومنفجرة بالبكاء:

. يا رامي حرام كده فيك إيه.. ليه متغير معايا.. مخبي عني إيه أنا خطيبتك مينفعش تخبي عني حاجة.. بقالك 3 شهور عالحالة دي أنا معنتش قادرة أستحمل أنا همشي يا رامي..

قالت تلك الكلمات منتظرة منه أن يتمسك بها ولكن لا حياة لمن تنادي فقد رد ببرود متناهي قائلاً:

. براحتك يا غادة

بشكل أو بآخر ذكره ذلك الحوار بينهما بآخر حوار دار بينه وبين أميرة، فأراد بكل جوارحه أن ينقذ ما يمكن إنقاذه بحياة ذلك الشاب.. أراد أن يخبره أنه الآن ربما يكون مخدراً بفعل تلك اللعنة.. وسيستيقظ على جحيم.. هم واقفاً كمن لدغه ثعبان سام.. فأزاح عن غير قصد فنجال القهوة ليسقط مكسوراً وترحل الفتاة ويبقى الشاب وحيداً.

"خير يا أستاذ أحمد.. دلق القهوة خير ولا يهمك.. هعملك غيرها.."

هكذا تحدث إليه أحد العاملين وهو يزيح آثار كسر الفنجال والقهوة المسكوبة.. جلس أحمد مطيلاً النظر بذلك الشاب ليرى بملامحه الباهتة وجمود ملامحه ما حدث له طيلة الشهور الماضية.. اهتز هاتفه ليعلن عن قدوم رسالة من دكتور طارق تعلن عن فتح هاتفه فيسرع أحمد ويحضر رقمه ويتصل به دون أدنى تفكير ليرد عليه دكتور طارق قائلا:

طارق: إيه يا أبو حميد.. كنت متأكد إنك هتتصل

أحمد: دكتور أنا لازم أشوفك دلوقتي.. أجيلك العيادة؟؟

طارق: عيادة إيه يابني الساعة 1 الضهر؟؟ خليها على 7 بليل كده

أحمد: لا يا دكتور لازم اشوفك دلوقتي حالاً

صمت دكتور طارق قليلا قبل أن يجيب:

طارق: طيب أنا في البيت هلبس وأكلمك وأنا نازل عشان نحدد نتقابل فين.

ليرد أحمد عليه قائلا:

: طيب يا دكتور أنا قاعد في كافيه cassmento عند الجامعة القديمة مستنيك.

وبالفعل أغلق أحمد الخط مع دكتور طارق متمنياً أن يصل سريعاً وبالفعل.. ما هي إلا خمس دقائق حتى وصل دكتور طارق مرتدياً زياً

رياضياً يبدو عليه الاهتراء حتى أن لونه الأبيض قد تحول إلى أصفر وسط استغراب وذهول وسعادة أحمد بوصوله سريعا قائلاً:

.: إيه يا دكتور أنت ركبت صاروخ وجتلي ولا إيه

طارق.: لا في الحقيقة أنا قاعد عند أختي وبيتها في ضهر الكافيتيريا وبالمناسبة هي عايشة مع جوزها في الكويت بس هي حالياً في اجازة ومسافرة بكره، فاعمل حسابك لما بتسافر بعمل شقتها عيادتي.

أحمد.: أومال العيادة اللي جتلك فيها إمبارح دي إيه؟!

نظر إليه دكتور طارق والدموع تحتبس بعينيه والحزن يخيم على ملامح وجهه قائلا:

.: دي شقة الدكتورة هدى.. مراتي الله يرحمها.. تعرف هي الوحيدة اللي كانت مقتنعة بالنظرية بتاعتي.. لدرجة إنها صرفت كل قرش ورثته عن أبوها علشان نثبتها لكن للأسف محصلش.. لحد ما تعبت وكانت محتاجة عملية بمبلغ كبير شوية في وقت كنا فلسنا فيه.. وماتت.. عشان كده من ساعتها وأنا واخد عهد على نفسي أن لحد ما أموت أفضل أحاول أثبت صحة النظرية دي.

شعر أحمد بالحرج بسبب ما تسبب به سؤاله من حزن لدكتور طارق فهم أن يعتذر قبل أن يقاطعه الطبيب قائلا:

.: سيبك مني المهم قولي عايزني في إيه ضروري.

ليقاطع حوارهم وصول أحد العاملين بالكافيتيريا قائلا:

"أجبلكوا حاجة يا أستاذ أحمد"

وجه أحمد أنظاره إلى دكتور طارق قائلا:

.: تشرب إيه يا دكتور.

طارق: لو هنمشيها إنجليزي.. يبقى شكراً مش قادر والله.. أما لو أنت اللي

هتعزم.. يبقى نشوف ناكل إيه بقى

نظر إليه أحمد ضاحكاً قبل أن يقول:

: ماشي كلامك يا دكتور شوف تحب تاكل إيه..

مرت ساعة كان انتهى خلالها دكتور طارق من تناول طعامه، ثم أخرج هاتفه وأعده للتسجيل واضعاً إياه على الطاولة، ليبدأ الحديث قائلاً:

: ها بقى يا ابوحميد كنت عايزني في إيه؟

تحدث أحمد ساردا ما رآه بحلمه وخيالات بتول الشاهدة الأولى في قضيته التي تطارده منذ صباح اليوم واختتم حديثه قائلاً:

: أنا حاسس أن بتول هي وردة يا دكتور..

طارق: طيب خليني مع احتمالك.. قولي أنت أتعرفت عليها إزاي؟

سحب أحمد من علبة سجائره سيجارة وأشعلها قبل أن يبدأ في سرد ذكرياته مع بتول لدكتور طارق قائلاً:

: اتعرفت عليها بالصدفة كنت حوالي 19 سنة.. كنت يومها قاعد في الجامعة ومعايا صحابي.. وهي كانت بتعيد أخر سنة في كلية تجارة أول ما دخلت الجامعة الدنيا اتقلبت.. بنت زي القمر إستايلها غريب ولبسها ضيق جدا.. بشرتها قمحية وكانت عاملة شعرها أحمر كيرلي كل العيون عليها.. مش رجالة بس لا زي مالرجالة كانوا بيبصولها بصة رغبة.. البنات برده كانوا بيبصولها بصة حقد وغل على جسمها المتناسق رغم أنها طويلة نسبياً بس تقسيمات جسمها خلت طولها ده مثير جداً، ده غير الإشاعات والكلام اللي اتقال عليها باختصار إنها شمال.. وبصراحة ده

كان شيء واضح جدا ويشاء القدر إنها تطلع جارة واحدة صاحبتي وتيجي تسلم عليها.

هنا قاطعه دكتور طارق مازحاً:

:. وطبعا ما صدقت أنت جبت معاها كلام على طول.

هز أحمد رأسه بالإيجاب قائلا:

وخرجنا بالليل أنا وهي.

وبدأ أحمد في سرد ذكريات تلك النزهة التي بدأت بنفس الكافيتيريا التي يجلس بها بصحبة دكتور طارق تناولا قدحين من القهوة قبل أن تخاطبه بتول قائلة:

تعالى نلف بالعربية حبة.

وبالفعل ركبا سيارتها وما أن أغلقت باب السيارة حتى انطلقت بها كالمجنونة تعبر من بين السيارات وتضحك بهيستريا غير مفهومة أشبه بالصرخات.. وسط رعب أحمد وصراخه حتى توقفت بمنطقة نائية يعجها الظلام وما زال أحمد يحاول التقاط أنفاسه فإذا بها تصدمه قائلة:

ليك في الحشيش؟؟؟

لم تمهله فرصة للرد ولكنها أخرجت سيجارتين معبئتين بذلك النبات ولاحظت الصدمة على وجه أحمد ففهمت أنه لم يسبق له أن يشربه من قبل فأشعلت إحداهما واختارت أن تشربها على أغنية فات الميعاد لأم كلثوم..

ثم بدأت في الاندماج التام مع ألحان الأغنية وطرب (الست) كما اعتادت أن تطلق عليها وأخذت تغني معها إلى أخر نفس بتلك السيجارة التي أشعلتها.. وكأن (الست) مرتبطة بسجائر الحشيش معها وهي العادة

التي ورثها منها أحمد فما أن ألقت بعقب هذه السيجارة.. فإذا بها توقف الوصلة الطربية الممثلة في.. فات الميعاد.

ساد الصمت قليلاً ولا يزال أحمد عاجزاً عن أي فعل أو نطق أي كلمة حتى قطع صوتها هذا الصمت.. قائلة.

"بتول عبد الحميد من الشرقية.. أمي ماتت وهي بتولدني.. أبويا كان رجل طيب أوي ومبسوط جداً وعمره ما حرمني من حاجة مات وأنا في 2 ثانوي وسابني لقرايبه اللي كل همهم الفلوس اللي سابها.. ولما عرفوا أنه كاتبلي كل حاجة باسمي.. مابقوش طايقيني.. وبعد سنة بالظبط كنت لسه مخلصة ثانوية عامة رموني لأول كلب ريل على حتة اللحمة اللي عندهم، كان اسمه نادر اتجوزته وجيت معاه على الإسماعيلية.. في البداية كان فرحان باللعبة الجديدة اللي معاه.. صغيرة وحلوة ومريحاه في السرير.. بس أول ما زهق من لعبته الجديدة بان على حقيقته.. خيانة وسهر لوش الفجر ولما اعترضت طول لسانه عليا وضربني.. طلبت الطلاق كتهديد لقيته ما صدق ورماني في الشارع.. مكنش قدامي غير حاجة من اتنين يا أرجع لأهل بابا تاني وأعيده من الأول يا أعيش لوحدي هنا، وأنا اخترت التانية.. وفضلت قافلة على نفسي وفي حالي لحد ما قابلت هشام.. أكبر مني بسنة أمور وغني وعمره ما هيعرفني عشان مصلحة اتعرف علي وصارحني أنه بيحبني.. ووعدني نتجوز بس في الوقت المناسب.. ضعفت قصاده وكانت أول مرة أغضب ربنا.. وفضلنا كده فترة لحد ما زهق هو كمان وبدأ يختفي واحدة واحدة ولما واجهته.. قالي صعب يتجوز واحدة مطلقة!!!.. طب حببني فيه ليه؟؟.. وهشام جر غيره وغيره جر غيره.. بقيت بحب الرجالة مش عشان بحبهم.. لا عشان بس أحس أن حد بيهتم بيا.. لكن للأسف فترة والاهتمام بيروح.. وارجع وحيدة.. مجرد ما الرجالة بيوصلوا للي عايزينه خلاص بيملوا وبيزهقوا.. كلكم كده.. حتى أنت يا أحمد خارج معايا دلوقتي عشان مبهور بشكلي وبتفكر في جسمي وبس.. لكن فترة وهتزهق مني ومن جسمي وهتبعد.. لكن محدش بيهتم بيا ولا

فارقة مع حد.. لو مت بكره الصبح هيقولوا.. كلبة وراحت المفروض أعمل إيه.. أعيش لوحدي ومعرفش حد لحد ما أموت؟؟.. لا آسفة هعيش وبراحتي وكل اللي بيقولوا علي شمال هم اللي شمال.. كلكم شمال".

أوشكت بتول على الدخول في حالة انهيار عصبي تام.. فلم يشعر أحمد بنفسه إلا وهو يضمها ويعتصرها بين ذراعيه حتى هدأت,

مرت دقائق وما زالت بتول تتنهد في طيات أحضانه ثم قالت بنبرة لم يخلو منها الضعف:

تعرف أن بقالي كتير محدش حضني عشان خايف علي وبس أو عشان يصالحني.. بجد كنت محتاجة الحضن ده أووي.. شكرا يا احمد.

أحمد: يا باشا أنت تؤمر كل ما تعوز تتحضن رنة بس أجي أحضنك وأمشي على طول.

انطلقت ضحكاتها من جديد كمن عادت روحه إلى جسده ثم أدارت محرك سيارتها، وانطلقا.. أوصلته إلى بيته ثم عادت إلى منزلها.

وقد طلب منها أحمد قبل أن ترحل أن تهاتفه بمجرد وصولها وهو ما فعلت.. وتعاهدا أن تصبح تلك عادة فتهاتفه قبل أن تخرج وتهاتفه حينما تعود.. وفيما بينهما لا يخلو من مهاتفته لها لكي يطمئن عليها.

هنا قاطعه دكتور طارق قائلا:

طب واهتمامك بيها ده.. حب مثلا.

صمت أحمد مرة أخرى ولكن في تلك المرة لم يتذكر أي موقف لكنه تذكر فقط ذلك الصراع الذي دار بداخله بعد أول لقاء جمعه ببتول في الجامعة منذ أن تشابكت أصابعهما للمرة الأولى... ثم ودعتهم بتول وانصرفت.. لم يدري ما الذي أصابه عندما لامست يدها يده... ولكن شيء ما جاء ليخبر قلبه أن تلك الأصابع ستتشابك مراراً وتكراراً...

انصرفت بتول، ولكنها ظلت باقية في خياله تلازمه كظِل رفض أن يُقيد وجوده بشمس بل استمر حتى أخر ساعات الليل وأول ساعات النهار.

بالرغم أن أحمد لم يكن بذلك الفتى الباحث عن الحب في كل مكان، ولا بالعاشق الذي يمكن أن تصيبه أنثى بسهام عينيها ليخر راكعاً طالباً صك الود والوصال.. إلا أن نظرات بتول قد أصابت أكثر ما كان يتوقع.. حتى أن قلبه قد رفع أعلامه البيضاء مستسلماً لأنوثتها الطاغية ورقة صوتها.. وفي الوقت الذي كان من المفترض أن يجد عقله يرفض ذلك المسار إلا أنه كان غارقًا هو الآخر في مأساته.. فأخذ يبادر هو الآخر بنفس السؤال من حين لآخر مرددا:

ألن نلتقي مجددا؟؟ ألن نراها مجددا؟؟

ولعل أكثر ما أثار دهشته هو أن وصف صديقته لتلك الفتاة لم يمنعه عن التفكير بها.. فبالرغم أنها نعتتها بصفات العاهرات مشيرة إلى تعدد علاقاتها مع الرجال.. قبل أن تنتقل من نفس العمارة التي تقطن بها بتول.. إلا أنه قد تجاهل ذلك تماماً وأخذ يسأل نفسه.. هل تجاهل كل ذلك عمداً؟؟.. أم كان ذلك الوصف سبباً في شغفه ببتول؟؟

كان في ذلك الوقت مثله كمثل الكثير من المراهقين في عمره، ليس بيوسف.. ، ولكن أقصى تجاوز قد وطأته نفسه بعلاقاته هي بعض اللمسات الخفية والقبلات المسروقة مع أي من الفتيات... لكن بتول كانت تبدو مختلفة من الوهلة الأولى، كان متأكداً أنه سيصل معها يوماً إلى ما لم يصل إليه مع أي أنثى قط.. بل وبالأحرى كان ذلك هدفه ومبتغاه منذ أول لقاء بينهما.

خرج من دائرة تفكيره على صوت دكتور طارق وهو يعيد نفس السؤال.. لينظر له أحمد قائلا:

"رغبة مش حب.."

نظر له دكتور طارق باسما ثم قال:

:. برافو على صراحتك.. وطبعا وصلت لـ اللي أنت عايزه..

ابتسم أحمد ابتسامة خزي من النفس ففهم الطبيب مغزاها ليسأله مرة أخرى:

طب ومن ضمن الاهتمام ده فهمتها أنك بتحبها طبعا..؟

هم أحمد أن يجيب إلا أن صوت هاتف دكتور طارق قاطع إجابته ليمسك به ويرد قائلا:

أيوه يا لبنى.. حاضر يا ستي هاروح أجيبه وأجيلك.

أغلق الهاتف ونظر إلى أحمد قائلاً:

معلش يا أبوحميد.. هضطر أمشي عشان أجيب إياد ابن أختي من النادي بس هشوفك بالليل أكيد أنا هكون في العيادة من 7 كده..

وبالفعل انصرف دكتور طارق مودعاً أحمد الذي تناول قدحاً آخر من القهوة ثم نظر إلى ساعته ليجدها قد تجاوزت الرابعة فركب سيارته متجها إلى محله.

***

بصالة الاستقبال بإحدى الفنادق الكبيرة بالقاهرة جلس المهندس حازم هاني زهران يتناول كأساً من عصير البرتقال وقد أتم المهمة التي أرسله فيها والده صاحب إحدى كبرى شركات المقاولات منتظراً انتهاء الـ check out ونقل حقائبه إلى سيارته الخاصة والحقيقة أن والد حازم قد تعمد إرساله إلى مهام خارج حدود مدينة الإسماعيلية لإبعاده عن تلك الفتاة التي سيطرت على عقله وحياته لدرجة أنه قد أوشك على الدخول في حالة من حالات الاكتئاب الشديد، بعد خطبتها إلى أحمد، فقد رأى

حازم أن أميرة صديقة طفولته قد فضلت عليه شخصاً أقل منه في جميع النواحي وهو ما سبب له شعوراً بعدم الثقة الشديد.

فوالد حازم المهندس هاني زهران هو صديق والد أميرة الصدوق منذ الصغر، كما تجمعهما شراكة في العديد من المجالات، وقد تربى حازم وأميرة بجوار بعضهما البعض منذ نعومة أظفارهما وعندما بدأت وردات المراهقة في التفتح داخل قلب حازم أحبها من كل فؤاده لم ير غيرها أي أنثى تصلح لأن تكون زوجته وصار يصرح بذلك الحب إلى الأقصى والداني.

ولكن رغم كل تلك الظروف التي تسمح له باقتناص فؤادها ولأن ليس على القلوب سلطان، لم تجد فيه أميرة فتى أحلامها ولم تبادله نفس الشعور، بل فضلت عليه شخصاً أقل منه في جميع النواحي المادية منها والمجتمعية "حسب وجهة نظر حازم".

ورغم كل ذلك لم يتوقف فؤاده عن التعلق بها بل ازداد لهيبه فلم يجد المهندس هاني والده أي وسيلة لإخراج ابنه من تلك الحالة سوى إرساله في العديد من المهمات خارج المدينة عسى أن ينشغل بعمله أو أن يقابل من تُنسيه حب أميرة ولكن دون جدوى.

جلس يرتشف عصير البرتقال الطازج وهو يمر بعينيه وفؤاده قبل أصبعه على تلك الصور التي يحتفظ بها على هاتفه والتي تجمعه بأميرة منذ ولادتهما وحتى دخول الجامعة.

حتى أتاه أحد العاملين بالفندق وأخبره بانتهاء كل الإجراءات ونقل الحقائب إلى سيارته فركب سيارته واستعد للعودة لمدينته وأسرته ولا يشغل باله سوى أميرة.

***

لو أدركنا جميعاً أن ذلك الدار هو ما ستؤول إليه أجسادنا وما نحن بالحياة سوى مجرد ضيوف عابرين.. ما تنازعنا قط وما اختلفنا قط،

وما ظلم أحد منا الآخر، لو أدركنا جميعاً ذلك.. ما تركنا للفراق باباً إلا وأغلقناه.. كنا سنعلن تمسكنا بكل دقيقة نقضيها مع أحبتنا.. أو على أقل تقدير سنُعلم أفئدتنا ألا تجور، ألا تستبد بهواها، سنتعلم أن نحيى بعدلٍ وسلام.

قد تبدو تلك الكلمات مُعتادة على أفئدتنا أو عقولنا.. حتى مللنا من سماعها أو التفكير بها وتبلدت مشاعرنا تجاهها.. ، لكنه يختلف عنا جميعاً، لم يسمع تلك الكلمات أو يقرأها.. بل مر بها ويعيش على إثرها.

يراه الجميع ضاحكاً طائشاً لا يبالي.. هكذا يبدو لهم فوق خشبة المسرح.. ثم يبكي وحيداً في الكالوس.

والآن يقف فاروق أمام تلك اللافتة المكتوب عليها اسم ضحيته... "هند هشام هيبة".

تلك الفتاة التي أحبته بكل جوارحها واستغل ذلك أسوأ استغلال وتلاعب بها شر تلاعب ليقودها إلى الانتحار.. ثم.. ثم يبكي الآن وبحرقة على ما اقترفته يداه.

مضى على انتحار هند ثلاث سنوات.. يتذكر جيداً لحظة سماعه لذلك الخبر.. تمالك نفسه بكل قوة وتعمد ألا يظهر لأصدقائه أي اهتمام أو صلة بها.. بل تعمد تغيير مسار الحوار وكأن شيئاً لم يكن، ولكن منذ تلك اللحظة تبدلت حياة فاروق رأساً على عقب.. ابتعد عنه الجميع.. أو بالأحرى هو من ابتعد واستسلم لوحدته وعزلته... لم يكن يعلم سر انطفائه.. حاول أن يهرب بكل ما أوتي من قوة من تلك الوحدة.. فكلما صار وحيداً طارده ذنب هند.. فلم يجد سوى المخدرات واقياً وهمياً، حتى سمع من صديقه حديث العهد أمس عن تلك اللعنة.. "لعنة كيوبيد".. ليجد عقله يرسم له لوحة مكتملة الأجزاء.. نعم هو الجاني وهذا عقابه..

"ستحيي وحيداً وتموت حزيناً"

هذا كل ما دار بعقله فحاول أن يجد عاصماً من تلك العاصفة التي أوشكت على إنهائه فلم يجد سوى والده المُختلف معه دائماً.. فاتصل به معتذراً باكياً متأسفاً راجياً في السماح.. وبالطبع لم يكن من والده سوى أن يسامحه فوراً وهو وحيده واتفقا أن يعود فاروق من جديد إلى والده بالإمارات.. وها هو يقف على قبر هند بمقابر الإسماعيلية مودعاً إياها ومعتذراً قبل أن يذهب إلى أقاربه بالقاهرة ليمكث هناك قرابة الثلاثة أيام قبل سفره.. ولكن هل بكاؤه كاف للتكفير عن ذنبه؟؟. هكذا أستوقفه عقله فتوقف عن البكاء وخرج من المقابر مغيراً خارطة طريقه مقرراً أن يواجه إثمه وأن يكف عن الهروب والتواري.

***

هبت الرياح حاملة ذلك العطر المُسكر الذي طالما استنشقه وهو جوارها، وكأن الرياح تحمل حرارة أنفاسها، يشعر بها قريبة إلى حد الرمش حتى إنه التفت يميناً ويساراً بحثاً عن أميرة.

كانت أميرة في تلك اللحظة تقف بجوار هاجر بشرفة غرفتها تنظر إلى أحمد بمزيج من الشوق والأسى الممتزجين وكالعادة قد عرفت الدموع طريقها إلى وجنتيها.. ولكن عندما تلفت أحمد يميناً ويساراً اتخذت أميرة ما يجب من الحيطة والحذر ودخلت إلى الغرفة بصحبة هاجر فكرامتها الآن ليست بحمل خنجر جديد، بعدما تحملته من معاملة شديدة البرودة منه طوال ثمانية أشهر قبل أن يتركها ترحل دون أدنى محاولة للتمسك وكأن ذلك ما أراد.

لا يزال واقفاً أمام باب محله يستنشق تلك الأنفاس المحملة بعطرها كالمحروم قبل أن يلتفت يميناً ويساراً فقد وصل شكه إلى حد اليقين بأنها على مقربة تامة منه فالتفت بسرعة ليخطف نظرة سريعة على شرفة هاجر عسى أن يجدها ويُسكن أشواقه ولو بنظرة منها ولكن عادت أنظاره خائبة الرجاء، واشتعل قلبه شوقاً من جديد.

دخل إلى محله والألم ينهش رأسه.. بالطبع قد توجه إلى محله كي يغذي عقله بذلك المخدر الذي أدمن شربه ففتح درجه وأعد سيجارة حشيش وبدأ في شربها بنهم.

مستمعاً إلى تلك الأغنية التي تذكره دائماً بقصته مع أميرة

why did I ever let you slip away...can`t stand another day "
I cry inside of me...I cry without you. i cry silently
"....hopelessly...cause iknwo i`ll never breathe your love again

كثيرة تلك الأغاني التي نستمع إليها وندقق بتفاصيلها، لنشعر بأنها تروي ما مرت أفئدتنا به، نشعر وأن تلك الكلمات هي التي نريد أن نصرخ بها علناً، ولكن يتحطم ذلك الصراخ على حجر الكرامة.. ونجعل لها تبريراً واحدا لتكرار سماعها.. "أغنية عجباني".

يجلس أحمد بمحله بعدما انتهى من وجبة عقله المفضلة يستمع إلى تلك الأغنية "I cry" لـ "shayne ward".. وما أن تنتهي حتى يعيدها من جديد.. شاعراً بكل كلمة بها تنبض بداخله.. ولا يرى أمامه سوى أميرة وذكرياته معها.. يتخيلها أمامه ليصرخ بكل كلمة بتلك الأغنية باكياً.. راجياً إياها أن تسامحه.. لا يعلم كيف تركه قلبه يبتعد عنها ولو لحظة.. كيف حدث ذلك.. وهو يهواها بكل جوارحه ويعلم تمام المعرفة أنها مُتيمة به.

(.لو سمحت البيبي دول الأحمر اللي في الباترينة ده فيه منه لون موف)

التفت أحمد إلى مصدر الصوت كمن عاد إلى الحياة.. ليجد إحدى السيدات تقف على باب محله لهب واقفاً قبل أن يقول:

. آه يا ست الكل فيه اتفضلي.

وبالفعل دخلت السيدة إلى المحل ووقف أحمد ليأتيها بما طلبت.. فذهب إلى أحد الأرفف ساحباً أربع أكياس قائلاً وهو يستدير ليعطيها إياهم قائلاً:

. دي ألوانه كلها يا فندم.

ليجد بتول واقفة وتبتسم له ابتسامة يعرفها جيداً طالما رآها على شفاها قبل كل خطيئة ارتكباها قاصدة إغراؤه بها، مدت يدها واضعة ثلاثة من الأكياس على مكتبه وممسكة باللون الموف فقط قائلة:

. لا الموف أحلى واحد فيهم.. مش فاكر لما لبستهولك أول مرة تجيلي بيتي؟؟.. ولا شكلك نسيت يا أستاذ.

وكأن عينيه قد سُحبت إلى دوامة من الذكريات ليرى بتول بأحضانه وشفاهما قد تلاقتا ويداه تعبث بمفاتنها ساحباً حمالات ذلك البيبي دول الموف إلى الأسفل...

. يا أستاذ بقولك بكام يا أستاذ.

أفاق أحمد من شروده ليجد تلك السيدة تقف أمامه ممسكة بذلك البيبي دول الموف وتعاود سؤالها بضيق وذهول حتى رمت به على المكتب الخشبي ضيقاً وانصرفت.

اتجه أحمد إلى كرسيه لاهثاً محاولاً تهدئة روع نفسه.. قبل أن يريح ظهره على كرسيه لتعصف به ذاكرته بأول مشهد جمعه ببتول بين طيات أحضانه منذ خمس سنوات من الآن:

. إيه يا بني مال وشك مخطوف كده ليه.. يالهوي عالتكشيرة الحلوة يا ناس.

تذكر أحمد تلك الكلمات الصادرة من بتول وكأنها البارحة ومازالت عيناه تتذكر ألوان طلاء جدران تلك الغرفة وردية اللون.. ما زال يتذكر

حتى طلاء الأظافر الأسود.. وهي تعبث بشعيرات لحيته التي قد بدأت لتوها بالظهور.

مازالت ذاكرته تحتفظ بذلك العطر الذي كان ينبعث من طيات ضلوعها ليفعل بروحه ما تفعله المسكرات بعقل لم يمسه ثمل من قبل ومازال واقفاً أمام المرآة مشعلا سيجارته قبل أن يتذكر الحوار الذي دار بينهما.

أحمد: بتول... أنا متضايق جدا ومش عارف إزاي ده حصل بينا..

وكأنه قد أطلق لتوه سيلا من النكات.. فانطلقت ضحكاتها الصارخة لتخترق صمت الساعات الأولى من صباح ممطر من أيام يناير الممطرة قبل أن ترد بتول قائلة:

. متخافيش يا نونو.. ماتخافيش يا حلوة.

قالت تلك الكلمات باستهزاء بالغ واستمرت ضحكاتها قبل أن تلاحظ ضيقه البالغ منها والذي عبرت عنه نظراته الحادة فاستدركت حديثها في محاولة لإنقاذ الموقف قائلة:

. اللي أنت حاسس بيه ده طبيعي جدا عشان أنت أول مرة تعمل كده.. هتحس بالذنب جامد جدا وهتبقى مش طايق نفسك ولا طايق البنت اللي كنت من ثانيتين بتاكلها أكل.

أحمد: ذنب؟؟ اللي إحنا عملناه يا بتول ده مش ذنب.. دي كبيرة من الكبائراللي عملناه ده... مالوش غير اسم واحد.. اسمه زنا..

بتول: هي في الأول أنت بتشوفها كده.. وبمرور الوقت هتتعود عليها وهيتحول اسمها على لسانك من زنا.. لحب.. أو فرفشة.. وهتبقى كمان حاجة طبيعية جدا وعادية بالنسبالك.

قالت تلك الكلمات وتمددت بجواره ثم أراحت رأسها على صدره لتستكمل حديثها:

. عارف يا أحمد أنا قولتلك قبل كده أني عرفت شباب كتير وكتير منهم كمان كانوا نايمين على نفس السرير ده ونفس نومتك دي.. كل واحد فيهم كان بيشدني في حاجة معينة.. فيه اللي ستايله كان ملفت.. وفيه اللي طريقته كانت ملفتة.. وفيه اللي عجبتني طريقته مع صاحبتي وهو مرتبط بيها فخطفته منها.. بس قبل اللحظة دي مكنتش عارفة إيه اللي شدني ليك بس دلوقتي عرفت.

في تلك اللحظات تذكر أحمد كيف تصاعدت أنفاسه كأنها تلح عليها أن تخبره وكأنها شعرت بذلك فاستكملت حديثها قائلة:

. براءتك.. إحساس حلو جداً أن الست تحس أنها أول واحدة الراجل يعمل معاها كده.. بتحس أنها مميزة.. وفيه سبب كمان يا ميدو.

داعبت أنامله خصلات شعرها المجعد الأحمر اللون وطبع قبلة على جبينها الخمري وكأنه بتلك الفعلة قد سألها عن السبب الآخر فتنهدت قائلة:

. حنيتك يا أحمد.. أنت فيك حنية اللي ماتشوفهاش تبقى عامية.. وبعدين متاخدنيش في دوكة.. عايزاك تخف مع ولاء شوية.. أنت بتاعي لوحدي.

أحمد: يا مجنونة ولاء دي أكتر من أختي إحنا صحاب من 3 سنين وبعدين دي كانت جارتك وهي اللي معرفانا على بعض.

لم تتوقف ذاكرته عند ذلك الحوار فقط بل تمادت وتمادت إلى شفتيه ليتذكر كيف مر بهما على كل جزء من جسد بتول.. يتذكر مذاق جسدها اللذيذ.

وكيف التهمت شفتاه.. يتذكر مرور يديها على شعره ورأسه.. وكيف تشبثت به كمن يفقد روحه. يتذكر آهاتها وتنهداتها وتلك العلامات التي تركتها شفتاها على عنقه وبادلها بمثلها على عنقها ونهديها.

. تصدق أنك ندل يالا؟؟ حتى مافكرتش تتصل تتطمن عليّ ..

خرج أحمد من شريط ذكرياته على تلك الجملة ليلتفت إلى مصدرها ليجد صديقه الأصلع يقف أمامه من جديد.. ليرحب به بشدة قبل أن يجلسا متواجهين ويبدأ أحمد الحوار.

أحمد: أنت مسافرتش؟!

فاروق: طيارتي يوم 6 متستعجلش أوي كده.

أحمد: مقصدش.. بس أنت مش قولت هتسافر لقرايبك؟

فاروق: آه.. بس أنا قررت ماسافرش لقرايبي.. عشان فيه حاجة مهمة لازم أعملها.

أحمد: حاجة إيه؟؟ خير؟!

فاروق: بعدين مش مهم دلوقتي.. قولي روحت للدكتور ولا طنشت كالعادة؟!

أخرج أحمد من درجه العلوي سيجارة من سجائر الحشيش معطياً إياها إلى فاروق الذي قاطع فعلته بحدة:

. أنا قررت أبطل حشيش.. جاوبني روحت ولا لا؟

أحمد: معقول؟؟!! آه روحت.

فاروق: ورإيه إيه؟

أحمد: بيقول إني بنسبة كبيرة مصاب باللعنة دي وأن الحلم..

فاروق: عايزك تسأله على حاجة.. ممكن؟

أحمد: حاجة إيه؟!

فاروق: أسأله لو الضحية حد مات إزاي الجاني يكفر عن ذنبه؟

أحمد: أنت تقصد هند اللي حكتلي عنها صح؟!

هز فاروق رأسه إيجاباً قبل أن يستكمل أحمد:

. طب ما تيجي تروح معايا.. على فكرة دكتور طارق بني آدم كويس جداً وهتحبه.

فاروق:. لا مش عايز أروح لحد.. أنا أول مرة أطلب منك طلب.. أوعدني تسأله وتقولي رده.

أحمد:. أنا رايحله كمان شوية وأوعدك هسأله.. طب إيه هنسهر مع بعض؟؟

هب فاروق واقفاً ومازالت علامات الجدية المصحوبة بالحزن تخيم على ملامحه وانعقاد حاجبيه وهو يرد على سؤال أحمد.

فاروق:. سهرنا كتير يا أحمد... أنا محتاج أنام هكلمك بكره لما أصحى.. سلام.

انصرف فاروق تاركاً أحمد في حيرة شديدة، فكأن غياب بضع ساعات قد حول فاروق إلى شخصٍ آخر يختلف تمام الاختلاف عما سبق، ولكن تلك الحيرة والدهشة امتزجت بالسرور والراحة فها قد عاد مؤنس سهراته من جديد حتى ولو لبضعة ساعات، فلربما يغير رايه مرة أخرى ليبقى معه لفترة زمنية أطول.

قطع تفكير أحمد شعوره باهتزاز هاتفه ليجد دكتور طارق يتصل به.. فينظر إلى ساعة يده ليجدها تشير إلى السادسة مساء فيرد عليه.. ليجد دكتور طارق متحدثا إليه بنبرة غاضبة قائلا:

طارق:. إيه يا أحمد فتحت عليا ليه دي كانت آخر دقيقة.. يعني دي جزاتي أن حبيت أقولك إني في العيادة من دلوقت.. صحيح خيرا تعمل شرا تلقى.

أحمد:. طيب يا دكتور ربع ساعة بالظبط هكون عندك.

طارق: طيب مستنيك.. بقولك إيه يا أبو حميد.. ياريت كارت 25 وأنت جاي.

أغلق أحمد هاتفه وأغلق المحل مسرعاً.. لا يعلم ما سر لهفته للوصول لدكتور طارق.. هل بسبب ما يعانيه مؤخراً.. أم أنها وسيلة لاستعادة نفسه السابقة التي طالما أشتاق إليها.. أم لاستعادة أميرة التي أحبها من كل فؤاده.. أم أنها الوحدة التي حتمت عليه البقاء مع طبيبه أو بمعنى أوضح صديقه الوحيد حالياً.

***

هاجر: مش كفاية نح بقى؟؟ بتعيطي ليه دلوقتي؟

أميرة: إحساس صعب أوي يا هاجر لما تشوفي حد كان كل حاجة في حياتك كان كل حياتك أصلاً.. وفجأة مبقاش حتى في بينا سلام.

هاجر: طب ما أنتي اللي سبتيه يا أميرة بإرادتك.

أميرة: أنتي ما شوفتيش أحمد اتحول إزاي أخر كام شهر.. كأني اتخطبت لواحد غيره إنسان ساكت على طول مكتئب دايماً.. اهتمامه المبالغ فيه اللي كان في الأول اتحول للامبالاة غريبة.. كأني مش فارقة معاه تماماً.. طب عارفة؟؟.. أنا جيت في يوم قصدت ما اتصلش بيه من أول اليوم لأخره.. تعرفي إنه ماحسش أن فيه حاجة ناقصاه.. كأنه بيطردني من حياته يا هاجر.. أكمل إزاي وأنا شايفة كل ده وساكتة.

هاجر: طيب خلاص بطلي عياط لحسن ماما تسمعنا أنا معرفش دخلت عليها إزاي إننا كلنا بره ومش جعانين.. خلاص بقى يا مارو.. إن شاء الله هيرجعلك تاني والله أنا متأكدة.

أميرة: وحتى لو رجعلي يا هاجر مش هقبل بسهولة.. لازم أحس إنه شاريني وعايزني قد الأول.

أنهت أميرة حديثها وقد انهمرت دموعها بقدر هطول الأمطار في ذلك التوقيت وارتمت داخل أحضان صديقتها تفيض بما يحتوي قلبها من مشاعر واشتياق.

***

وصل أحمد إلى عيادة الطبيب ليجد سناء الممرضة جالسة بمكانها مبتسمة قائلة:

. الدكتور طارق في انتظارك يا أستاذ أحمد.

دخل أحمد إلى حجرة الكشف ليجد دكتور طارق بانتظاره ذهب إلى سرير الكشف وأعد الطبيب هاتفه للتسجيل وهم أن يتحدث ولكن قاطعه أحمد قائلاً:

. هو ليه يا دكتور كل الدكاترة النفسيين بيسجلوا لمرضاهم.

طارق: عشان نذاكر الحالة يا أحمد.. ونقيس تطورها.. بعدين أنت شايف الضغط عالعيادة عامل إزاي والمرضى قاعدين فوق بعض فلازم أسجل الجلسة عشان أفتكر آخر كلام قولناه إيه كمان.. نرجع للنقطة اللي وقفنا فيها.. قولي بقى.. أنت قولتلي أنك اهتميت ببتول عشان توصل للي أنت عايزه.. هل من ضمن اهتمامك بيها.. وصلتلها إحساس أنك بتحبها.. بالقول أو الفعل عشان توصل لجسمها؟؟

أحمد: عمري.. بالعكس.. أنا مع بتول تقدر تقول كنت خام.. هي اللي كانت بتبدأ بكل حاجة.. حتى أول مرة غلطنا مع بعض.. كنت شارب لأول مرة في حياتي.. لكن هي اللي أغرتني مانكرش إنه كان نفسي.. آه اتكرر ده بعد كده كتير وبكامل إرادتي بس عمري ما وعدتها. مثلا إننا نتجوز.. ولا عمري قولتلها أن بحبها غير وإحنا بنعمل ده مع بعض.. بس هي دايماً كان عندها إحساس إني هسيبها.. وإني مسيري هزهق منها.

طارق: والإحساس ده طبعاً نتيجة أفعال أو أقوال منك؟

أحمد: بالعكس أنا كنت دايما بطمنها.. بس الإحساس ده كان بيجيلها لأنه حصل مع كل الرجالة اللي اتعرفت عليهم قبل كده.

طارق: اممم.. الزهق.. شيء طبيعي ومتوقع وطبعاً اتكرر معاك.

أحمد: بالظبط.. مرة في مرة الرغبة في بتول بدأت تقل.. لدرجة أني وصلت في الآخر أني. أتهرب منها واطلع أعذار.. لحد ما جت وواجهتني.. واعترفتلها بده.. ودي كانت أخر مرة اشوفها.. وسبتها في حالة وحشة جداً.. وبطريقة مهينة.. حسستها أنها ولا حاجة.. عشان كده أنا حاسس أنها هي أول وردة.

طارق: شوف يا أحمد.. اللي هقولهولك ممكن متفهموش أو تستغربه.. أنا عايزك تتعامل مع الحلم. ده كأنه إنسان ليه عقل.. مش مجرد حلم.. كيوبيد لو عايز يبين مين هي وردة.. كان قال اسمها وخلاص.. لكن هو عايزك تتعب لحد ما توصلها وتدور عليها وتعترف بظلمك ليها.. وتصلح اللي أنت بوظته في حياتها وبكده تنتهي اللعنة وتتفك لكن بتول اتنده عليها كشاهدة.. بمعنى أصح وردة أنت ظلمتها وبتول شاهدة على ده.

أحمد: مش عارف يا دكتور بس مش مقتنع.

طارق: طيب هقولك.. سيبك من الحلم وأنها اتنادت كشاهدة.. اللي بينك وبين بتول يا أحمد مكانش حب ده مجرد رغبة.. آه ممكن الرغبة تسيطر عالقلب حبة لكن كده كده مصيرها. الزوال.. ومعتقدش أن بتول حست بأي ألم نتيجة بُعدك بالعكس كانت متوقعاه من البداية.. فاهمني؟

أحمد: فهمتك يا دكتور.. بس برده لو مشيت مع كلامك أن الحلم إنسان وليه عقل.. المعلومات. اللي ادهاني مش كفاية عشان أوصل لوردة

طارق: عشان كده عايزك تركز في أحلامك يا أحمد في أصغر التفاصيل ده لو عاوز تفك اللعنة وترجع لحياتك.

هنا جلس أحمد نصف جلسة والحيرة تملأ وجهه قائلاً:

. دكتور هو لو لقينا وردة وفكينا اللعنة كده أميرة هترجعلي؟؟

طارق: مقدرش أكدلك ده.. لكن اللي أقدر أكدهولك أن حياتك هترجعلك لو..

أحمد: حياتي هترجعلي؟؟!! أنا أميرة هي حياتي يا دكتور طب أنا وظلمت حد وبتعاقب إن حياتي بتتغير وإني أخسر كل حاجة، لكن هي إيه ذنبها إنها تتعذب؟؟

طارق: جايز تكون ظلمت حد هي كمان.. بس قولي الأول.. أنت بتحبها أوي كده؟؟

أحمد: أميرة هي الحاجة الصح اللي في حياتي.. هي الفرحة اللي عشت مستنيها.. عارف يا دكتور.. إحنا كنا طول اليوم مع بعض.. لو مش مع بعض بجد يبقى تليفون.. لو مش تليفون. يبقى بنفكر في بعض.. حتى وقت النوم مكانش بيجيلي نوم غير وهي عالسماعة.. وسامع صوت نفسها وهي نايمة.. تعرف كنت كل يوم بليل لازم أحكيلها حدوتة لحد ما تنام.. وبعد. ما تنام.. أفضل أتكلم معاها حبة وهي نايمة.. ولو زعلان منها أفضل أشتكلها وهي نايمة.. ولو مزعلها أصالحها برده وهي نايمة.. والغريب إنها بتصحى وكأنها سمعت كل كلمة قولتها.. بس خلاص كل ده ضاع.

أنهى أحمد حديثه وقد تساقطت الدموع من عينيه وهو ما أراده دكتور طارق بالفعل.. أراد أن يعيد إلى قلبه الشعور.. فقرر أن يطرق الحديد ساخناً.. فوجه لأحمد الحديث قائلا:

. طب ما تكلمها دلوقت وتقولها الكلام ده..

نظر إليه أحمد بتردد قبل أن يقول:

. فكرك ممكن توافق ترجع.

طارق: حتى لو مارجعتش تبقى حاولت متخسرهاش.. يلا كلمها

وبالفعل اعتدل أحمد بجلسته قبل أن يخرج هاتفه ويحضر رقمها ليتصل بها.. انتظر طويلاً حتى اقترب من إغلاق الخط إلى أن أتاه صوت أنفاس أميرة الساحر الذي طالما أذابه عشقاً رافضة الحديث.. قبل أن يتحدث أحمد قائلاً:

أحمد: أميرة أنا أحمد.. أزيك؟

تنهدت أميرة تنهيدة تلم بها ما بداخلها من أوجاع وتداري بها اشتياقا جماً وتواري بها دموعها قبل أن تقول:

.. الحمد لله يا أحمد كويسة..

صمت أحمد ناظرا إلى دكتور طارق وكأن كل ما بداخله قد تبخر.. وكأن كل كلام الاشتياق والحنين إليها قد اختفى لتوه قبل أن يقول بلهجة صارمة أشبه ما تدل على بداية شِجار:

أميرة كنت بكلمك عشان نشوف إذا كان ينفع نرجع أنتي إيه رأيك..؟

هنا لم تستطع أميرة أن تداري دموعها التي سقطت بالفعل ولكنها سقطت كخيبة أمل.. كم انتظرت هذه المكالمة ليالٍ طوال، كم أعدت نفسها لإعلان أحمد عدم قدرته على الفراق وإشهاره بألا ضرورة للحياة دونها.. كم هيأت نفسها لذلك حتى بعد أن تأخر أحمد كثيراً في تلك الخطوة.. والآن بعد كل ذلك يكتفي بهذه الكلمة وبهذه الطريقة التي نالت من كرامتها.. تمالكت نفسها قليلاً حتى قالت:

لا كتر خيرك... مش هينفع يا أحمد..

ليرد أحمد بعصبيته المعهودة في الآونة الأخيرة:

أنا برده قولت كده.. سلام..

أغلق الخط قبل أن ينظر إلى دكتور طارق ليجده قد رفع حاجبيه من الدهشة وقد فُتح فمه ذهولاً قبل أن يهب الطبيب واقفاً والغضب يملأه صارخاً:

طارق: إيه يابني أنت الحمورية دي.. أومال عاملي فيها بتاع بنات وروميو أوي.. ده أنت لو بتعزم صاحبك عالقهوة هتكلمو بأسلوب أحسن من كده.. فين يابني اللي قولتهولي من شوية...

أحمد: خلاص بقى يا دكتور أنا معرفش إيه حصلي لما سمعت صوتها كل اللي كنت هقوله إتبخر.

قال تلك الجملة قبل أن يعود للنوم على سرير الفحص واضعاً كفيه فوق وجهه.. نظر إليه دكتور طارق وقد شعر بأنه قسى عليه وزاده هماً وغماً ليربت على كتفه قائلاً:

. مش مهم النتيجة.. المهم أن مشاعرك اتحركت وحسيت أن أميرة وحشاك ومهمة عندك وحسستها حتى ولو بالكدب بده.. وإن شاء الله أنا متأكد إنكم هترجعوا لبعض.

فور نطق الطبيب تلك الكلمات رفع أحمد يديه عن وجهه وكأن تلك الكلمات قد أعادت له الأمل في الحياة.. ليقول:

. بجد يا دكتور..؟

أراد دكتور طارق أن يوضح لأحمد أن لكل شيء احتمال.. وأن لا شيء أكيد.. ولكن تلك النظرة التي وجدها بعيني أحمد كالغارق الذي وجد طوق نجاة بعد أن مل الانتظار.. جعلته فقط يصمت ويهز رأسه تأكيداً.. لم يملك سوى ذلك.. فقد رأى أمامه إنسانا على وشك الانهيار وكل ما يملكه فقط أمل العودة إلى أحضان طالما استنشق عطرها مرت ثوان

قبل أن ينظر الطبيب إلى ساعة يده ليجدها تقترب من الحادية عشرة ليوجه الطبيب حديثه إلى أحمد قائلا:

. بتهيألي كفاية كده النهارده.. عايزك تريح نفسك على قد ما تقدر وتتجنب الوحدة تماماً.. رقمي معاك مش محتاج أقولك كلمني في أي وقت تحتاجني فيه..

وبالفعل استعد أحمد للرحيل قبل أن يتذكر ذلك الوعد الذي قطعه لفاروق ليعود مرة أخرى إلى الطبيب قائلاً:

أحمد: دكتور هو ممكن استشارة صغيرة؟؟

طارق: يا سلام.. أووي أووي يا أبو حميد اتفضل؟

أحمد: لو افترضنا أن وردة دي واحدة ماتت.. هكفر عن ظلمي ليها إزاي؟

عقد دكتور طارق حاجبيه في فزعٍ كبير وهو يتحدث قائلاً:

. أنت شاكك في حد؟؟

أحمد: لا أبداً.. هو مجرد استفسار.. من الآخر كده تقدر تقول حالة مشابهة عند واحد يعز عليا.

طارق: في الحالة دي ما قداموش غير أنه يعترف بخطئه قدام نفسه ويدعيلها بالرحمة مش هيبقى في إيده للأسف أنه يصلح حياتها.

أحمد: حتى لو ماتت بسببه؟؟

طارق: بمعنى؟؟!

أحمد: بمعنى إنه لعب بمشاعرها لدرجة خلتها تنتحر يا دكتور.

هنا وقف الطبيب فزعاً كمن لدغه ثعبان لتوهه وهو يصيح بصوت أجش ذكر أحمد قليلاً بما يطارده بأحلامه:

. اللي يلعب بمشاعر حد ويستهين بيها للدرجة دي حلال فيه الموت.

أحمد: ربنا بيسامح يا دكتور.. أكيد فيه وسيلة.

هدأ الطبيب قليلاً وبدأ يفكر عابثاً بلحيته الرمادية الكثيفة قبل أن يعاود الحديث:

. مفيش حل غير أنه يعترف بذنبه قدام أقرب الناس ليها ويعرفهم سبب انتحارها عالأقل.. جايز ده يريح ضميره.. جايز.

هز أحمد رأسه في حزن لما سمعه من الطبيب عن حالة فاروق قبل أن يستأذن ويخرج من العيادة.

***

الآن أصبح طارق مستعداً لهوايته الوحيدة التي اعتاد أن تؤنس ليالي وحدته، نقل الملفين الصوتيين لجلستي اليوم مع أحمد إلى الملف الخاص به ثم أعد هاتفه على وضع التسجيل وهو يرتشف قليلاً من الشاي بالنعناع الذي أدمنه بسبب زوجته الراحلة لدرجة أنه أصبح متحكماً بمزاجه.. اعتاد على شرب كوبين في اليوم، أولهما عند استيقاظه من النوم وثانيهما أثناء محادثته لزوجته الراحلة.

" زي ما توقعت بالظبط يا هدى... الهلاوس لسه بتطارده وكيوبيد مستمر في رسالته.. الوحدة أجبرته إنه يشوفني الحل الوحيد للي هو فيه.. صدقيني أنا إحساسي عمره ما بيخيب أحمد هو الحالة الأولى اللي هتثبت صحة نظرية لعنة كيوبيد.. هههه حاضر حاضر هحكيلك اللي حصل.

اللي حصل باختصار هو ظهور للشاهد الأول المُسمى ببتول وده على حسب ظني لأنها شخصية مؤثرة جداً في حياة أحمد.. .لا لا لا مكانش بيحبها ولا هي كانت بتحبه اللي كان بينهم رغبة مش حب.. .طبعاً فيه فرق كبير أوي بينهم..

الحب يا هدى هو إحساس منقدرش نفسره ولا نعرفله سبب.. ولا هدف.. مبنشوفش ساعتها حاجة مستحيلة أبداً.. والعقل بيقف تماماً عن التفكير.. الاتنين اللي بيحبوا بعض بيشوفو نفسهم أعلى من كل حاجة وأقوى من أي شيء.. فاكرة يا هدى لما حبينا بعض.. عمرنا ما فكرنا أن أبوكي ممكن يرفضني عمرنا ما جه في بالنا أي سبب يفرق بينا.. هو ده الحب.

أما بقى الرغبة فهي شعور عرَضي يجوز يكون أقوى من الحب لكنه مش خالد زيه.. فترة وجيزة جداً بتكون كافية للملل أنه يخش يكسر أي جسر لعلاقة بنتها الرغبة.

أما أحمد فقد وصل إلى منزله الهادئ تماماً خصوصاً مع خلود والدته الدائم للنوم المبكر.. سلم جسده للمياه ليغتسل.. لعلها تزيح ما بقلبه من هموم.. ثم صعد إلى فراشه محاولاً أن ينام ولكن هيهات.. فطالما هجرتنا أشياءً رجوناها كانت تأتينا وقت لم نرجوها، ولكن وبعد محاولاتٍ عِدة.. أطاع النوم رغبته .

الفصل الخامس

4 يناير 2017

الشاهد الثاني "يارا"

"الحب من أول رقصة"

ها يا أحمد برده مش عايز تعترف إنك قتلت وردة؟؟

فتح عينه عند سماعه لتلك الجملة بصوت رئيس المحكمة.. ولكنه في هذه المرة لم يكن يشعر بأي خوف أو هلع.. بل على النقيض تماماً.. فتح عينيه ليجد القاعة مضيئة بالكامل على غير عادتها.. أدار عينيه يميناً ويساراً متفحصاً القاعة الخالية تماماً إلا من رئيس المحكمة الذي ينظر إليه موجها ذلك السؤال له أطال النظر بالجدران القديمة المليئة بالشروخ ثم التفت إلى رئيس المحكمة الذي جلس على منصته المكتوب فوقها

"كيوبيد.. سهم يحمي المحبين"

نظر أحمد إلى عيني كيوبيد للمرة الأولى بلا خوف ولا هلع قبل أن يهب واقفاً وأمسك قضبان القفص الحديدي بيديه ليتحدث بنبرة الواثق:

. أنا مانكرش إني أكيد غلطت.. بس أنا من حقي أعرف مين وردة اللي أنا متهم بقتل حبها.. ومن حقي أخد فرصة جايز أعرف أصلح غلطتي.

فجأة اختفت كل الأضواء ولكن لم يهلع أحمد أيضاً وظل ينتظر أن يظهر كيوبيد ليجذبه من رأسه كالعادة.. ولكن أتاه الصوت مجهول المصدر الذي اعتاد على سماعه ينادي قائلا:

. الشاهد التاني

حاول أحمد أن يسبح بعينيه ببحر الظلام لعله يجد الشاهد الثاني يخرج من طيات الظلام.. ولكن دون جدوى.. حتى لم تسمع آذانه خطوات تنم عن حركة، استمر الصمت والذهول لبضع ثوان.. قبل أن يعود ضوء المنصة الخافت للسطوع ليجد رئيس المحكمة جالساً ولكن، لا يزال الشاهد الثاني في علم الغيب إلى أن سطعت دائرة من الضوء على الظلام الواقع عن يمينه.. ليجد قفصاً آخر وتقف به أنثى يعرفها تمام المعرفة لتقف والحزن يطغى ملامحها وهي تقول:

. يارا سليمان 23 سنة..

نظر إليها أحمد بذهولٍ شديد.. أخر ما كان يتوقعه أن يراها في ذلك الكابوس المستمر.. ولكن لما هي حبيسة وحزينة.. على عكس بتول.. ولماذا استدارت مبعدة وجهها عنه.. أراد أن يستفسر عن كل ذلك.. ولكن آثر الصمت ليرى ما يحدث، فتحدث رئيس المحكمة يسأل يارا:

(علاقتك إيه بالمتهم يا يارا..؟)

لتستدير يارا لتواجه أحمد.. ليجد عينيها مقتلعتين كما كان حاله في مرآة بتول سابقاً قبل أن تبدأ بالحديث بنبرة ضعيفة حزينة:

. أنا أول حب في حياته ارتبطنا ببعض حوالي سنة.

ليعيد رئيس المحكمة توجيه الحديث إلى يارا:

(هو اللي قتل وردة؟؟..)

لتتحدث يارا قائلة:

. أيوة أنا شوفته وهو بيحاول يقتلها قبل كده.. لكن فشل.. يبقى أكيد هو اللي قتلها..

هنا انطفأت أنوار القاعة الخافتة للحظات قبل أن تعاد للإضاءة مرة أخرى.. نظر أحمد إلى المنصة الخاصة بكيوبيد.. ليجدها خاوية أعاد النظر إلى قفص يارا ليجد الظلام قد ابتلعه.. زاغ بعينيه يميناً ويساراً دون جدوى حتى سمع صرخة أنثوية مدوية.. ليلتفت إلى مصدرها ليجد كيوبيد بهيئته الغاضبة داخل قفص يارا العائد للظهور مرة أخرى وقد أمسك بيديه الملطخة بالدماء بعنقها وباليد الأخرى ممسكاً بسكين وبدأ بذبحها.. وهي تستغيث بأحمد.. تمد يديها إليه علّه ينقذها.. حاول أحمد أن يمد يده بين قضبان القفص ليمسك يدها عسى أن ينقذها ولكن دون جدوى حتى توقف صراخها وسكن نبضها وارتخت يدها.. ثم انطفأت الأضواء مرة أخرى.

فتح أحمد عينيه ليجد نفسه ممدداً على سريره فهب واقفاً متجهاً إلى مكتبه.. متذكراً تفاصيل الكابوس محاولاً تذكر أدق التفاصيل التي من الممكن أن تفيده في رحلة بحثه عن وردة .

فأحضر ورقة وقلم وجلس على مكتبه يدون ما دار بحلمه.. وبعد أن نظر من نافذته منتهياً إلى أن ضوء النهار لم يسطع بكامل نوره فنظر إلى ساعته ليجدها الخامسة والنصف صباحاً.

أشعل سيجارة وجلس مفكراً في أحداث ذلك الكابوس.. مردداً بينه وبين نفسه.. لماذا يارا بالذات ولماذا بتول بالذات من ضمن كل دائرة علاقاته النسائية الكبيرة.. وهما المتناقضتان.

بتول هي بداية فترة فساده وانحلاله.. على يدها كانت خطيئته الأولى.. وبعدها استمر على ذلك المنوال من فتيات ساقطات.. على يدها شرب الحشيش لأول مرة حتى اعتاد عليه، ولكن يارا على النقيض.. فهي أول حب حقيقي وشريف يدق قلبه.. بداية التزامه والتفاته لمستقبله فمن أجلها قد ضاعف عمله من أجل أن يدق بابها ويخطبها.. من أجلها كان على أتم الاستعداد بالتضحية بكل شيء حتى ولو بنفسه.

جعلته يضع بذور العمل ولكنها تركته في نصف الطريق لتجني أميرة الثمار.. فقد تحدى الكل من أجلها.. حتى أهله.. فقد كانوا يرون أنها لن تكمل معه الطريق وستتركه عند أول فرصة.. حتى ولاء كانت تردد تلك الكلمات التي لم تغير منه شيئا بل على النقيض أزادته حباً ليارا لم يوافقه أحد الرأي ويؤيد حبه ليارا.. يتذكر جيدا أنه قد وصل إلى حد القطيعة مع والديه وشقيقته.. عندما علموا بأنه يأخذ ارتباطه بيارا على محمل الجد كم من شجار أسري حدث بسببها إلى أن وصلت الشجارات حد القطيعة.

ولكنه يتذكر أيضاً كيف خذلته أمام الجميع.. وتركته أمام أول ثري يدق بابها.. مازال جالساً على مكتبه تاركاً لعقله التفكير ولذاكرته اللجوء لما يحلو لها من ذكريات.. فأخذت تجري بشريط ذكرياته حتى توقفت عند مشهد لقائه الأول بيارا.

إنه يوم لا ينسى في تاريخ أي أسرة منتصف إبريل عام 2013.. بالغد سيقام حفل زواج يمنى شقيقته الكبرى أستيقظ أحمد على صوت مرتفع جداً لأنغام إحدى الأغاني الشعبية صادراً من غرفة الاستقبال بالمنزل.. لتدخل والدته قائلة:

عائشة: يلا اصحي يا أحمد الساعة بقت خمسة عشان متتأخرش عن ميعادك مع الحلاق.

يجلس أحمد على سريره وما زال النوم يتمكن منه قبل أن يقول:

. هي إيه الدوشة دي يا أوشا.

عائشة: دول صحاب أختك بره جايبين سماعات وبيهيصولها.

ثم انصرفت والدته وبعد حوالي نصف ساعة أصبح أحمد جاهزاً ليخرج من غرفته واتجه من غرفته إلى الممر الفاصل بينها وبين غرفة الاستقبال المغلقة بباب من الأبواب الجرارة وقف خلف الباب مستمعا

إلى أصوات الفتيات الضاحكة وتصفيقهن على أنغام الأغاني الشعبية المرتفعة.. طرق الباب مراراً وتكراراً لكن لا حياة لمن تنادي فالصوت يغطي على كل شيء.. فقرر أخيراً أن يفتح الباب.

ليجد خمس فتيات من أصدقاء شقيقته يشكلن ما يشبه بالنصف دائرة وبجوارهن شقيقته يصفقن وأمامهن تقف فتاة موجهة له ظهرها حافية القدمين تتراقص وتتمايل بقوامها الفرنسي تتمايل بخصرها ترتدي بلوزة فيروزية اللون وبنطالا أسود وطرحة تغطي رأسها تعقدها عالطريقة الإسبانية وأخذت تتمايل وتتراقص غير منتبهة لتنبيهات يمنى وأصدقائها بوجوده حتى تمايلت مع أنغام الموسيقى وهمت أن تدير وجهها فإذا بها تراه يقف أمامها مباشرة والتقت الأعين.

وكأن الأرض توقفت عن الدوران.. وكأن كل الأصوات قد هُمشت واختفت تماما ولم يسمع أحمد سوى صوت أنفاسها تسمرت قدماه أمام تلك الأعين العسلية الواسعة والنظرات الحادة وملامح الوجه الرقيقة وشفاها الصغيرة وثبتت أنظارهما بأعين كل منهما مرت دقيقة وبضع ثوان ولكنها مرت كالدهر أو كأن حركة الكون أصبحت بالتصوير البطيء المستخدم بالأفلام.

فقد فصلا عن العالم كله حتى أنهما لم يشعرا بأن إحدى الفتيات قد خفضت صوت الأغاني..

نعم هي أول مرة يراها.. لكنه تمنى من كل فؤاده أن يضمها بين ذراعيه.. أما عطرها فلا يمكن لأفضل شاعر أن يصفه فقد دخل مباشرة من أنفه وبدل مساره فسكن بفؤاده.. ولم يقطع نظراتهما سوى صوت يمنى وهي تحدثها ضاحكة:

. بقالنا ساعة بننده عليكي يا يارا وأنتي مندمجة أووي في الرقص.

عادت الأرض للدوران من جديد وتراجعت تلك الفاتنة فرنسية الملامح والقوام بضع الخطوات إلى الخلف والصدمة تسيطر على عينيها والأعين مازالت في لقاء.

تركهم أحمد وعاد مرة أخرى لغرفته لا يعلم لما عاد.. فطريقه كان إلى خارج المنزل ولكن كان للارتباك مسلكه وما أن دخل إلى غرفته حتى وجد يمنى خلفه قائلة:

يمنى: إيه ياعم المسبلاتي.. مش مفروض تنزل بقى وتسيبنا براحتنا.

أحمد: يمنى.. هي البنت دي صاحبتك؟؟!!

سأل ذلك السؤال والشكوك تساوره فتلك الفتاة يبدو عليها صغر السن عن باقي الفتيات.. وها هي شقيقته تهدأ من روع شكوكه:

يمنى: لأ يا نحنوح مش صاحبتي.. دي يارا أخت رحمة صاحبتي بتهيألي أنت عارفها وبعدين يلا بقى طرقنا.

إذن هي شقيقة رحمة صديقة شقيقته منذ الصغر.. اتجه مرة أخرى وسلك نفس الطريق مروراً بالغرفة التي تجلس بها الفتيات وعيناه تبحث عنها بينهن ولكنها وكأنها تبخرت زاغت عيناه بين الفتيات بحثا عنها وسط همساتهن وضحكاتهن.. اتجه إلى باب المنزل والحزن يطغاه ولكنه وجده مفتوحا بالفعل فإذا بها تقف خارج المنزل ممسكة بهاتفها تتحدث فسمع صوتها للوهلة الأولى تتحدث بهاتفها وهي تنظر إليه حتى فرغت من حديثها فنظرت له ضاحكة العينين والشفاه ولأول مرة وجهت حديثها إليه قائلة:

يارا: بعد إذنك ممكن أعدي.

أحمد: أنتي يارا أخت رحمة صح ؟؟!!

لم تنطق شفتاها ولكنها اكتفت بالإيجاب بهزة رقيقة من رأسها فاستكمل أحمد حديثه:

. أنا أحمد أخو يمنى.

ومد يده ليصافحها.. فصافحته... ليلمس يدها الباردة وكأن شعاع الحب قد انطلق من عروقه حتى عروقها مرت أصابعه تتحسس كل جزء من يدها ذهاباً وإياباً.. حتى أتى صوت شقيقتها الصارخ من الداخل:

. يارا بتعملي إيه كل ده..؟؟!!..

انتفضت يدها بين أصابعه وانطلقت مسرعة الخطى.. تاركة إياه معلقاً نظراته بها قبل أن يهبط درجات السلم.

قضى الطريق إلى محل الحلاقة الخاص به ذهاباً وإياباً شارد الذهن يرى عينيها في الطرقات يرى ملامحها بملامح الفتيات في الشوارع وإن غابت عن ذهنه للحظات يعود عطرها المعلق بيده إثر سلامه عليها ليذكره بها.

عاد إلى المنزل وهو يسابق الزمن وكله أمنيات أن يراها مجددا وقف أمام باب المنزل واضعاً أذنه على الباب ولكن النتيجة كانت صمت حطم قصور الأماني بداخله، فأخرج المفتاح ودخل إلى المنزل.. الظلام يخيم والهدوء يسيطر ولكن عطرها مازال عالقا في الجدران.. أخرج هاتفه من جيبه متصلاً بوالدته لتخبره بأنهم لدى الكوافير الخاص بشقيقته ليعدها ليوم غد ووالده ينتظرهم بأحد المقاهي القريبة منهم وأن أمامهم ما لايقل عن الساعتين.. جلس في غرفة الاستقبال حيثما قابل تلك الفتاة فرنسية الملامح.. فقرر أن يشعل سيجارة من الحشيش ذلك النبات الذي اعتاد على شربه بعد أن شربه للمرة الأولى منذ حوالي العام قبل خطيئته الأولى مع بتول بلحظات ومن ثم أدمنه، حتى عندما أفاق من تلك النزوة مع بتول واتخذ قرار فراقه معها منذ ما يقرب من الستة شهور لكنه لم يفق من عشقه لذلك المخدر.

(كم أنت رائع يا صديقي المخدر..)

هكذا حدث نفسه.. فقد جعله ذلك المخدر يتخيل الأحباب بل ويعيش معهم لحظات من الحب والبهجة.. فها هو يرى يارا تتراقص مثلما كانت هنا منذ لحظات.. تتناقل كالنحلة فوق الأزهار بين أرجاء الغرفة والبسمة تسطر شفاها... تنظر له وتتمايل من أجله تقترب منه ثم تقترب وعطرها يسيطر على الأجواء.. يرى طيفها بكل مكان يتراقص ويتراقص معه.. لحظات ثم لحظات وتتوالى السجائر حتى جعلته يبدو كالمجنون يسبح في بحار من الوهم.. قرر أن يخفي آثار جريمته فأمسك ببقايا سجائره قاذفاً بها من النافذة ثم أمسك بزجاجة من العطر وجعلها تفوح في أرجاء غرفة الاستقبال.

مرت دقائق تتصارع فيها رائحة العطر مع رائحة الحشيش حتى قضى كل منهما على الآخر ولكن ظلت رائحة يارا باقية، وأن لم تكن باقية في أرجاء الغرفة فهي باقية في قلبه وذهنه.. لقد شعر بما يشابه ذلك الشعور من قبل مع بتول وليس مع بتول فقط ولكن مع كل فتاة يعجب بها، ولكن هذه المرة مختلفة.. فليست للرغبة أي دور في هذا الشعور مثلما كان الحال فيما سبق، بل للقلب.. للقلب فقط كل الحق في التصرف فدقاته تسوقه إليها حتى دون أن يعرف إذا ما كان فؤادها حر.. أم أن أحدهم سبقه إليه.. يتخيلها أمامه وهو راكع على ركبتيه مقدما قلبه إليها راجياً أن تقبله.. لم يسبق أن يشعر فؤاده بمثل هذا الشعور من قبل.. ولكنه بالتأكيد قد سمع عنه الكثير والكثير حتى اشتاق أن يعرفه.

نعم هو الحب.. هي تلك الرجفة المريبة التي تحتل طيات قلبك وتجعلك تسأل.. متى..؟؟!!.. وكيف؟؟!!.. ولماذا؟!! ولكنك لن تجد الجواب.

لقد رآها فقط لبضع ثوان.. لم يسمع صوتها إلا بجملة واحدة.. ولكنه يشتاق إليها.. أهو الحب من أول نظرة؟؟! أو هو الحب من أول رقصة.

دقت ساعة الحائط لتعلن عن السادسة صباحاً ولتُخرج أحمد من طيات ذكرياته ولكنها لم تخرجه من حيرته، ذلك الصباح هو صباح الرابع من يناير وأيضاً هو صباح لرابع يوم من أيام ذلك الكابوس ومن تفكيره وبحثه المستمر عن وردة التي قد قتل حُبِها.

هب واقفاً من على مكتبه مترجلاً في غرفته إلى أن وقف أمام المرآة مشعلاً سيجارة يزفر دخانها بضيق بالغ مدققاً بملامحه ثم يستدير مرة لأخرى ليترجل بغرفته ذهاباً إياباً حتى وصل إلى نافذة الغرفة فوقف يطل منها على الشمس التي قد خرجت لتوها من طيات الظلام لتظهر ما وراه الليل متمنياً أن تنير تلك الشمس سماء قلبه ليجد حياته السابقة التي اشتاق إليها كثيراً وبعد محاولاتٍ عدة لقتل الوقت اتجه إلى سريره محاولاً البحث عن النوم بشتى الطرق دون جدوى.. داعياً أن تُستكمل كوابيسه.. ولأن الأشياء دائماً لا تأتي عندما نكون في أشد الحاجات إليها.. فلم يلبي النوم نداءه ولم ترأف هلاوسه بحاله، بل ظل مستيقظاً والألم ينهش رأسه نهشاً.. سيجارة تلو الأخرى.. حتى دقت الساعة معلنة عن الثامنة صباحاً فتوجه إلى هاتفه مسرعاً.. بالطبع أحضر رقم دكتور طارق.. لم يفكر حتى لو للحظات عن إمكانية أن يكون الطبيب نائماً.. لم يفكر سوى في ما أتاه به كيوبيد في حلمه من أحداث مازال يستمع إلى جرس الاتصال حتى انتهت المكالمة.. فيعاود الاتصال مرة أخرى.. مصمماً على الوصول له حالاً.. مرة تلو الأخرى ويعاود الاتصال أيضاً.. وبعد محاولاتٍ عدة باءت بالفشل أتاه أخيراً صوت دكتور طارق المستيقظ على غير المتوقع:

طارق: إيه يا أبو حميد صباح الفل.

أحمد: دكتور أنت فين؟؟

طارق: معلش يا أحمد مانا قايلك أن أختي ميعاد سفرها النهاردة فكنت بنزلها حاجتها العربية وسافروا دلوقتي

أحمد: ينفع أشوفك دلوقتي؟

طارق: أنا عينيا ليك يا أبو حميد.. طمني في جديد؟؟!

أحمد: لما أشوفك هقولك.. أجيلك فين؟؟

طارق: طيب هستناك في الكافيتيريا بتاعت إمبارح.. عشان نروح البيت

***

على الجانب الآخر كانت أميرة تستيقظ من نومها على صوت والدتها مدام فريدة وما أن استيقظت أميرة وبدأت في مداعبة خصلات شعرها المنسابة على جبينها.. لحظات حتى جلست والدتها بجوارها على الفراش قائلة:

فريدة: مش كفاياكي بقى تفكير في الموضوع ده وتعذيب في روحك وفينا.

أميرة: موضوع إيه يا ماما؟؟

فريدة: أومال الألبوم ده بيعمل إيه في حضنك وأنتي نايمة يا أميرة

(قالت تلك الجملة ملوِحة بصورة أحمد وأميرة)

لم تجد أميرة ما ترد به من كلمات.. إلا أن والدتها قد رفعت ذلك الحرج عنها بتغييرها لمسار الحوار:

فريدة: خلينا في المهم فيه خبر مش حلو عالصبح.

أميرة: خير يا ماما؟؟!

فريدة: حازم ابن أونكل هاني عمل حادثة بالعربية إمبارح بالليل ومحجوز

في المستشفى.. اعملي حسابك هنروحلهم المستشفى بالليل.

أميرة: طب وهو كويس؟؟

فريدة: آه متقلقيش لسه قافلة مع مامته دلوقتي وطمنتني عليه وباباكي معاهم من الصبح.

أميرة: طب لما هو كويس حاجزينه ليه؟؟

فريدة: هم كانوا هيمشوه بس لما باباكي وصل وعرفوا أن ده ابن صديق سيادة النائب حبو يبينو أنهم شايفين شغلهم.

أميرة: طب يا ماما ما كفاية أنتي وبابا.. أنا لازمتي إيه؟؟

فريدة: إزاي بقى يا مارو مانتي عارفة أنهم مابيسيبوناش في حاجة.. وبعدين عشان خاطر باباكي أنتي عارفة بيحب حازم قد إيه.

أميرة: حاضر يا ماما اللي تشوفيه

طبعت مدام فريدة قبلة على جبين فتاتها المدللة والوحيدة قبل أن تنصرف وهي تخبرها بأن هاجر في الطريق إليها الآن.

وبالطبع لم يمر ذلك الخبر الخاص بحازم مرور الكرام على ذاكرة أميرة، ولكنها ابتسمت متخيلة لو أن أحمد ما زال يملك زمام قلبها الآن فطبعا كان سيثور كالبركان رافضاً أن تزور حازم أو (الواد الملزق) على حد تعبير أحمد.. وبالطبع السبب واضح ومعروف وهو غيرة أحمد المتناهية التي طالما عشقتها.. خصوصاً وأن حازم يعتبر صديق الطفولة لأميرة فقد ارتادا نفس المدرسة منذ طفولتهما بنفس الصف وبصحبة هاجر.. فقد كانوا ثلاثتهم بمثابة الكتلة الواحدة منذ نعومة أظفارهم خصوصاً وأنهم قد ولدوا بنفس السنة وحتى وصلوا إلى أول سنوات الجامعة وهنا تفرقوا إلى قسمين.

فقد سلكت أميرة طريقها بكلية التجارة على عكس حازم وهاجر فقد قررا أن يرتادا كلية الهندسة في إحدى الجامعات الخاصة بالقاهرة. ولكن ذلك وأن زاد علاقة هاجر وحازم قوة ولكن لم يضعف علاقتهما بأميرة.

بل ما أضعف علاقة أميرة بحازم فعلاً هو محاولته بشتى الطرق سابقاً أن يخطف فؤادها حتى أنه قد تقدم رسمياً لخطبتها ولكن قوبل طلبه بالرفض منها رغم محاولات والديها المستميتة، فقد كانت تراه بمثابة شقيق فقط لا يمكن أن تنظر إليه بأي طريقة أخرى.

واستمرت العلاقة في التهاوي حتى قضي عليها أحمد باستحواذه على فؤادها.

ولكن حازم لم يعلن استسلامه فقد عاود طلبه مرة أخرى عقب انفصالها عن أحمد وكلف هاجر صديقتهما المشتركة حالياً بعرضه على أميرة ولكن الأخيرة تهربت أيضاً.

فبالرغم من انتهاء علاقتها مع أحمد ولكنها لا ترى نفسها إلا بين ذراعيه لا يمكن أن تتخيل أن ينطق لسانها باسم آخر غيره بعد كلمة "بحبك" التي لم تنطق بها على مدار حياتها سوى له.

قطع شريط الذكريات ولوج هاجر إلى غرفتها قبل أن تجلس بجانبها على السرير.

أميرة: هاجر عرفتي اللي حصل لحازم؟

هاجر: أه أنا لسه جاية من عنده أهو.

أميرة: طمنيني.. هو كويس.

هاجر: زي القرد مفيهوش حاجة.. هو باباكي بس لما جه الدنيا اتقلبت.. وهيخرج بالليل.

أميرة: أحمد كلمني إمبارح.

هاجر: بتهرجي؟؟ ها وبعدين.

أميرة: عايزنا نرجع.

هاجر: مبرووووك يا ميرو.. مش قولتلك؟

أميرة: مبروك على إيه.. أنا ماوافقتش أصلاً.

هاجر: نعم؟!! ماوافقتيش!!اليه؟

أميرة: أنا مش لعبة في إيده يا هاجر لما يعوزني يلاقيني أنتي ماشوفتيش كان بيكلمني إزاي.. ولا شوفتي كان بيعاملني إزاي قبل ما نسيب بعض.

بدأت أميرة في سرد ذكريات ذلك اليوم المشئوم والذي انتهت فيه علاقتها بأحمد فعلياً وأن كانت محتضرة بالفعل منذ شهور من قبل ذلك الميعاد..

1 نوفمبر 2016

دقت ساعة الحائط بغرفتها لتعلن عن السادسة مساءً من ذلك اليوم الذي غلبته الغيوم وطغت عليه رياح الخريف المبيدة لكل ما يحمل روحاً للجمال.

وقفت تتأمل ملامح وجهها المستدير أمام مرآتها، تحاول جاهدة أن تقاوم كل تلك الأسئلة التي تراودها وتتجاهلها، أن تجعل فقط صوب عينيها ذلك اللقاء الذي انتظرته وألحت في طلبه كثيراً منذ ما يزيد على الشهر.

حاولت أميرة جاهدة بمساعدة مساحيق التجميل أن تداري ذلك الانطفاء الذي حل على روحها وطغت آثاره على ملامحها وبشرتها الخمرية اللامعة. فالمرأة وأن تزينت بأروع وأثمن الوسائل الممكنة سيظل فؤادها هو مصدر الإشراق فيها، تأملت معالم جسدها الشرقي المليء بتلك المنحنيات الأنثوية التي يخر أمامها أعتى الذكور ساجداً، لتعاود تلك الأسئلة الهجوم لتسأل تلك المرأة التي تراها في المرآة عما حدث..

ما سر ابتعاده التدريجي عنها، أليس هو ذلك الرجل الذي طالما أخبرها أنها أجمل النساء بناظريه؟، ألم يمطر أذنيها كثيراً بوابل من الغزل عفيفه كان أو صريحه؟!، ألم يقسم بأغلظ الأقسام بأن لا حياة له دونها؟!

فلم انطفأت نيران أشواقه؟! وهو نفسه الذي عاشت معه سنة من الارتباط قبل خطبتهما أقل ما توصف بها أنها سنة بالجنة، بالإضافة إلى ما يقرب من ثمانِ شهور من خطبتهما قد سارت الأمور على ما يرام فيها وأحاطت السعادة علاقتهما، ولكن منذ حوالي ستة شهور من الآن تغير كل شيء دون أي أسباب واضحة.

لم يعد أحمد ذلك الشاب الذي يهتم بكل تفاصيلها، لم يعد فارس قصتها الذي اختطف فؤادها للمرة الأولى بحياتها، بل أهملها حتى صارت يُرثى لها.. تغاضت كثيراً عن قسوة معاملته وإهماله الشديد لها بدافع من الحب الكبير الكامن بفؤادها له وتحاملت على كرامتها كثيراً ولكن دون جدوى.

وفي ذلك اليوم بالذات قد كان مضى ما يقرب من الثلاثين يوماً على لقاء أميرة الأخير بخطيبها (أحمد)، ثلاثون يوماً من الحديث الجاف والتهرب الدائم من لقائها رغم إلحاح أميرة الدائم ومطاردتها له باتصالاتها الدائمة والتي يرد عليها أحمد تقريباً مرة كل عشرين مرة.. ولكنه استجاب أخيراً لطلبها وأن كانت طريقته فظة ومهينة في قبول ذلك الطلب وكأنه يعطف على أحد المساكين، ولكنها تناست كل ذلك في سبيل لقائها بمن أسر فؤادها.

أتمت أميرة استعدادها قبل أن تمسك هاتفها وتحضر رقمه وتتصل به.

أميرة: إيه يا حبيبي أنا جهزت خلاص أنت فين.

أحمد: أنا مستنيكي في الكافيه اللي بنقعد فيه.

أميرة: إيه ده؟! هو أنت مش هتيجي تاخدني؟

أحمد: مش لازم أجيلك يعني يا أميرة، إيه متعرفيش تيجي لوحدك.

أميرة: لا أعرف، بس ما أنت على طول بتيجي تاخدني من البيت ليه لا النهارده.

لم يرد أحمد على تعليق أميرة سوى بزفير ينم عن الضيق الشديد فاستدركت أميرة حديثها حرصاً على ذلك اللقاء الذي تعتبره مصيري.

أميرة: خلاص يا حبيبي مش مهم ربع ساعة وهبقى عندك.

أغلقت أميرة المكالمة وأمسكت بحقيبة هدايا كبيرة احتوت على ما اختارته لأحمد بعناية شديدة كهدية، بنية بداية جديدة لعلاقتهما التي ترى أنها تستحق العناء.

دقائق مرت فصلت وصول أميرة إلى ذلك الكافيه لتتجه إلى طاولة أحمد وعلى شفتيها ابتسامة تفيض بالاشتياق، ولكن على النقيض كان استقباله لها... فقد كان استقبالاً جافاً وكأنه بالفعل قد أُجبر على ذلك اللقاء، ثم جلست أميرة بجواره لتبدأ الحديث:

أميرة: وحشتني أوي يا أحمد.

أحمد: ربنا يخليكي يارب ماتشوفيش وحش.

أميرة: بص بقى أنت بقالك ست شهور بالظبط حالك متغير أنا جاية النهارده عشان أقولك حاجة واحدة.. أنا بحبك يا أحمد ومحدش في الدنيا كلها بيحبك قدي أنا خطيبتك يا أحمد يعني هبقى مراتك، اتكلم قولي إيه اللي مغيرك كده.. طب أنا زعلتك في حاجة؟

أحمد: بقالنا 6 شهور بنقول نفس الكلام ونعيده مالك يا أحمد؟... مفيش.. زعلان مني يا أحمد؟.. لأ.. إيه يا أميرة مبتزهقيش؟

أميرة: طيب خلاص متزعلش.. طب بص أنا جيبالك إيه.

قالت أميرة تلك الجملة وهي تمد يدها بحقيبة هدايا حمراء اللون إلى أحمد الذي مد يده ليأخذها بابتسامة جافة حطمت من قلب أميرة الكثير، فقد ظلت طوال ثلاثة أيام متتالية حائرة بين المحلات التجارية لتختار تلك الهدية بما يتناسب مع ذوق أحمد، ولكنها أيضاً تغاضت عن ذلك واستطاعت بالكاد أن تمنع دموعها من الوصول إلى عينيها.

فتح أحمد الحقيبة وهو يخرج سترة جلدية تبدو باهظة الثمن، بنية اللون ولكنه حتى لم يكلف نفسه عناء تفحصها أو شكر أميرة عليها، ولكنه أخرجها كنوع من (تقضية الواجب) وسرعان ما أعادها.

أميرة: إيه ده أنت هتعينه تاني.. طلع الجاكيت وقيسه يلا.

أحمد: نعم؟؟! أقيسه هنا؟!

أميرة: آه يا حمودي والنبي نفسي أشوفه عليك جداً، وعشان كمان أطمن عالمقاس.

لازال أحمد يزفر ضيقاً عقب كل جملة تتفوه بها أميرة ولكنه أطاع رغبتها أملاً في أن ينقضي اليوم سريعاً، وبادر في لبسها وسط سعادة أميرة وجمود ملامحه.. قبل أن يخلعها ويعيدها إلى الحقيبة.

أميرة: الجاكيت ده بقى يليق عالبنطلون البني والساعة البني الجلد بتاعت عيد ميلادك والسيفتي البني هيبقى حلو جداً.

أحمد: آه ده أنتي كده نفسك في قهوة بقى.. وبعدين هي الهدية دي بمناسبة إيه؟

أميرة: هو لازم يبقى فيه مناسبة عشان أجيب لخطيبي هدية؟! ومع ذلك يا سيدي آه ليها مناسبة عشان من النهارده إحنا هنبدأ صفحة جديدة مع بعض وهننسى كل اللي فات.. طب بذمتك ما وحشتكش يا حمودي.

أحمد: عادي يعني يا أميرة.

لم تستطع أميرة هذه المرة التحكم بدموعها أكثر من ذلك فقد استباح كرامتها مراراً وتكراراً حتى شعرت بالذل بهواه، ولكنه حتى لم يرأف لحالها بعد بكائها ولكنه اكتفى بالإشارة إلى أحد العاملين بالكافيه الذي أتى مسرعاً ليحدثه أحمد قائلاً:

أحمد: هاتلي والنبي قهوة سادة وهات للهانم مناديل عشان بتعيط.

أميرة: هو في إيه يا أحمد؟؟ بتعاملني كده ليه؟؟ عملت أنا إيه عشان تعاملني كده؟

أحمد: آه رجعنا تاني للاسطوانة دي طب بصي أنا هسكت خالص ولما تخلصي كلام فيها إبقى عرفيني.

أميرة: يا أحمد حرام عليك اللي بتعمله فينا ده.. إحنا مخطوبين عن قصة حب وقصة حب كبيرة كمان، وأنت بتعاملني كأنك مغصوب عليا فهمني في إيه.

لم يرد أحمد عليها بل اكتفى بالنظر إلى الأعلى بتجاهل واستفزاز متناهي فاستمرت أميرة بالحديث.

أميرة: طيب إيه غيرك ناحيتي؟؟ أحمد.. أنت بتعرف واحدة عليا مش كده؟

ولكنه أيضاً لم يرد بل زاد من أفعاله الاستفزازية بإطلاق بعض الألحان من شفتيه على شكل صفير متعمداً النظر إلى أماكن متفرقة بعيداً عنها، مما أجج من نيران غضبها فانطلقت تتحدث كالسلاح الآلي وكأن تراكمات ستة شهور من المعاناة قد خرجت من فمها.

أميرة: لا بقى كده كتير.. أنا ماستهلش كل ده يا أحمد.. أنت ليه بتذل فيا بالشكل ده.. لو مش عايزني قولي يا أحمد.. أحمد أنا مش هقدر أستحمل أكتر من كده يا تقولي فيك إيه ونتفاهم يا ترجع تعاملني زي الأول.

أحمد: وأنا مافياش حاجة ومش هعرف أغير معاملتي يا أميرة.

هنا قررت أميرة أن تترك الكرة في ملعبه فتمالكت أعصابها ومسحت دموعها وهي تتحدث كمن يتلو قرارا.

أميرة: بص يا أحمد أنا شايفة إني لازم أبعد عنك حبة يمكن أوحشك أو تحس بقيمتي أو تحس إنك محتاجلي وساعتها هتلاقيني.

أحمد: براحتك يا أميرة.

نطق بتلك الكلمة والابتسامة تعلو شفتيه وكأن ذلك مبتغاه وهدفه. فهبت أميرة منطلقة مبتعدة عنه دون وداع تسارع الزمن للوصول إلى سيارتها لتجهش بالبكاء بعيداً عن أنظاره. فلم تعد كرامتها تحتمل ولو وزن قشة وقد قررت أن تنفذ ما قالت فإما أن يعود راجياً باكياً إلى هواها لتجد الشخص الذي أحبته من كل فؤادها وإما فلا.

أنهت أميرة سردها لذلك اليوم وقد عادت جراحها للنزف من جديد وسلكت الدموع مجراها الطبيعي الذي اعتادت عليه في الآونة الأخيرة قبل أن تنهي حديثها:

. فمش بعد كل ده أول ما يشاورلي أرجعله يا هاجر.. مش بسهولة كده.

***

دقائق فصلت وصول أحمد إلى الكافيتيريا للقاء طبيبه ومنقذه، ليجد دكتور طارق بانتظاره على رصيف الكافيتيريا.. أوقف أحمد سيارته وترجل منها مصافحاً دكتور طارق ليصطحبه الأخير إلى مكان عيادته الجديدة التي هي بالأصل مسكن لشقيقته وزوجها ولكن لظروف عمل زوجها بالخارج فيتخذها دكتور طارق مكاناً لعيادته بغيابها وبالفعل وصلا إلى الشقة وما أن دخلا إليها حتى لاحظ أحمد أن الشقة فارهة والتي ظهر على طلاء جدرانها والأثاث الفاخر مقارنةً بعيادة دكتور طارق الأصلية

أدخله دكتور طارق إلى إحدى الغرف قبل أن يستأذنه ليحضر كأسين من الشاي تاركاً أحمد بمفرده.

اتجه أحمد إلى الشازلونج مرخياً جسده شاعراً بحيرة كبيرة.. قبل أن يسمح لعينيه بالتجول بغرفة الطبيب.. لتستوقفه لافتة معلقة على أحد الجدران وقد كُتب عليها:

"كيوبيد.. سهم يحمي المحبين"

وقف أحمد واتجه إلى تلك اللافتة التي تتشابه مع ما رآه بحلمه الأخير مدققاً النظر بها قبل أن يأتيه صوت الطبيب من خلفه وهو يضع صينية الشاي

طارق: للدرجة دي عجباك؟؟!

أحمد: مش قصة عجباني.. هي طبعاً حلوة.. بس أنا شوفتها في الحلم.

طارق: الجملة دي ليها قصة كبيرة

اتجه أحمد ليجلس أمام دكتور طارق الذي فهم من نظراته رغبته في معرفة قصة هذه اللافتة فاستكمل:

طارق: دي أخر جملة قالها إله الحب كيوبيد قبل ما يفك اللعنة عن أبوللو

إله الجمال والفن طبقاً للأساطير الإغريقية.

أحمد: أنت تقصد أن اللعنة اللي أنا بعاني منها دي مذكورة في الأساطير الإغريقية؟؟!

طارق: مش بالظبط.. لعنة كيوبيد اللي في الأسطورة غير النظرية اللي أنا طورتها وبحاول أثبتها.

أحمد: واللي كانت في الأسطورة كانت عبارة عن إيه؟؟!

طارق: الأسطورة بتقول أن الإله أبوللو إله الفن سخر من كيوبيد إله الحب

واعتبره مالوش لازمة وأن الفن والشِعر والجمال بشكل عام قادرين يخلوا الناس يحبوا من غير ما الإله كيوبيد يصيبهم بسهمه الذهبي المخصص للحب والسعادة.

أحمد: وبعدين؟؟!

طارق: هنا قرر الإله كيوبيد استخدام سهمه الرصاصي المخصص للكره والشقاء لأول مرة.. فأصاب الإله أبوللو بسهمه الذهبي وخلاه يعشق دافني الجميلة وأصاب دافني بالسهم الرصاصي وخلاها تكره أبوللو.. وطبعاً ده اللي أصاب أبوللو بالشقاء والتعاسة لحد ما راح لكيوبيد واعتذرله عن سخريته منه.. وطبعاً سامحه كيوبيد وهو بيقول "لكيوبيد سهم يحمي المحبين".

أحمد: طب وإيه علاقة الأسطورة دي بالنظرية بتاعتك.. دول مختلفين تماماً.

طارق: متأكد؟؟!!

أحمد: آه طبعاً متأكد.. دول ميعرفوش بعض أصلاً.

طارق: بالعكس التشابه موجود في البداية والنهاية.

أحمد: إزاي؟؟!

طارق: في الأسطورة سبب اللعنة هي سخرية أبوللو من قدرات كيوبيد وفي النظرية السبب هو سخرية شخص من الحب نفسه واللي بيترتب عليه ظلمه لشخص آخر وبالتالي كيوبيد بيصيب الشخص ده بالشقاء زي ما أصاب أبوللو باختلاف الطريقة أما في النهاية فكيوبيد عفا عن أبوللو لما اعتذرله واعترف بغلطه وهو ده اللي بعتمد عليه في نظريتي أن الشخص المصاب باللعنة اللي هو حضرتك مثلاً تصلح ما أفسدته في

حياة الشخص الآخر وهنا كيوبيد هيعفو عنك زي ما عفا عن أبوللو.. فهمت؟؟!

أحمد: آه فهمت.. عارف لو كنت سمعت الكلام ده قبل الهلوسة والكوابيس اللي بتحصلي كنت قولت إيه؟؟!

طارق: آه طبعاً عارف.. كنت قولت عليا هوبا زي ما بيقولو عليا..

انطلقت ضحكاتهما تدوي بين جدران الشقة الفارهة معلنة عن بداية عهد صداقة جديد بين طارق وأحمد كلاهما شعر بذلك وإن كان كلاهما قد أُرغم على ذلك بفعل الوحدة.. لحظات مرت قبل أن يعتدل الطبيب بجلسته ويبدأ بإعداد مدونة ملاحظاته وقلمه ثم يشغل مسجل هاتفه.

طارق: ها بقى يا أبو حميد إيه جديدك؟!

أحمد: زي ما أنت قولت بالظبط يا دكتور.. كيوبيد كل ما بعمل خطوة بيعمل خطوة.. الشاهد الثاني ظهر.

طارق: شخصية جديدة مش كده؟؟!

أحمد: بالظبط يارا سليمان

طارق: إحكيلي الحلم بالتفصيل

وبالفعل بدأ أحمد في سرد الحلم بأدق تفاصيله بما فيه ظهور يارا داخل القفص الحديدي وقتل كيوبيد لها.. انتهى سرده لذلك الحلم وهم بإشعال سيجارة ليتحدث الطبيب.

طارق: تمام.. عايزك تحكيلي عن يارا شوية.

أحمد: هي أول حب حقيقي في حياتي.. أول سهر وتفكير بالليل أول بوسة أغمض فيها عنيا وأنسى الدنيا.. باختصار هي أول دقة قلب وفي نفس الوقت هي الضربة اللي غيرتني وغيرت تفكيري.

طارق: اتعرفت عليها إزاي؟؟

أحمد: أختها تبقى أنتيمة أختي.. شوفتها ليلة فرح أختي في بيتنا ومعرفتش أنزل عيني من عليها.. وبعدها بكام يوم ابتدت قصة حب طارق: حاجة حلوة جداً.. طب وسيبتوا بعض ليه؟

أحمد: زي ما قولتلك يا دكتور يارا هي الضربة اللي غيرتني.. ماتتخيلش أنا عملت عشانها إيه واتحديت الدنيا كلها عشانها إزاي.. بس للأسف زي أي فيلم عربي قديم ومحروق.. مع أول عريس متريش يجي.. رمتني واتخطبتله.

طارق: اممم... جرحتك يعني؟؟

أحمد: جرحتني!!.. هههه.. دي دبحتني يا دكتور.. أنا لا يمكن أسامحها.

طارق: لا طبعا ماتسامحهاش.. وبعدين ما خلاص كيوبيد خدلك تارك ودبحها زي ما دبحتك.

اعتدل أحمد في جلسته وقد بدا عليه الذعر.. فقد فهم ما يرمي إليه كلام الطبيب.. فبالطبع يقصد أن يارا قد أُصيبت بلعنة كيوبيد.. خصوصا بعدما تذكر أنها لم تلبث أن أنهت خطبتها من ذلك الذي فضلته عليه بعد خطبتها بأقل من الشهرين.. ثم دخلت في تجربتين أخرتين ولكنهما باءتا بالفشل نظر أحمد إلى الطبيب وهو يجمع خيوط ما يدور بعقله ليرى على شفتي الطبيب ابتسامة المعجب بتحليله.. الواثق من نفسه ليوجه له أحمد سؤالا على الرغم من أنه يعرف الجواب تمام المعرفة ولكنه سأل ذلك السؤال ليؤكد لنفسه ما فهمه قائلاً:

أحمد: أنت تقصد إنها بتعاني من اللعنة بسببي وعشان كده محطوطة في القفص..؟؟ وعشان كده كيوبيد دبجها؟؟!

طارق: بالظبط كده.. ولو تلاحظ إنها جتلك من غير عينين زي ما أنت كنت بتشوف نفسك في المرايا في بداية الحلم وده معناها عدم فهمها للي بيحصلها.. قولي متعرفش عنها حاجة من يوم ماسيبتو بعض؟؟!

أحمد: كل اللي أعرفه إنها اتخطبت وسابت خطيبها واتخطبت كذا مرة بعدها وبرده محصلش نصيب.

طارق: أنت قولتلي أن أختها وأختك كانوا صحاب؟؟ هل لسه صحاب؟؟

أحمد: آه جداً دول بيعتبروا نفسهم أخوات.

طارق: يعني أختك أكيد تعرف عن حالتها العامة حالياً حاجات تقدر تساعدنا مش كده؟؟

قال الطبيب تلك الجملة وهو ينظر لأحمد بأعين لامعة بها شغف كبير.. فها هو القدر قد بعث له بتلك اللعنة التي أفنى بها شبابه بين يديه ليثبت لكل من اتهمه بالجنون بأنه على صواب.. استقبل أحمد نظرات الطبيب على أنها أمر واجب النفاذ دون أي تأجيل وبدون أي تفكير أخرج هاتفه ليحضر رقمها ويتصل بها..

يمنى: مش معقول.. أستاذ أحمد أخويا بنفسه بيكلمني.

أحمد: معلش يا يويو عارف إني مقصر معاكي.

يمنى: يا سيدي ولا يهمك.. كفاية أني سمعت صوتك.. أخبارك إيه.

أحمد: أنا تمام.. يمنى كنت عايز أسألك على حاجة.

يمنى: خير يا حبيبي.. قول.

أحمد: متعرفيش حاجة عن يارا..؟

يمنى: يارا!!.. أنت تقصد يارا أخت رحمة صح؟؟

أحمد: آه.. هي كويسة؟؟

يمنى: أنت بتسأل عليها ليه؟؟

أحمد: لا مفيش.. بس حلمت بيها إمبارح حلم وحش شوية.

يمنى: معقولة!!!.. سبحان الله قلبك حس باللي حصلها.

أحمد: ليه هو إيه اللي حصلها؟؟

ارتسمت ملامح الرعب الممزوجة بالحزن والدهشة على ملامح أحمد بعد سماعه لأخبار يارا.. وسط ترقب دكتور طارق الموقف الذي يعُد كبرهان بالنسبة له على أنهما يسيرا بالطريق الصحيح.. أغلق أحمد الهاتف ونظر إلى الطبيب وقد شحب وجهه ناظراً إلى الطبيب لا يجد ما يقوله قبل أن يسأله طارق:

طارق: ها قالتلك إيه؟؟

أحمد: أنا مش قادر أصدق.. أختي بتقولي أن يارا بقالها فترة تعبانة نفسياً وبتعاني من اكتئاب... وإمبارح بالليل حاولت تنتحر قطعت شرايينها ومحجوزة في مستشفى الجامعة.

ما أن نطق أحمد بهذه الكلمات حتى قفز الطبيب من على كرسيه فرحاً وأخذ يضرب الهواء بقبضته صارخاً فرحاً لم لا وهذا دليل آخر وقطعي على صحة نظريته وبالطبع دليل آخر على أنه يسير بالطريق الصحيح مع أحمد الذي كان في ذلك الوقت شارداً تسيطر عليه مزيج من المشاعر والأفكار.. أولها بالتأكيد مشاعر الحزن على ما سمعه من أخبار سيئة عن يارا، أما ثانيها وأصعبها هو إحساسه بأن ما حدث ليارا في طريقه إليه بالفعل.. لاحظ الطبيب وسط قفزاته وصراخه فرحاً نظرات أحمد الحزينة فتوقف عن أفعاله لائماً نفسه قبل أن يعود للجلوس في مواجهة أحمد قائلاً:

طارق: أنا أسف على الفرحة دي ... بس ده معناه أننا ماشيين صح .

أحمد: دكتور هو أنا هيحصلي زي يارا؟؟

طارق: لا طبعاً مش شرط اللي حصلها يحصلك.. زي ماهو مش شرط اللي بيحصلك يكون حصلها... اللعنة دي حقيقة يا أحمد مش وهم ولا أسطورة... والحقيقة دايماً نسبية.. بتختلف من فرد للتاني.

أحمد: طب يارا يا دكتور هيحصلها إيه؟؟

طارق: يارا نجاتها في إيدك يا أحمد روحلها هي أكتر حد محتجلك دلوقتي ومن جواك سامحها ده لو أنت قلبك عليها فعلاً .

أحمد: فكرك ده يساعدها؟؟

طارق: طبعاً.. وبعدين كفايانا تضييع وقت بقى إحنا لازم نوصل لوردة

أحمد: أيوه بس هنوصلها إزاي؟؟

طارق: سيب الموضوع ده عليا يلا روح أنت افتح محلك وحاول على قد ما تقدر تعيش حياتك عادي.. وماتنساش تعدي على يارا ميعاد الزيارة في مستشفى الجامعة من 6 ل 7 وخلص وكلمني.

وبالفعل امتثل أحمد لكلام طبيبه وصديقه الوحيد حالياً وهبط من العيادة ولكنه لم يتجه إلى محله فقد قرر العودة إلى الكافيتيريا.

أما طارق فقد أرخى جسده على الشازلونج الخاص به ممسكاً بصورة هدى زوجته الراحلة ناظراً إلى ملامحها التي اشتاق إليها كثيراً قبل أن يضمها إلى صدره متحدثاً إليها قائلاً:

(خلاص يا حبيبتي هانت وهحقق حلمنا.. فاكرة يا هدى لما قولتيلي في يوم هتوصل وهتثبت لكل الناس إنك صح؟؟.. أوعدك إني مش هبطل أحاول إلا لما أحقق ده.. أنتي وحشتيني أووي.. كنت محتاجك دلوقتي فوق ما تتخيلي.. على قد ما أنا نفسي أموت عشان أقابلك.. على قد مانا خايف أموت واشوفك من غير ما حقق اللي كان نفسك فيه..)

أنهى طارق حديثه مع صورة زوجته وحب عمره وقد تسربت دموعه من عينيه قبل أن ينهض جالساً على مكتبه ليخرج ملف أحمد من طيات أدراجه وبدأ في مراجعة كل المعلومات التي أعطاها أحمد له وبنفس الوقت ينقل التسجيل الخاص بأحمد الذي أجراه معه منذ قليل إلى حاسوبه الشخصي ليضيفه إلى المجلد الذي يحتوي على التسجيلات السابقة وبدأ في تشغيلهم تباعاً وبالترتيب فاتحاً مدونته أمامه ليرسم دائرتين كبيرتين يكتب بداخل الأولى اسم بتول وداخل الثانية اسم يارا.

بعدما ترك أحمد الطبيب اتجه إلى كافيتيريته المحببة ويشرب مشروبه المفضل.. يتذكر لقاءه الأول بيارا هنا.. بعدما صارحها بحبه.. يتذكر بوكيه الورد الأبيض الذي أشرفت ولاء صديقته على إعداده حتى دون أن تعلم اسم المقصودة به والتي وصفها أحمد أنها هدية السماء.. يتذكر لحظة دخولها وتلك اللمعة التي احتلت عينيها عند رؤيتها للبوكيه.. ولكنه يتذكر أيضاً نبرتها القاسية بآخر مكالمة بينهما.. يتذكر كيف ترجاها ألا تخذله بعدما تحدى الجميع من أجلها ويتذكر ردها:

"آسفة يا أحمد... بصراحة أنا شايفة أن ملكش مستقبل"

فقط أسبوعان فصلا تلك الجملة عن خبر خطبة يارا لأول مرة.

ظهر اسم فاروق على شاشة هاتفه ليتوقف قطار الذكريات ويجيب عليه أحمد بلهفة:

أحمد: كنت مستني تليفونك مردتش اتصل وأصحيك.

فاروق: أنت في المحل أجيلك؟

أحمد: لا مش في المحل.. عارف الكافيه اللي بحب أعد فيه؟

فاروق: آه اللي عند الجامعة القديمة.. ربع ساعة وأكون عندك.

فنجال من القهوة ارتشفه أحمد مشعلاً سيجارة كان كفيلاً بانقضاء تلك المدة قبل أن يأتي فاروق بادياً عليه التوتر ولكنه بوجه عام يبدو

أفضل حالاً من البارحة.. طلب فنجالاً من القهوة التي اعتاد على شربها "مظبوط " في طريقه إلى طاولة أحمد.

فاروق: ها سألتلي الدكتور بتاعك؟

أحمد: يابني الناس بتقول سلام عليكم عامل إيه وبعدين تسأل.

فاروق: سلام عليكم.. عامل إيه.. سألتلي الدكتور بتاعك؟

أحمد: آه سألته وحاولت على قد ما أقدر إن..

فاروق: قالك الحل إيه؟

أحمد: قال إن لو الضحية ماتت كفاية إنك تعترف قدام نفسك بذنبك.. لكن لو كان لعبك بمشاعرها هو اللي اتسبب في موتها زي حالتك مع هند.. فهتبقى أصعب شوية.

فاروق: أصعب إزاي أنا مستعد لأي حاجة.

أحمد: هو قال أن في الحالة دي لازم الجاني يعترف بأنه كان السبب في ده للناس اللي مهتمين بأمر الضحية.

فاروق: لأهلها مثلاً؟

أحمد: يعني بتهيألي هيبقى صعب لأهلها ممكن عالأقل صحابها.

فاروق: عارف يا أحمد.. من يوم ما هند ماتت وأهلها بيكلموا نفسهم.. كانت جوهرة البيت.. محدش كان يتخيل إنها ممكن تنتحر.. أنا لازم أوصل لأهلها وأعرفهم الحقيقة.. هب فاروق واقفاً قبل أن يمسك أحمد بيده متبتاً وهو يصيح:

"بلاش يا فاروق عشان خاطري بلاش أنت فاكرها سهلة كده تروح لناس وتقولهم مساء الخير أنا السبب في موت بنتكم.. متخيل هيعملوا فيك إيه؟"

فاروق: متقلقش يا صاحبي.. هتعدي على خير إنشاء الله.. واعمل حسابك هنسهر بليل سوا بس من غير حشيش أشوف وشك بخير... أحمد لازم أنت كمان تبطل حشيش لا إله إلا الله.

احتضن أحمد فاروق بشدة وبادله فاروق نفس الشعور وكأنهما يؤكدان لبعضهما البعض أنه اللقاء الأخير بينهما.

انصرف فاروق تاركاً أحمد بمفرده لينظر إلى ساعته ليجدها قد أشارت إلى الخامسة والنصف فاستعد أحمد للرحيل من الكافيتيريا والذهاب إلى يارا بالمشفى وسط هطول خفيف للأمطار وبرودة متوسطة للجو ساعدت أحمد على السير بدلاً من ركوب سيارته محاولاً ترتيب أفكاره وحديثه مع يارا فقد مضى على آخر لقاء جمعهما ما يقارب الخمس سنوات يرى ضحكاتها معه بنفس مكان سيره.

يستنشق عطرها بدلاً من رائحة المطر، لا يعلم ما سر الحنين الذي استعمر فؤاده هل هو بفعل العاطفة التي أحياها الموقف أم مجرد شفقة.

وصل إلى بوابة المشفى في تمام السادسة مساءً ثم دخل إلى قسم الاستقبال متحدثاً إلى ممرضة:

أحمد: لو سمحت كنت بسأل عن حد وصل إمبارح بالليل اسمها يارا حسن سليمان في الدور الكام؟

الموظفة: ثانية واحدة

بدأت الموظفة في فحص بعض الأسماء الخاصة بدخول المرضى على شاشة الكمبيوتر قبل أن تستكمل:

. آه دي البنت اللي حاولت تنتحر مش كده؟؟

أحمد: آه بالظبط كده.

الموظفة: موجودة في قسم الطوارئ في الدور التاني غرفة "202"

أحمد: متشكر جداً

تركها أحمد وصعد للطابق الثاني نظر بعينيه إلى الغرفة 202 بتردد واضح لا يعلم سيدخل إلى تلك الغرفة بأي وجه، نعم هو المجني عليه في قصته مع يارا وليس الجاني نعم يوجد بتلك الغرفة كل من شهد على مقتل قلبه بل وصفق.. سواء والدة يارا أو رحمة شقيقتها أو حتى أصدقاء يارا فكل منهن قد ساهم بشكل ما في تشجيع يارا على قتله واتخاذ قرار الفراق.. ثواني مرت وهو لا يزال ينظر إلى الغرفة قبل أن تخرج رحمة شقيقتها وتراه.

رحمة: أحمد؟؟!!.. خير إيه اللي جايبك هنا؟

أحمد: طمنيني يارا أخبارها إيه؟!

رحمة: يارا!! أنت جاي هنا عشان يارا؟؟!

أحمد: أيوه يا رحمة.. أنا جاي أشوفها.

رحمة: تشوفها؟؟!!.. معتقدش يا أحمد أن ده وقت مناسب لده خالص.. يارا تعبانة جداً ومبتبطلش عياط.. والدكتور مانعها من أي انفعال أو زعل.

أحمد: صدقيني هي هترتاح لما نتقابل.

رحمة: مش هينفع يا أحمد.. أسفة بس أنت لازم تمشي.

أحمد: أمشي؟؟!!.. لا أنا اللي أسف يا رحمة أنا هخش.

قال تلك الجملة واتخذ طريقه إلى الغرفة رغم محاولات رحمة المستميتة لمنعه إلى أنه وصل إلى باب الغرفة ليجد والدة يارا جالسة أمامه مباشرةً ويارا مستلقية على الفراش والتقت أعينهما بعد فراق.

هبت والدتها تحاول بكل طريقة ممكنة إخراج أحمد من الغرفة وهو غير منتبه بالمرة سوى لنظرات يارا المستقرة على عينيه وكأنهما وحدهما يعلما سر اللقاء.. لم يستمر الجدل كثيراً على بقاء أحمد في الغرفة أو إخراجه فقد قطعت يارا كل تلك المحاولات:

يارا: بعد إذنكم سبونا لوحدنا شوية.

والدتها: بس يا حبيبتي أنتي تعبانة مش وقت المقابلة دي خالص.

يارا: بعد إذنك ياماما ده اللي هيريحني أني اتكلم معاه.

رحمة: طيب خلينا معاكو وأنتو بتتكلموا.

يارا: قولت لوحدنا.. بعد إذنكم.

نظرت رحمة إلى والدتها في حيرة قبل أن يستسلما لقرار يارا ويتجها إلى خارج الغرفة.

استمرت أعين أحمد ويارا في لقاء غمرته دموعها التي انهمرت وسط ابتسامة لا تفهم معناها.. فاقترب أحمد منها وجلس بجانبها واضعاً يديه على خدها كما اعتاد أن يفعل عند لقائه بها سابقاً قبل أن يحتضن خدها كفه كإنما وجدت الراحة التي تبحث عنها قبل أن يبدأ هو الكلام:

أحمد: أزيك دلوقتي؟؟

يارا: هتصدق لو قولتلك إني أول مرة أبقى كويسة من يوم ما بعدنا.. ولا هتفتكرني بكذب عليك؟؟!

أحمد: بالعكس.. هصدقك وهصدقك أووي كمان.

يارا: أنت أزيك يا أحمد.. وعامل إيه في حياتك؟؟

أحمد: أنا تمام.. المهم أنتي ليه عملتي في نفسك كده يا يارا؟؟

يارا: ليه؟؟ عشان عايزة أموت.. هتقولي ليه صح؟؟.. طب وأعيش ليه.

أحمد: تعيشي عشان كل الناس اللي بيحبوكي واللي محتاجينك.

يارا: أنا محدش يهمه أمري يا أحمد.. حتى صحابي يا أحمد.. زي ما أنت شايف محدش فيهم فكر يزورني.. عارف أنا مكنش ليا حد إلا أنت وخسرتك بايديا.. أحمد عارف إيه اللي تاعبني؟؟.. أنك حواليا في كل حتة.. الفترة الأخيرة كنت كل ما أنام أشوف نفسي بتخنق وأنت قاعد تبصلي وبتضحك فرحان باللي بيحصلي.. بس حقك تفرح فيا.. بعد ما بعتك.. أنا أسفة أسفة أووووي يا احمد..

قالت تلك الجملة وازدادت حدة بكائها فأمسك أحمد بأيديها كأنه يحتضنهما قائلا:

أحمد: ما تعيطيش.. كلنا بنغلط ما تعيطيش عشان خاطري.

يارا: أحمد.. أنا محتاجاك.. محتاجاك أوي كمان.. أنا بحبك وعمري

ما هبعد عنك تاني أبداً.

مجرد نطقها لتلك الكلمات أفلت أحمد يديها مشيحاً نظره عن عينيها ففهمت ما في نفسه فاستكملت قائلة:

يارا: سمعت أن أنت وخطيبتك سيبتو بعض إيه لسه بتحبها مش كده؟!

لم يجب أحمد ولكنه نظر إلى عينيها نظرة فهمت منها أنه مزال متيماً بأميرة فأشاحت وجهها بعيداً وهي تتحدث:

يارا: أنا آسفة أني قولت حاجة زي دي.. أنا فعلاً ما استحقكش وابقى غبية لو فكرت انك ممكن تسامحني بعد كل ده أنا ما استحقش أي حاجة كويسة أصلاً.

أحمد: ماتقوليش كده يا يارا.. مش معنى أننا ممكن مانرجعش لبعض أنك وحشة بالعكس.. لكن جايز القلوب اتغيرت.. بس هتفضلي أنتي أول حب وحد غالي عليا أووي.

يارا: طب عالأقل قولي إنك مسامحني.

أحمد: مسامحك.. ومن كل قلبي

يارا: ممكن طلب وصدقني هيبقى آخر طلب أطلبه منك.

أحمد: طلب واحد؟؟.. أؤمر ياعم

يارا: نفسي أحضنك

وكأن ذلك ما كان يبغاه أحمد ويأمله فانطلق بقلبه قبل جسده محتضناً إياها وسبحت يارا في بحار أحضانه وكأنها الراحة الأبدية.. وكأن كل منهما يودع الآخر بخير وداع، مرت دقائق يستنشق فيها أحمد رائحة الذكريات العطرة وتشعر بها يارا بالاطمئنان للمرة الأولى منذ أعوام ولا يعلم كلاهما أن هناك من يشهد على تلك الضمة.

ففي تلك اللحظة كانت أميرة قد أنهت زيارتها لحازم بنفس المشفى وتمر بجانب غرفة يارا قبل أن ترى أحمد يضمها مغمض الأعين لتنصرف وقد تمزق قلبها.

عاد كل من أحمد ويارا إلى رشده وتجاوزا آثر الحضن المُسكِر لينظر كل منهما بعيني الآخر نظرة ارتياح ووداع.

أحمد: أوعديني تاخدي بالك من نفسك وتبقي كويسة

يارا: أوعدك.. أوعدني أنت تفضل فاكرني مهما حصل

أحمد: هو أنتي ينفع تتنسي أصلاً؟؟.. أشوف وشك بخير

خرج أحمد من غرفة يارا ومازالت أنظارهما معلقة ببعضهما البعض حتى هبط الدرج.. لا يعلم ما سر ارتياحه الشديد لما جرى.. فلأول مرة

منذ زمن يشعر ولو ببصيص من الأمل يجتاح صدره.. يشعر بنسمات الهواء البارد الصافي تحتل رئتيه.. نعم يشعر بسعادة.

خرج من المشفى ممسكاً بهاتفه مخرجاً رقم دكتور طارق ليتصل به.. ثواني أو أقل ما يمكن منها كان كفيلاً لدكتور طارق أن يرد بلهفة كبيرة على مريضه وصديقه

طارق: أحمد أنت فين

أحمد: دكتور أنا خرجت من المستشفى دلوقتي حالاً مش هتصدق اللي..

طارق: مش مهم.. مش مهم اللي حصل عايزك قدامي في ظرف 5 دقايق

أحمد: خير يا دكتور قلقتني

طارق: وصلت لحاجة هتوصلنا لوردة بنسبة كبيرة

أحمد: ثواني يا دكتور وهبقى قدامك سلام.

***

بعدما ترك فاروق صديقه بالكافيتيريا ترك لساقيه حرية الحركة دون هدف أو مقصد محدد، لم تمنعه الأمطار التي تهطل على رأسه الجرداء من السير بكل هدوء يشعر بالراحة تتهادى إلى قلبه حتى وصل إلى نمرة 6.

ذلك المكان الخلاب الذي يحتوي على كل أنواع السحر والجمال وبالطبع في ذلك الطقس يحتوي على ذلك الهدوء الكافي لإراحة العقل والتفكير ملياً.. وهو أشد ما يحتاجه فاروق.

اهتز هاتفه ليعلن عن مكالمة ينتظرها منذ أن ترك أحمد، فقد استقر أخيراً على مواجهة الإثم الذي اقترفه.. فمبجرد أن ترك صديقه اتصل ب(سمير) أحد أصدقائه القدامى وكلفه بمهمة محددة وهي تجميع ما

يمكن من معلومات عن أهل هند، وبالرغم من أن سمير حاول جاهداً معرفة سبب ذلك وخصوصاً وأنه كان يعلم الكثير والكثير عن هند وقد أصيب هو الآخر بصدمة كبيرة نتيجة انتحارها الغير معروف أسبابه لكن فاروق لم يوضح الكثير ولكنه فقط كلفه بتلك المهمة التي استطاع إيجازها في وقت قصير وإرضاء لفاروق ورداً لأكثر من جميل وذلك عن طريق بعض المعارف وها هو هاتف فاروق يهتز ليعلن عن اسم سمير في خانة المتصل يواري في طياته ما أعتبره فاروق طوق نجاته الأخير.

فاروق: إيه يا سمير وصلت لحاجة؟

سمير: عيب عليك يا روقة أينعم أنت مش عايز تقولي في إيه بس أنا جبتلك قصة حياة عيلتها من بعد اللي حصلها بص يا سيدي:

"الحادثة اللي حصلت لهند وانتحارها الغريب ما تسببش في موت هند وبس ده كان سبب في دمار للبيت كله، أسرة الدكتور هشام هيبة كانت أسرة مثالية وسعيدة جداً كان عنده ولد أكبر من هند الله يرحمها، أكتر حاجة هتجنني وهتجنن ناس كتير أن مكنش فيه أي سبب للانتحار ده بالعكس، هند كانت بنت جميلة ومثقفة ومتدينة نوعاً ما ومفيش أي أسباب واضحة للي عملته، والدتها اكتفت بالاستسلام للصدمة اللي قضت عليها تماماً واتوفت بعد هند ب 3 شهور تقريباً، أما الدكتور هشام والدها فحياته وقفت تماماً على الوصول لأسباب الانتحار ده، لكن هند للأسف مكنش ليها صحاب خالص وقبل ما تنتحر مسحت جميع الأرقام والبيانات من على تليفونها وده نفس اللي عملته على حساباتها اللي عالسوشيال ميديا ده غير الرسالة اللي سابتها لأهلها قبل ما تاخد 4 علب كاملة من أقوى المهدئات واللي كتبت فيها بالنص

"بابا ماما أنا أسفة أووي أنا والله العظيم بحبكم، ادعولي ربنا يغفرلي"

الرسالة دي هي اللي أكدت لدكتور هشام أن فيه طرف غامض في الموضوع وفضل فترة طويلة لا بياكل ولا بيشرب إلا كل فين وفين وعايش يدور عالطرف الغامض ده لحد ما حالته بقت صعبة جداً واتحول من دكتور وشخصية الكل بيحترمها لشخص غريب جداً بيكلم نفسه 24 ساعة في اليوم كأنه بيكلم شخص تاني وبيتشاكل معاه أحياناً في الشارع ويصرخ ويقوله:

"عملت في بنتي إيه"

لحد ما في مرة مسك في راجل لاعتقاده أن هو السبب في إنتحار هند ونزل فيه ضرب لحد ما كان هيموت رغم أن ماكنش ليه أي علاقة بهند ولا كان فيه سابق معرفة بينهم.. واتكررت الحادثة دي كذا مرة مع ناس مختلفة.

وده اللي خلى ابنه الوحيد هادي يضطر يوديه مصحة للأمراض النفسية ولسه قاعد فيها لحد دلوقت.

واتحول البيت اللي كان كله سعادة لبيت مهجور قاعد فيه هادي أخو هند الكبير لوحده بيتحسر على كل حاجة كانت موجودة وراحت".

صمت مريب وغامض كان الرد من فاروق على كلام سمير، حتى أن الأخير ظن أن المكالمة قد قُطعت وأن كل تلك الكلمات التي تحدث بها لم تكن إلا هباء، فأعاد النظر إلى شاشة هاتفه ليطمئن على استمرار المكالمة قبل أن يبدأ سمير بالكلام مجدداً:

سمير: أنت معايا يا فاروق؟

فاروق: عايز عنوان بيت هند يا سمير

سمير: عنوانها؟! ليه؟

فاروق: لازم أشوف أخوها.

سمير: فاروق أنا تعبت جداً على ما أقدر أجبلك المعلومات دي وأنت مردتش تقولي ليه وده عشان جمايلك مغرقاني وبحاول أردلك ولو جزء بسيط جداً منها، لكن بتهيألي من حقي كصاحب ليك أعرف إيه الحكاية أو عالأقل عايز تقابل أخوها ليه؟!.

فاروق: سمير أنا لازم أقابله لأني عارف مين هو الطرف الغامض.

***

مكالمة لم تستغرق أكثر من دقيقة ولكنها كانت كفيلة بإزالة ما تبقى من أثر يارا من فؤاد أحمد فقد أزالت ذكراها وأشرقت شمس أميرة المفعمة بأمل إعادة الأمور إلى صوابها من جديد.. بحث بعينيه بكل مكان عن إحدى سيارات الأجرة بالرغم من قرب المسافة نسبياً ولكن دون جدوى خصوصاً مع برودة الجو وهطول الأمطار الذي زادت وطأتها فلم يجد أمامه أي حل سوى أن يطلق ساقيه للريح مسابقاً الزمن، يزود روحه وقود الأمل والبُشرَى وأطلق ساقيه للريح وأطلقت ذاكرته العنان لسيل من الذكريات المتدفقة وخصوصاً بنفس المكان والغريب والملفت أنه بنفس تاريخ اليوم 4/ يناير ولكن عام 2015 فقد صادف ذلك اليوم لقاءه بأميرة لتخبره بأن والدها قد وافق أخيراً على خطبتهما مبدئياً بعد محاولات عدة ولكن بشروط تقتضي الانتظار حوالي 6 أشهر.. تذكر جيداً كيف أمسك يديها بنفس ذلك الطريق تحت هطول الأمطار وقد أطلقا لسيقانهما الريح فرحاً كما يفعل هو الآن أملاً.

عشر دقائق فصلت أحمد عن الوصول إلى منزل دكتور طارق أو محل عيادته المستعار.. وصل على بابه وقد نال منه المطر ما نال وانساب شعره الكثيف على جبهته فتح له الطبيب وابتسامة الفرح تكسو شفتيه..

طارق: إيه يابني غرقان كده ليه؟!.. أنت جاي عوم ولا إيه.

أحمد: كنت رايح من غير عربيتي ولما قولتلي إن فيه أمل نوصل لوردة مالقتش مواصلات فخدتها جري.

طارق: طب خش خد نفسك.. وأقلع جزمتك.

وبالفعل دقائق مرت كان أحمد قد استطاع إعادة الرونق إلى مظهره قدر المستطاع بمساعدة بعض من مناشف دكتور طارق قبل أن يجلس أمامه على مكتبه متلهفاً.

أحمد: سامعك يا دكتور.. هنوصلها إزاي.

طارق: شوف يا أحمد أنت من ساعة ما نزلت سمعت كل التسجيلات بتاعت الجلسات بتاعتنا من أول يوم لحد النهارده.

أحمد: ووصلت لإيه؟

طارق: في أول جلسة أنت قولتلي لو عالبنات اللي ظلمتهم فهيبقوا بوكيه مش وردة.. وكتر العلاقات ده في حد ذاته اللي عاملنا المشكلة.

أحمد: تمام ماختلفناش

طارق: طيب لو حددتلك فترة زمنية معينة أنت ظلمت وردة فيها.. تقدر توصلها؟؟!!

أحمد: طبعاً هيبقى أسهل بكتير.

طارق: تقدر تحددلي إرتباطك ببتول الشاهدة الأولى كان من إمتى لإمتى.

أحمد: كنا في امتحانات نص السنة 2012 زي الأيام دي كده.. وفضلنا مع بعض حوالي 6 أو سبع شهور.

طارق: طب ويارا؟

أحمد: ليلة فرح أختي.. 2013/4/15 كانت أول مرة أشوفها وأتعلق بيها وسابتني في شهر فبراير2014.

طارق: طيب إذا كانت الشاهدة الأولى شهدت على محاولة قتلك لوردة والشاهدة التانية شهدت على محاولة القتل التانية ده بيدينا نتيجة واحدة.. أن وردة كانت موجودة في الفترة مابين بتول ويارا.. والفترة دي شهدت ارتباطك ببتول ثم فراغ لمدة حوالي 8 شهور ثم يارا بتهيألي كده أسهل؟؟

أحمد: هو نظرياً أسهل.. بس المشكلة أن في الفترة بين بتول ويارا أنا كنت كل يوم مع واحدة تعرف يا دكتور ده أنا كنت بـ..

طارق: وردة مش واحدة عادية يا أحمد.. وردة واحدة حبتك وأنت ظلمتها ظلم بَيِن..

نظر أحمد إلى نظرات دكتور طارق الجادة والثاقبة والتي أعادت إلى عقله نظرات كيوبيد بحلمه.. فهب واقفاً من على مقعده مسافراً بذاكرته إلى تلك الفترة التي شهدت ارتباطه بالعديد والعديد من الفتيات مقلباً في أوراق غرامياته.

حتى استقرت ذاكرته أمامها.. وهي تبكي لحظة إعلامه لها بفراقهما قبل أن تغلق الخط وتختفي بين طيات الزمن ليصرخ قائلاً:

أحمد: لقيتها يا دكتور لقيتها إزاي مفكرتش فيها.

هب الطبيب واقفاً وهو يشعر بأن خمسة عشر عاما من عمره يتراقصون فرحاً أمامه ممسكاً بأحمد بقوة وحزم.

طارق: إحكيلي يا أحمد إحكيلي.

أحمد: بنت صاحبة بتول اتعرفت عليها في بداية تعرفي ببتول وحاولت تتقرب مني لكن في الفترة دي كانت بتول والرغبة مسيطرين على عقلي تماماً.

طارق: اسمها إيه؟

أحمد: دنيا.

طارق: كمل يا أحمد.

أحمد: صارحتني بحبها بعد ما ارتبطت ببتول بأيام قليلة.. وطبعاً خلعت بشياكة.. بس فضلت فيه علاقة بسيطة.. والغريب إني رغم قولتلها إني مرتبط مبطلتش كل فترة إنها تعبر عن مشاعرها ناحيتي.

طارق: وبعدين؟؟

أحمد: وبعد ما سبت بتول كانت أوسخ فترة في حياتي كنت كل يوم مع واحدة.. عرضت نفسها عليا كذا مرة لحد ما مرة وبعد ما سبت بتول بحوالي 4 شهور جت وقالتلي بإلحاح أنها بتحبني.. فقولت في بالي ومالو ما تجربها يمكن تلاقي اللي أنت عايزه معاها.

طارق: وطبعاً قولتلها أنك بتحبها؟؟

أحمد: مش بالظبط.. بس فهمتها أني مشدودلها وأني محتاج فترة معاها عشان أحكم على مشاعري.

طارق: لحد دلوقتي مش غلطان في حاجة.

أحمد: فضلت معاها حوالي 3 أو 4 شهور بس عمري ما حستها مكناش أصلاً بنتكلم.. ولا بنتقابل.. وفضلت برده أعرف كل يوم واحدة مكنتش بقابلها إلا لما ألاقي نفسي زهقان عايز أي رغي جنبي.

طارق: طب وإيه علاقتها بيارا؟

أحمد: يارا لما ظهرت في الصورة شقلبت كياني.. قطعت علاقاتي كلها بالبنات بس هي ماكنتش متقبلة.. لحد ما كلمتها أخر مكالمة.

طارق: حصل فيها إيه.

أحمد: كنت زهقت من إلحاحها إننا نكمل فقولتلها إني مش عايز أعرفها تاني زي ما قولت لبنات كتير غيرها وأني ارتبطت ولما بدأت تقول كلام فيه غلط وعصبية.. قولتلها إنها مجرد حاجة كانت بتسليني وقفلت وهي بتقول كلمة واحدة..

"حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا أحمد"

ومن ساعتها اختفت دنيا تماماً.

أنهى أحمد حديثه وهو مثبت عينيه على عيني الطبيب ليجدها قد كستها السعادة حد الدموع.

طارق: أنا مش مصدق.. ألف حمد وشكر ليك يارب.. أخيراً نظريتي هتتحقق أخيراً.. لعنة كيوبيد هتبقى حقيقة.. قولي يا أحمد نقدر نوصلها؟؟

أحمد: أنا عارف عنوان بيت أهلها في أبو عطوة..

"وهو مكان في ضواحي الإسماعيلية"

طارق: طب يلا نروحلها يلا هي دي وردة.

استعدا كلاهما للتوجه لباب الغرفة بلهفة كبيرة قبل أن يمسك أحمد بيد طبيبه قائلاً:

أحمد: أنت شايف الساعة كام؟؟

نظر الطبيب إلى ساعة الحائط ليجدها تشير إلى الساعة الثامنة والنصف مساءً وهو ما يعني استحالة الوصول إليها قبل العاشرة. وبالتالي صعوبة التحدث معها نظراً لتأخر الوقت نسبياً طبقاً لعادات معظم أهالي الإسماعيلية خصوصاً في فصل الشتاء، فيستحيل هبوطها من منزلها لترتسم على شفاه الطبيب خيبة الأمل قبل أن يعود إلى مكتبه وهو ينظر إلى عيني أحمد الهادئة تماماً.

***

ألح سمير عليه كثيراً لمعرفة تفاصيل القصة والطرف الغامض الذي أدعى فاروق معرفته به، ولكن بالطبع بلا جدوى فقد اكتفى فاروق بالتهرب من أسئلته الكثيرة حتى أضطر سمير أخيراً للاستسلام وإخباره بعنوان منزل هند وأغلق معه المكالمة على وعد بمقابلة أو بمكالمة في وقت آخر لشرح التفاصيل.

بعدما انتهت تلك المكالمة التي وضعت فاروق أمام جريمته الكاملة ليرى ما اقترفته يداه ليس فقط بحق هند فقط بل في حق عائلة بأكملها لم يجد سبيلاً للتفكير.

شعر بذلك الشعور الحتمي.. الذي يحركك دون أي مقاومة لتشعر وكأنك مُسير داخل إطار محدود تؤدي فقط الغرض المطلوب منك كترس بماكينة لا يعلم ما الهدف منها ولكنه يعلم دوره تمام المعرفة وقرر أن يؤديه بالكامل.

استقل إحدى سيارات الأجرة وهو لا يرى أمامه سوى هند وبراءتها المتناهية وتلك الحُمرة التي تحتل وجنتيها دائماً، لا يعلم لما طفت الذكريات على عقله.. فتذكر كيف لاحقته بنظراتها طويلاً قبيل ارتباطهما، تذكر كيف تعمدت الجلوس أمامه بكل المعامل والمحاضرات التي خاضاها سوياً بكلية الزراعة.

تذكر كيف تحايل عليها وراهن على ثقتها به، فتارة يخبرها بأن استسلامها لأحضانه هو دليل حبها له ولا شيء دون ذلك وتارة أخرى يتهمها بعدم ثقتها به حتى وقعت كالضحية في شباك العنكبوت.

تذكر تلك الرعشة التي انتابتها بأحضانه بأول لقاءاتهما ببحر الرذيلة وكيف احتضنته كمن تعلق بآخر حبال الحياة شعر بطعم شفتيها كما تذوقه في ذلك اليوم بل أحس ببعض الآلام التي تسببت بها أظفارها الطويلة وهي ترسم على ظهره دليلاً على ما حدث بينهما بذلك اليوم.

ولكن أكثر ما طارده بتلك اللحظات هو بكاؤها بعدما عاد إلى عقلها بريق الواقع لتجد نفسها قد فقدت أعز ما تملك (كما أخبروها دائماً). شعر بغصة بقلبه وهو يتذكر كيف تجاهل بكائها، حتى لم يكلف نفسه بتهدئة ما دار بداخلها من شكوك.

وصل إلى العنوان المُراد بإحدى الشوارع المتفرعة من شارع العشرين، هبط من السيارة ناظراً إلى واحدة من تلك الأبراج الشاهقة والتي تحتوي على بيت هند قبل أن يذهب ليتأكد من حارس العقار.

فاروق: سلام عليكم.. الأستاذ هادي ساكن هنا لو سمحت؟

الحارس: أيوه يا باشا في الدور السادس.

اتجه فاروق إلى المصعد مستقلاً إياه محاولاً ترتيب أفكاره، لا يعلم كيف سيكفر عن ذلك الإثم.

هل من المعقول أن يدخل على شقيقها ليتحدث بكل بساطة قائلاً

"سلام عليكم أنا السبب في موت أختك"

وصل إلى الدور السادس وقد قرر التحدث بدون ترتيب ولا تفكير فقط سيتحدث وسيعترف بما اقترفه.

وقف أمام ذلك الباب ناظراً إلى اللافتة المعلقة عليه "هشام هيبة"، ثم أخرج هاتفه ليبعث برسالة نصية إلى أحمد

"أحمد أنا وصلت لأخو هند ورايحله في السكة هخلص وأكلمك"

أرسل تلك الكلمات قبل أن يحوله إلى الوضع الصامت ويطرق الباب.

لحظات قليلة فصلت طرقته الثانية على ذلك الباب وفتحه ليجد أمامه شاباً قد شاب شعره واحتلت الهالات السوداء نصيباً كبيراً من أجفانه وبدت لحيته كأنها لم تهذب منذ قرن طويل القامة عريض

المنكبين يبدو قادراً على التهام ذلك الفاروق الصغير بلحظة. باختصار وجد نفسه أمام أحد أموات أهل الكهف الذي استيقظ على طرقه لبابه.

شعر قليلاً بالخوف من ذلك الجدار الواقف أمامه غير أن روحه الفكاهية قد عاودته للحظات ليسأل نفسه كيف لهذا الوحش أن يُطلق عليه اسم هادي.

هادي: نعم؟

فاروق: حضرتك أستاذ هادي؟

هادي: أؤمر.

فاروق: كنت عايز من وقتك 5 دقايق.

هادي: بخصوص إيه؟؟ أنا معرفكش.

فاروق: بخصوص أختك المرحومة هند.

انعقد حاجبا ذلك الوحش المخيف ليزيداه شراسة في مظهره قبل أن ينظر إلى فاروق نظرة ثاقبة تحتوي على الكثير من الأسئلة.

هادي: اتفضل خش.

دخل فاروق إلى ذلك المنزل ليستنشق رائحة الوحدة التي يعرفها تمام المعرفة قبل أن يغلق هادي الباب.

***

في تلك اللحظة كانت تدور ما يشبه بالحرب داخل أركان صدره.. مزيج من المشاعر المتصارعة على فؤاده.. كل من تلك المشاعر قد رفع رايته ليعلن أنه الأُولى بالاستحواذ على عقله وفؤاده.

لم تستطع ملامحه اتخاذ قرار سواء بإطاعة أول تلك المشاعر وإبراز سعادته وفرحه بالوصول أخيراً إلى وردة مما يعني اقترابه من الرجوع إلى

من يشتاق إلى ظلها، أم تتخذ ملامحه قرار إطاعة الخوف الذي يمزق قلبه.. نعم فهو الآن خائف ليس من كيوبيد ولا من أحلامه أو هلاوسه، ولكنه خائف من مواجهة دنيا أو وردة المنتظرة.. يخاف من أن تشتعل بصدرها نيران الانتقام فتريده مُعذَبا.. فما أصعب أن تتوقف حياتك بأكملها على شخصٍ آخر تتوسل وتطلب منه السماح والرحمة, فما بالك بشخصٍ من الطبيعي جداً أن يكن لك الكثير من المشاعر التي توصَف أقلها بالكراهية.. أما ثالث هذه المشاعر التي تسيطر على فؤاده.. هو الخزي والخجل من نفسه.. صوت بكاء دنيا ولعثمتها في آخر مكالمة هاتفية قد جمعتهما معاً.. يتذكر ضحكات سخريته منها وهو يخبرها هاتفياً

"أنتي مبتفهميش يا بنتي ولا إيه بقولك ارتبطت ومش عايز أعرفك تاني.. وشكراً عالتسلية في الفترة دي.. سلام"

حتى أنه لم يتذكرها عندما بحث في ماضيه عن من ظلمهم من فتيات لم تأت على ذاكرته حتى ولو بالصدفة.. نعم هو يعلم نفسه كثيراً يعلم أنه ذو قلبٍ قاس، مغرور، متعجرف وهذا أكثر ما يجذب الفتيات إليه، ولكنه لم يكتشف قبل تلك اللحظة أنه حجر.. قطعة حجر لا تشعر ولكنها فقط تُكسر وهذا ما فعلته به اللعنة.

كل تلك المشاعر والأفكار كانت كفيلة أن تقضي عليه ولكنه اكتفى فقط بالجمود التام خلال تفكير دكتور طارق وتحليله ونظراته إلى عينيه قبل أن يعود إلى أرض الواقع من جديد بسؤال من طبيبه.

طارق: غريبة.. حاسك مش فرحان.. مالك؟

أحمد: مش عارف بس حاسس أني متلخبط.. وخايف.

طارق: مع أن ده أنسب وقت عقلك يهدى شوية وتطمن.

أحمد: أنا مش هطمن غير لما أقابلها بكره وتسامحني.. وأميرة ترجعلي.

طارق: إن شاء الله.. إن شاء الله يا أبو حميد.

أحمد: طب افرض عزلت ولا اتجوزت ولا سافرت يا دكتور؟؟

طارق: ياسيدي أكيد هنوصلها وبعدين تفاءلوا بالخير تجدوه.

أحمد: وحتى لو قابلناها أقولها إيه.. آسف أنا ظلمتك بأنانيتي وبعدها بكام سنة حسيت بالذنب وجيت أصالحك عشان أنقذ حياتي.. يعني بردو بأنانية؟؟

طارق: قولها اللي أنت حاسه يا أحمد.. ويستحسن ما تحضرش كلام.. خلي الكلام يطلع لوحده عشان يبقى بصدق.

أحمد: دكتور هو إحنا صحاب مش كده؟؟

طارق: طبعاً يا أبو حميد.

أحمد: أنا عايزك تحضر المقابلة بيني وبينها لو رضت تقابلني يعني.

طارق: حاضر يا أحمد اللي يريحك... هنروح بكره الساعة كام؟

أحمد: 9 الصبح هبقى عندك عشان نروح سوا

طارق: طب إيه رأيك نصلي الفجر ونروحلها؟؟ 9 إيه يابني؟

أحمد: عندك حق بدري أووي؟؟ طيب أجيلك على 1 الضهر؟

طارق: تمام جدا وهتلاقيني جاهز ومستنيكَ إن شاء الله.. قولي بقى حاسس بإيه دلوقتي؟

أحمد: مش حاسس بأي حاجة غير أن نفسي بكره يجي وأرجع لأميرة تاني.. وأعيش معاها في حضنها لحد آخر ثانية في عمري.. وأنت؟؟

طارق: أنا نفسي في حاجتين الأولى طبيعية جداً أن بكره يعدي على خير زي ما أحنا عايزين لكن التانية هي اللي غريبة جداً.

أحمد: غريبة إزاي يعني؟؟!!

طارق: هي حاجة نفسي فيها من زمان أووي بس عمري ما جربتها معرفش ليه نفسي أجربها جداً دلوقتي.

أحمد: إيه هي؟

طارق: نفسي أشرب حشيش.

أحمد: بس كده؟؟.. أنت جيت للشخص المناسب.. بس قولي إشمعنى؟

طارق: طول عمري أسمع أن المخدرات بتخليك تتعدى حزنك وتتبسط في عز الهم.. بس علمياً ده مش صح.. الصح إنها بتخليك تركز في حالتك الحالية.. يعني لو زعلان هتكتئب أكتر حتى لو هتهزر وأنت شاربها.. ولو فرحان هتخليك تركز في الفرح وتستطعمه.. عشان كده خدت عهد على نفسي ماشربهاش إلا وأنا فرحان جداً.

أحمد: للدرجة دي فرحان؟

طارق: أنا عمري ما فرحت قد النهارده يا أحمد.

أحمد: ماشي كلامك يا دكتور.. ربع ساعة وأبقى عندك ومعايا أنضف حتة حشيش موجودة في إسماعيلية كلها.. بس هو ممكن طلب.

طارق: أنت تؤمر يا أبو حميد.

أحمد: فيه واحد صاحبي متفق معايا أننا نسهر مع بعض ينفع يجي يسهر معانا؟

طارق: أنت بتهزر ده بيتك يا أحمد.. بس ثواني أنا لازم أستأذن الدكتورة هدى قبل ما أشرب حشيش.

أحمد: الدكتورة هدى مين؟

طارق: مراتي.

أحمد: هتستأذن الدكتورة هدى الله يرحمها؟؟

خرج الطبيب إلى غرفة الاستقبال تحت أنظار ومتابعة أحمد ليجده يقف مديراً ظهره له ويتناقش هامساً بجدية بالغة حتى ظن أحمد أن أحدهم يقف معه في الخارج، فسار على أطراف أصابعه متلصصاً ليرى ما يحدث خارجاً، وما أن وصل إلى حافة الباب الفاصل إلى غرفة الاستقبال حتى أدار الطبيب وجهه بسرعة كبيرة بعينتين داميتين من البكاء وهو يتحدث لاهثاً:

"كنت بحكي لهدى أننا نجحنا يا أحمد.. عرفت ليه سموني هوبا.."

لم يشعر أحمد بنفسه إلا وهو يحتضن طبيبه بشدة مهدئاً من روعه ليعاود الطبيب الحديث باسماً:

"وعلى فكرة هدى وافقت إني أشرب معاك حشيش"

وبالفعل هبط أحمد من منزل الطبيب مستعداً لتلبية رغبة صديقه الوحيد حالياً محاولاً رد ولو جزء صغير من جميله الكبير الذي يشعر أحمد وأنه يغمره.

***

اشتعلت النيران لتلتهم كل شيء ليس فقط الذكريات والهدايا ولكن ما تبقى في فؤادها من حب وقفت أميرة أمام ذلك الصندوق الذي كان يحتوي منذ بضع دقائق على كل تفصيلة مهما كانت صغيرة بذكرياتها مع أحمد.. فهذه وردة ذبلت أوراقها أهداها إياها أحمد عقب ارتباطهما مباشرةً وتلك حقيبة تحتوي على أول عروس أهداها إياها، أما ما بداخل ذلك المنديل فهي شعرة قد اقتطفتها من غابات صدره كمزاح وذلك رمش قد سقط من عينيه سهواً، كل تفصيلة من صغيرتها حتى ألبومات صورهما احتفظت بها أميرة بذلك الصندوق الخشبي الكبير.. كلما اشتاقت إليه فتحت ذلك الصندوق لتشتم رائحة الذكريات وتسترجعها.

أما اليوم وبعد أن رأته بحضن أنثى أخرى وما بالك أن تكون تلك الأنثى هي يارا التي تعرفها تمام المعرفة... ها هي الآن تقف أمام نفس الصندوق عاجزة حتى عن البكاء لتشعل به النيران معلنة انتهاء حقبة سطو من ملك فؤادها بلا رجعة.. وكحجم الأوجاع دائماً تبدأ كبيرة ومفجعة ثم تتلاشى رويداً رويداً.. فقد بدأت النيران في الانخفاض بعدما التهمت كل ما تبقى من أحمد لديها.. وانطفأت النيران.. أما النيران المشتعلة بصدرها فلا شيء قادر على إخمادها.. لا يمكن لأحد أن يشعر بما يحتويه فؤادها إلا أنثى قد مرت بما مرت هي به.

شعرت بأن الكون على المحك وأن جرحها قد يذيب إحدى الأقطاب الجليدية ليغرق الأرض لم تفكر سوى في تضميده ولو بشكل صوري أدارت وجهها لتقف أمام المرآة تبحث عما يشفي غليلها حتى قفزت تلك الفكرة برأسها.. أمسكت هاتفها محضرة رقمه واتصلت به حتى دون أن تستشير أقرب الناس إليها..

أميرة: بص.. أنا عارفة أن ممكن كلامي يبقى غريب.. لو لسه بتحبني أنا موافقة نبقى مع بعض.. يا حازم...

حازم: أميرة!! أنتي فاهمة أنتي بتقولي إيه.. أنتي فايقة.. ولا أنا بحلم ولا إيه.. لو لسه بحبك؟؟ أنا محبتش ومش هحب حد غيرك يا أميرة.. أنا بحبك.. وبحبك أووووي كمان.

ومستعد أجي أنا وبابا لباباكي من النجمة لو أنتي بتتكلمي جد.

أميرة: وأنا بتكلم جد وموافقة يا حازم.

***

مرت حوالي 20 دقيقة حاول أحمد فيها الاتصال بفاروق مراراً بعدما قرأ رسالته النصية، ولكن دون رد ودون إجابة، شعر بالقلق ولكنه سرعان ما طمأن نفسه بإجابات مُقنعة، ولكنه استطاع في تلك العشرين

دقيقة الوصول إلى طلب دكتور طارق بالطبع ووقف أمام بابه طارقاً إياه قبل أن يفتح له الطبيب الباب ويدخل أحمد ويجلس كلاهما أمام الآخر بغرفة الكشف التي تحولت لتوها لغرفة للاحتفال بالتعرف أخيراً على وردة.

أحمد: بص بقى الأهم من الحشيش القعدة بتاعته.

طارق: إزاي بقى؟؟

أحمد: يعني أنا هقعد دلوقتي ألف السجاير محتاج أسمع حاجة مناسبة.

طارق: زي إيه مثلاً؟

أحمد: مثلاً أنا بحب أسمع الست.

طارق: تسمع للصبر حدود؟؟

أحمد: يا سلام.. أيوه بقى.

وبالفعل اتجه الطبيب إلى حاسوبه لتبدأ موسيقى للصبر حدود ويبدأ معها أحمد في إعداد تلك الوجبة الدسمة من السجائر وسط دندنته وانسجامه التام مع أنغام وطرب الست حتى انتهى من لف ما يفوق الـ 10 سجائر وسط متابعة وتركيز الطبيب حتى انتهى أحمد من عمله ممسكاً بأول سيجارة فتوجه له الطبيب راغباً في إشعالها قبل أن يبعدها أحمد ضاحكاً وهو يقول:

أحمد: قاعدة الحشيش بتقول "من رل.. أشعل.."

طارق: يعني إيه؟

أحمد: يعني اللي لف السجاير هو اللي يولع الأول.

طارق: يا سلام؟؟!! حتى الحشيش ليه قواعد وبعدين مش أنت هتشرب واحدة وأنا هولع واحدة تانية؟

أحمد: دي القاعدة التانية.. الحشيش مناولة مش مقاولة.. بمعنى أن متعته أكبر في أن واحد يشرب والتاني يستني دوره لحد ما نبدأ نخش في موده نبدأ بقى نشرب ملاكي.

وبالفعل بدأ أحمد في إشعال أول سيجارة من تلك السجائر وينفخ دخانها ليستنشقه الطبيب كالسجين الذي استنشق رياح الحرية لحظات قليلة قبل أن يمد أحمد يده بالسيجارة للطبيب ليأخذها الأخير متأملاً إياها قبل أن يضعها بفهمه ويشرب للمرة الأولى ذلك المخدر الذي طالما سمع عن تأثيره وبالرغم من أن الطبيب لم يدخن سوى بضع المرات القليلة على سبيل التجربة في أيام مراهقته ولكنه حتى لم يسعل أو يشعر باختناق من شربه لهذه السيجارة.

أنفاس تعقبها أنفاس وتتوالى السجائر تتنقل بين أصابعهما حتى انتهت الست من الصبر وحدوده هنا وقف دكتور طارق موجهاً كلامه إلى أحمد وقد بدأ المخدر في الوصول إلى روحه:

طارق: أحب أعرفك على هوايتي المفضلة.

أحمد: إيه هتلعب باليه؟؟

طارق: لا.. أنا بحب أعمل ريكورد لكل اللحظات المهمة.

قال الطبيب تلك الكلمات قبل أن يخرج هاتفه ويعده على التسجيل كما يفعل بالجلسات.

أحمد: طب شغلنا حاجة تانية بقى.

طارق: شوف بقى أنا مش هشغل حاجة بعد الست.. أنا هغنيلك شخصياً.

أحمد: حمدالله عالسلامة أنت وصلت؟؟ سمعني يا نجم.

هنا وقف دكتور طارق فوق أحد الكراسي مستعداً للغناء قبل أن يبدأ به فعلاً بصوت قد يكون أجش لكن به من العذوبة ما يكفي قائلاً:

"يا مشاء الله عالتحفجية أهل اللطافة والمفهومية.. يجعلها ليلة مملكة يا.. كرييييم.."

هنا كان أحمد قد وقف معلناً الانخراط مع الطبيب فوقف هو الآخر على الكرسي الذي بجواره ليرد عليه هو بالغناء ليستكمل نفس الأغنية قائلاً:

"ده الكيف مزاجه إذا تسلطن أخوك ساعتها يحن شو.. شو.. شوقاً.."

ليستكمل كلاهما باقي الأغنية....

"هنا حشيشي نيتي نيشي إسأل مجرب زي حالاتي.. حشاش إراري يسهف يوماتي خمسين جراية ستين.. سبعيين.. ياا! مرحب"

استكمل كلاهما تلك الأغنية التي أبدع فيها سيد درويش وغناها العديد من المطربين والملحنين بعده حتى وصلا إلى المقطع الأخير وقد انفعلا تماماً وعلا صوتهما بما فيه الكفاية..

".. كان يبقى شنبي من غير مؤاخذة على كلب رومي ولا على مع معزة أول ما تنده وتقول يا أورأور أجيك مشمر من غير تُأخر هو ابن مصر هيخاف من إبيه.. ورينا أجدع بيه ولا باشا يقدر يعايب عالحشاشة .. ورينا أجدع بيه ولا باشا يقدر يعايب عالحشاشة.. فشر يا دقدق الصلاة عالزين.."

أحمد: الله عليك يا دكتووور

وأحتضن كلاهما الآخر ضاحكين قبل أن يجلسا أرضاً وقد امتلك الحشيش منهما ما امتلك.. فأراح الطبيب جسده أرضاً وساد الصمت

لحظات كان أحمد خلالها قد مدد جسده بجوار طبيبه ليبدأ طارق بالحديث:

طارق: عارف يا أحمد كل ما بغمض عيني بحلم أني أنجح وأحققلها اللي ياما حلمنا أنا وهي بيه.

أحمد: هي مين؟

طارق: دكتورة هدى مراتي الله يرحمها.. تعرف أن أنا وهي قصتنا شبه قصتك أنت وأميرة.

أحمد: إزاي؟؟

طارق: أبوها برده الله يرحمه كان غني جداً وماكنش موافق بيا خالص بس هي قلبت الدنيا عشان نبقى لبعض.. كانت مؤمنة بيا جداً ماتت وهي بتحلم إني أثبت نظريتي وأنجح.. فكرك هقدر أعمل ده؟؟! لازم أقدر.. مقدرش أقابلها من غير ما أكون عملته.. هي دي هديتها كنت دايماً معييش فلوس ومخلص فلوسي عالأبحاث ومحاولة إثبات نظريتي.. وكل مناسبة أقولها معلش معييش أجبلك هدية.. تقولي هديتي إنك تنجح وتثبت نظريتك.. كان نفسي تبقى معايا أوي دلوقت وتشوف حلمنا وهو قرب يتحقق.. أنت كان نفسك مين يبقى معاك الأيام دي يا أحمد؟؟

أحمد: يااااه ناس كتير أووي يا دكتور... أبويا الله يرحمه هو الوحيد اللي كنت أقدر أحكيله عاللي فيا.. هو الوحيد اللي كان يقدر يرجعني أنا وأميرة لبعض دلوقت.. نفسي كل اللي خسرتهم يبقوا جنبي.. ولاء وحسام خصوصاً.. الناس دي أنا خسرتها.. ولاء دي كانت أهم حاجة عندي فعلاً كانت الوحيدة اللي بتحس بيا وبتفهمني رغم أني مكنتش بستلطف حسام أووي بس كفاية أنه عرفني عليك يا دكتور.. صحيح هو مش مفروض أنكم صحاب؟؟

سأل أحمد ذلك السؤال ولم ينتظر الإجابة طويلاً فقد جاءه صوت شخير الطبيب معلناً عن انخراطه بنومٍ عميق فابتسم أحمد له ثم استغل ما بقي به من قوة ليهب واقفاً ويخرج من منزل الطبيب متوجهاً إلى بيته مقاوماً مطاردة النوم لعينيه ليرتمي بجسده المنهك متمنياً أن تزول باقي ساعات الليل القليلة الباقية ليقابل وردة أو بالأحرى دنيا.

الفصل السادس

5 يناير 2017

" الصعود إلى الهاوية "

صوت صرير مزعج كان كفيلاً بأن يجعله يفتح عينيه ليجد نفسه مستلقياً على دكته داخل قفصه الحديدي المغلق.. زاغت عيناه بين أشعة الضوء الباهت بحثاً عن مصدر ذلك الصرير حتى التفت يميناً ليجد يارا تخرج من قفصها مبتسمة له بكل رضا وحب.. ظلت أنظارهما مثبتة على عيني بعضهما البعض وهي تسير بطريقها إلى باب القاعة قبل أن يُفتح الباب وتخرج منه يارا ليغلق بعدها..

الشاهد الثالث..

لم يمهله ذلك الصوت الصادر من العدم أن يفكر بيارا أكثر من ذلك فالتفت إلى المنصة ليجد كيوبيد جالسا عليها داخل دائرة الضوء الساطعة.. زاغت عيناه بين الحاضرين جلوساً بمدرجات القاعة الغير واضحة معالمهم مفكراً في هوية الشاهد الثالث من يكون... قبل أن يعود باب القاعة الذي خرجت منه يارا منذ لحظات للفتح لتدخل منه أنثى تمشي واثقة الخطى ملكة مختبئة ملامح وجهها هي الأخرى تحت عباءة الظلام ولكن طريقة خطواتها وبعض ملامح جسدها الأنثوية التي عجز عن مقاومتها الظلام قد أرشدوه أن الشاهد الثالث أنثى هي الأخرى، ولكن ما أثار دهشته هو رد فعل الحضور مجهولي الملامح الذين أصدروا أصواتاً كثيرة وصياحاً ينم عن الغضب الشديد وبدوا كأنهم على وشك الفتك بها لولا صيحات كيوبيد بهم وهو يصرخ بصوته الأجش.. " هدووووء "..

وصلت الشاهدة إلى نقطة الوقوف أمام المنصة قبل أن يسألها كيوبيد سؤاله المعهود:

"اسمك وسنك.."

استدارت بجسدها لتصبح بمواجهة المتهم بقفصه قبل أن تسقط عليها دائرة من الضوء وهي تجيب:

"أميرة علي.. 23 سنة.."

نعم هي حب عمره وثمرة فؤاده تقف أمامه الآن لتشهد على جريمة اقترفها قلبه في حق الحب أولاً وفي حق أنثى أخرى ثانياً فأمسك القضبان صارخاً.

أحمد: أميرة.. أنا بحبك يا أميرة بحبك أووووي.

كيوبيد: علاقتك بالمتهم؟؟

أميرة: خطيبي.. سابقاً.. و(كنا) بنحب بعض.

أحمد: لا يا سيادة القاضي مكناش ولا حاجة.. لسه بنحب بعض وهنرجع لبعض تاني.. .سمعاني يا أميرة.. أنتي بتاعتي.. فاهمة؟؟

كيوبيد: اسكت يا أحمد.. إيه أقوالك في التهم المنسوبة إليه من قتل عمد للمجني عليها وردة مع سبق الإصرار والترصد.. ومحاولة قتلها مرتين قبل كده؟؟

أميرة: حاول يقتلها قبل كده؟؟.. أنا معرفش حاجة عن موضوع محاولته لقتلها.. لكن أنا شوفته وهو بيقتلها فعلاً.

أحمد: إزاااي؟؟؟ إنتي بتقولي إيه يا أميرة.

كيوبيد: قولتلك اسكت.. ها يا أميرة قتلها إزاي؟؟

أميرة: أخد مني السكينة وضربها في قلبها.

أحمد: سكينة إيه؟!.. إيه اللي أنتي بتقوليه ده يا أميرة.

كيوبيد: قولتلك اسكت.. اتفضلي أقعدي يا أميرة.

وبالفعل استجابت أميرة لأمر كيوبيد وانضمت إلى الجلوس.. ليقف كيوبيد بجثته الضخمة رافعاً يديه إلى الأعلى قبل أن يشير بأيديه لتضيء أنوار القاعة كاملة ويدقق أحمد بملامح الحاضرين للمرة الأولى.

ليرى ما لم يتوقعه أبداً فها هو يرى أمام عينيه كل الإناث اللاتي قد مر بهن بحياته وما أكثرهن بل ومرتبات زمنياً بشكل تصاعدي.

فأولى الجالسات بالمدرج الأول وبرغم مرور الزمن وتبدل الملامح إلا وأنه استطاع التعرف عليها.. هي حب الطفولة النقي زميلته بالمدرسة الابتدائية التي طالما أرسل لها بالرسائل بالفصل وأمطرها وعوداً طفولية بريئة بالزواج والحب وبادلته بمثلها.. إلى أن وقع أحد تلك الجوابات بيد مدرسة الفصل الغليظة "مس دلال" فكانت النتيجة.. "علقة سخنة.." لكليهما.. واستطاعت تلك "العلقة السخنة.." في تكريهه في صنف الإناث جميعاً وهو في الثامنة من عمره وكان أشبه بالمصاب بالفوبيا منهن.

أما ثاني الجالسات.. فهي أول لمسة يد وهروب من دروس إعدادي وأول "خنصرة فلوس" ليستطيع أن يقابلها.. هي جارته بنفس العمارة.. والحب التقليدي المراهق الذي مر به كلٌ منا حتى حدث مالا يحمد عقباه ورآهم أحد أقاربها وأبلغ أهلها.. فكانت النتيجة واحدة للمرة الثانية على التوالي وهي نفس "العلقة السخنة" ولكن الاختلاف كان في الوسيلة فالمرة الأولى كانت عصا مس دلال الغليظة.. أما هذه المرة كانت الوسيلة "شبشب الأم المصرية" المعروف بجبروته.

مرت أعينه تصاعدياً متزامنة بالذكريات مع كل فتاة فبعد جارته وقعت عيناه على مجموعة من الفتيات المتجاورات واللاتي قد أخذن من فؤاده فترة الثانوية بطيشها وبمرحها وبالطبع كانت البداية واحدة والنهاية واحدة.. فالبداية نظرة في أحد مجموعات الدروس الخصوصية ثم نظرة أطول بقليل فابتسامة فإعجاب فمصارحة.. "والفاء هنا فاء

السرعة".. ثم النهاية انشغال أو وداع أو "خلينا صحاب" كنتيجة طبيعية لفترة الحب الطائش.

ظل يتفحصهن إلى أن وصلت عيناه إلى بتول.. الشاهدة الأولى التي مازالت تبتسم له ابتسامة البغض والانتقام.. وتلاها عدد من الفتيات المعبرات عن أشد فترات انحلاله.

فمنهن من كانت فتاة ليل ومنهن من كانت ترى الحرية هي الجنس والخمر حتى وقع نظره على دنيا أو وردة التي هداه إليها عقله وعقل دكتور طارق فصاح صارخاً:

"دنيا.. سامحيني يا دنيا أنا ظلمتك.."

إلا أنها لم تلتفت له حتى.. ثم يارا التي لم يعرف حتى كيف عادت إلى المدرجات.. وصولاً إلى أميرة.

خبطة من كيوبيد على منصته قطعت تجول عينيه بين الحاضرات ليحول ناظريه إلى القاضي الذي همهم قليلاً قبل أن يتحدث بصوته الأجش قائلاً:

"هنا محكمة كيوبيد وها هو يتحدث إليكم.. أنا من ترفع إليه مظالم القلوب.. إن القلب الآثم الماثل أمامي اليوم ليس مجرد قلب خادع غرر بضحيته.. بل تمادى في خداعه.. حتى دمى قلبها وجفت دموعها وقد ثبت لدي أنا كيوبيد.. كما أثبت لكم بشهادة الشهود أنه قد قتل وردة عمداً غير مبال بجراحها ولا بدمائها التي استمر نزيفها حتى الآن..

لذا.. حكمت أنا كيوبيد على المتهم أحمد يوسف إبراهيم بالفقد.. ستتذوق بملعقة الفقد حتى يدمى فؤادك.. وتذكر.. ستحيى وحيداً وتموت حزيناً.. انتهى.."

انطفأت الأضواء تماماً عقب انتهاء كيوبيد من تلاوة نص حكمه.. حاول أحمد كثيراً أن يقاطعه ولكن دون جدوى فقد عُقد لسانه وبدا

كأنه مُكبل كما كان حاله في بداية الجلسة وبعد أن أنهى كيوبيد خِطبته وانطفأت الأضواء انفكت عقدة لسانه فأخذ يصرخ ويصرخ منادياً باسم كيوبيد ولكن دون أي رد حتى يأس.. فرجع إلى الخلف عدة خطوات وجلس على دكته لاهثاً خائباً رجاؤه.. ثم سطعت دائرة من الضوء فالتفت إليها أحمد ليجد أميرة تمشي وبجوارها الأنثى ممسوحة الملامح المطعونة بفؤادها والتي عَّرفها كيوبيد من قبل في هلاوسه على أنها وردة تجذبها من يدها مبعدة إياها عن قفص أحمد.. وأميرة تحاول بكل ما تمتلك من قوة أن تعود إليه لكن دون جدوى وسط صراخه باسمها راجياً إياها ويستحلفها بكل عزيز ألا تتركه وحده.. حتى خرجتا من باب القاعة وانطفأت الأضواء من جديد.

استيقظ من نومه ليجد عينيه غارقتين بالدموع والألم يكاد أن يُفجر رأسه ولكن ما زاد الأمر سوءاً شعوره بقبضة في روحه وكأنها ستُنتزع وترجع إلى بارئها.. هب من على سريره ليشرب كوباً من المياه لتبل ريقه الذي شابه الحجر ولا يزال يشعر بأثر ما شربه من حشيش ليلة البارحة بصحبة دكتور طارق.. قبل أن يتذكر الموعد المنتظر مع طبيبه نظر إلى ساعة الحائط ليجدها تشير إلى الثانية عشر ظهراً فهدأت روحه كثيراً ووجد الأمل طريقاً إلى فؤاده.. فأمسك هاتفه الذي أظهر له رسالة تحذير بقرب نفاد بطاريته وأحضر رقم دكتور طارق واتصل به ليأتي له صوت الأخير المستيقظ لتوه من نومه متثائباً.

طارق: آلوو.. إيه يا أبوحميد.

أحمد: إيه يا دكتور.. صباح الفل يلا أصحى وجهز نفسك عشان معادنا.

طارق: معاد؟!! معاد إيه؟؟

أحمد: أهلاً... صباح الفل.. لسه مبيتة معاك شكلها كده.

طارق: لا لا تمام افتكرت معادنا مع وردة عقبال ما تيجي هكون جهزت

تعلالي عالبيت.

أحمد: لا هستناك في الكافيتيريا أنا عربيتي هناك.

طارق: خلاص تمام.

أغلق أحمد الخط وبدأ في ارتداء ملابسه فتح خزانة ملابسه ووقف أمام ملابسه الشتوية يختار منها ما يرتدي وهو ما توقف عن فعله منذ زمن بدأ في التقليب في ملابسه بيديه حتى توقفت يداه على إحدى الجواكت بنية اللون.. أمسكه وبدأ في تفحصه وكأنه يراه للوهلة الأولى.. ها هي آخر هدية أهدته له أميرة يوم انفصالهما.. ولم يلبسه حتى ولو مرة بعدها.. أمسكه وهو يبتسم متذكراً لحظة إهداء أميرة له هذا الجاكيت وتصميمها على قياسه وسط إحدى المطاعم كي يطمئن قلبها وفرحتها بعدما ارتداه أحمد.. وكأنه وجد ما يبحث عنه فقرر أخيراً ارتداءه بل وهداه عقله أن يرتدي طقماً كاملاً من هدايا أميرة كأنما يرى في اليوم عودة روحها إلى جسده وعودة جسده إلى أحضانها.

فهذا البنطال البني الذي أخرجه من على شماعته أيضاً أهدته له أميرة بل وهذا الحذاء الخاص بالأمطار أيضاً كان هدية منها ثم توجه إلى إحدى الأدراج ليفتحه ويختار إحدى الساعات الجلدية الثمينة بنية اللون كانت أيضاً هدية منها.. قبل أن يخرج العطر الذي كانت تعشقه أميرة والذي لم يستخدمه منذ انفصالهما وبدأ في ارتداء ملابسه.

عشرون دقيقة كانت كفيلة أن يكون على أتم الاستعداد للنزول من منزله.. قبل أن تدخل والدته إلى غرفته متعجبة من أناقته المبالغ فيها مقارنةً بما كان عليه وضعه أخر فترة..

عائشة: اللهم صلي على كامل النور.. إيه القمر ده

أحمد: إيه رأيك يا أوشا؟؟

عائشة: قمر يا أخواتي طالعلي.. بس الشياكة دي كلها رايحة المحل؟

أحمد: لا.. عندي ميعاد مهم الأول.

عائشة: ميعاد مع مين؟؟ أوعى تكون ناوي تُخطب ولا حاجة.

أحمد: وأفرضي؟؟ بذمتك مش حاجة تفرحك؟؟

عائشة: لا يا حبيبي ما تفرحنيش.. لعلمك بقى أنا بعد أميرة كل بنات الدنيا في عنيا قرود ونسانيس.

توقعت والدته أن ينقلب الحوار بينهما إلى شجار متكرر كعادتهما الشبه يومية منذ أن ترك أميرة ولكنه هذه المرة ابتسم.. واكتفى بطبع قُبلة على يديها قبل أن يضمها ويتوجه إلى باب المنزل ويبدأ بهبوط الدرج.

***

لم يزر النوم أجفانها واستعمر الأرق فؤادها، تهاجمها الأفكار والمشاعر المختلفة وتعاتبها الذكريات التي أحرقتها منذ ساعات حتى أنها لم تشعر بمرور الوقت ربما ما أخرجها قليلاً من جمودها هي تلك المكالمات الكثيرة التي وردتها من هاجر.. فاستنتجت أن حازم قد أخبرها بموافقتها أخيراً على خطبتها، توقعت الكثير من الأسئلة ووابل من المعاتبات الشديدة فآثرت تجاهل تلك المكالمات لتعود لجمودها، حتى شعرت بوالدتها تفتح باب غرفتها فأغمضت عيناها سريعاً كطفل هارب يتوارى بأحضان النوم.

فريدة: ميرو اصحي ياقمورتي.. . طيب اصحي هسألك على حاجة وأسيبك تنامي..

أميرة: نعم يا ماما نعم صحيت أهو.

فريدة: اللي أونكل هاني قاله لبابكي في التليفون ده بجد؟؟

أميرة: هو إيه ده اللي بجد؟

فريدة: أنتي وحازم اتفقتوا تتخطبوا؟؟

أميرة: آه يا ماما بجد ممكن أنام بقى؟

فريدة: أيوه كده اعقلي ربنا يهديكي هو ده اللي يستاهل يبقى جوزك أنتي كده بنتي حبيبتي.. طب يلا بقى كفاية نوم زمانهم جايين عشان نقرا فاتحتك يا عروسة.

قطع صوت جرس الباب حديثهما لتذهب مدام فريدة تاركة أميرة حبيسة بجمودها قبل أن تدخل هاجر غرفتها لتقف أمامها مربعة الأيدي وآثار الصدمة والغضب تنهش ملامحها وتجحظ من عينيها.

أميرة: صباح الخير يا هاجر.. مالك؟

هاجر: مالي؟؟ لا تمام مفيش أي حاجة مبسوطالك يا عروسة.

أميرة: يااه لحق حازم يقولك؟!

هاجر: آه يا أميرة قالي كلمني بعد ما أتصلتي بيه إمبارح وكان يا عيني طاير من الفرحة ميعرفش أن اللي بيحصلوا ده أسوأ بكتير من حبه ليكي اللي من طرف واحد.

أميرة: أنتي بتتكلمي كده ليه يا هاجر؟؟ ده بدل ما تفرحيلي أنا وحازم؟

هاجر: أنتي بتضحكي عليا ولا على نفسك ولا على مين يا أميرة أنتي عمرك ما حبيتي حازم ولا هتحبيه ولا هتحبي حد غير أحمد وأنتي أكتر حد عارف كده كويس.

أميرة: أحمد خاني يا هاجر شوفته بعينيا مع واحدة غيري إمبارح وصفحته اتقفلت.

هاجر: آه فتنتقمي منه بخطوبتك لحازم مش كده؟؟؟ ومش فارق معاكي أنك كده بتظلمي بني آدم.. وأنتي معاه ومبتحبهوش؟؟؟ تخليه طاير في سابع سما وأنتي أصلاً عمرك ما فكرتي فيه يا جبروتك يا شيخة.

أميرة: أنتي بتتكلمي كده ليه يا هاجر ومالك زعلانة أوي إني هتخطب لحازم ما أنتي عارفة أنه طول عمري بيحبني وبيفكر فيا.. ولا يكون ده اللي مزعلك أنه بيحبني أنا يا هاجر؟ إيه معقول تكوني بتحبي حازم يا هاجر؟

هاجر: على أساس أن الإجابة تفرق معاكي يا أميرة؟؟ صدقيني مش هتفرق أنتي طول عمرك أنانية وشايفة الكون كله تحت رجلك ورهن إشارتك ومش مهم أي حاجة تانية حتى أحمد محبتهوش.. أنتي حبيتي لمة البنات حواليه وأنه سابهم واترمى تحت رجلك حتى انتقامك منه مش عشان مجروحة زي مانتي حابة تبيني.. ده مجرد نار قايدة فيكي إنه قدر يكمل بعدك وعرف واحدة بعدك.. فتضحي بالغلبان اللي شايف الدنيا وردي فوقي يا أميرة.. حازم ده بني آدم مش حاجة بابا جيبهالك بتلعبي بيها فوقي.

أنهت هاجر كلماتها قبل أن تنصرف تاركة أميرة وحدها بغرفتها وقد أقسمت سراً بداخلها أن تنهي تلك الصداقة التي دامت منذ الطفولة، فقد رأت أن أنانية أميرة أوشكت على الفتك بكل من حولها دون أي اكتراث.

***

استطاع دكتور طارق بالكاد أن يرتدي ملابسه مترنحاً يشعر وكأنه يسير فوق ظهر طائر يحلق بأقصى سرعته حتى أنه لعن اليوم الذي قرر فيه أن يشرب ذلك المخدر ثم توجه إلى مكتبه ليحضر هاتفه ليجده قد توقف عن التسجيل فقط منذ ساعتين بسبب امتلاء الذاكرة فسارع بنقل كل الملفات الصوتية إلى حاسوبه كعادته كل فترة ثم هبط متوجها إلى الكافيتيريا كما اتفق مع أحمد وبرغم قِصر المسافة إلا أنه وجد صعوبة بالغة في السير حتى أنه لم يلحظ سيارة أحمد أمام الكافيتيريا ولم ينتبه إلى الأبواق التي أطلقها من سيارته لينبهه بوجوده لم يوقفه

سوى آخر محاولات أحمد وهو ينادي.. (يا دكتووور..).. فتوجه إلى السيارة وركب بجوار أحمد..

طارق:. اااه.. دماغي هتتفرتك يابني ربنا يسامحك.

أحمد:. متقلقش عامل حساب كده.. وجايبلك قهوة.

طارق:. يا سلاااام عليك هات يا أخي.

وبالفعل بدأ الطبيب في ارتشاف قهوته تزامناً مع إدارة أحمد لمحرك سيارته قبل أن يُبعد الطبيب القهوة عن فمه مشمئزاً.

طارق:. إيه القرف ده.

أحمد:. قرف؟؟!! القهوة السادة قرف؟؟

طارق:. سادة إيه الله يسامحك أنا بشربها زيادة.

أحمد:. في الحالة اللي زي دي لازم سادة عشان تفوقك.

طارق:. أيوه بس دي مُرة أووووي.

أحمد:. ما تشرب بقى بلاش دلع يا طاروقة خلينا نروح للبت.

وبالفعل بدأ الطبيب في ارتشاف قهوته مضطراً قبل أن ينظر إلى أحمد متحدثا إليه وهو يقود السيارة بطريقهم إلى بيت دنيا.

طارق:. أحمد.. كنت عايزك في موضوع مهم.

أحمد:. خير يارب؟؟

طارق:. هو أنا ليا عندك طلب بس مش عايزك تفهمني غلط.

شعر أحمد بأهمية كلام دكتور طارق فأوقف سيارته بإحدى الأماكن المخصصة للانتظار المؤقت.

أحمد:. أؤمرني يا دكتور؟؟.. محتاج فلوس؟؟

طارق: لا لا فلوس إيه خيرك سابق كفاية أنك بتصمم تدفع تمن الكشف كل يوم.

أحمد: أومال في إيه قلقتني؟؟

طارق: بالنسبة لموضوع النظرية بتاعتي "لعنة كيوبيد" يعني لو ربنا أراد ووصلنا لوردة أو لدنيا بمعنى أصح وقدرنا نفك اللعنة ونصلح دنيتك إن شاء لله هحتاج منك تساعدني في إثباتها.

أحمد: أنت عارف يا دكتور أنت لو طلبت إيه هعمله بس أساعدك إزاي؟

طارق: أي نظرية جديدة عشان تتثبت بتحتاج تسجيلات زي تسجيل الجلسات اللي بنعملها كده.. زائد حاجة تانية.

أحمد: حاجة تانية؟؟.. إيه هي؟

طارق: إقرار من الحالة نفسها اللي هي سيادتك.. ووقتها بس أقدر

أوصل لمرحلة المناقشة لإثبات نظريتي العلمية.

أحمد: أنت بتقول إيه يا دكتور؟؟ أنا أساساً كنت متردد أجيلك في البداية عشان المنظر وكده.. فأنت دلوقتي عايزني أقول لكل الناس أني كنت مريض نفسي وبتعالج عندك؟؟ أنت شايف أن ده منطقي؟؟

طارق: أفهمني بس يا أحمد.. كده كده أنا بضمنلك سرية الهوية يعني ماحدش هيعرف أن المريض ده أنت.. ده غير شوف أنت هتساعد كام واحد مروا بنفس اللي أنت مريت بيه.

أحمد: مش عارف أقولك إيه يا دكتور.. بس دي حاجة تخوف جداً أصل تخيل كده رجعت لأميرة إن شاء الله وتعرف أني كنت مريض نفسي؟؟

طارق: وأنت فكرك أن أنا أرضالك كده يا أحمد؟؟ ولا أنت مش واثق فيا ولا إيه؟

أحمد: مش واثق فيك؟؟ تعرف يا دكتور.. إحنا نعرف بعض يادوب من 3 أو 4 أيام بس والله من قلبي حاسس أني أعرفك من 20 سنة.. أنا معاك يا دكتور اعتبر الموضوع ده منتهي.

ابتسم الطبيب بكل نشوة وسعادة وهم باحتضان صديقه ومريضه ولم يشعر بما بقى من كوب القهوة وهو يُسكب على ساق احمد.. قبل أن ينتفض الأخير..

أحمد: هو أنت انبساطك وحش أوي كده رجلي اتشوت.

طارق: أسف جدا مخدتش بالي والله خد مناديل طيب.

أحمد: مناديل إيه بس كده لازم أروح أغير.

طارق: لا يا عم مش هتغير ولا حاجة وبعدين أنت لابس بني والقهوة بني فمش باينة يعني.

ابتسم أحمد مجدداً من طريقة دكتور طارق قبل أن يدير محرك سيارته مجدداً وهو ينظر نظرة عتاب ضاحكة إلى الطبيب.

أحمد: طب يلا بقى خلينا نلحق أم الميعاد اللي شكله مش هيعدي على خير ده.. هو اليوم بان خلاص من أوله.

طارق: بالعكس يا عبيط.. طب ده أنا أمي الله يرحمها كانت دايماً تقول أن دلق القهوة خير.

أحمد: تصدق أنا برده أمي بتقول كده.. واضح أن الأمهات كلهم بكتالوج واحد.

وبالفعل تحرك أحمد بسيارته في طريقه إلى "أبو عطوة" حيث تسكن وردته التي بحث عنها بعقله طيلة ثلاثة أيام بصحبة طبيبه.. حتى وصل أخيراً وأوقف سيارته.

أحمد: هو ده بيتها يا دكتور

طارق: طب يلا ننزل مستني إيه؟

أحمد: طب أفرض مش هي اللي فتحت وده غالباً اللي هيحصل هنعمل إيه

طارق: متعرفش هي بتشتغل إيه أو أي حاجة عن حياتها؟

أحمد: لا.. بس كل اللي أعرفه عنها أنها معاها سياحة وفنادق فممكن تكون اشتغلت في مجال السياحة آه وقدمت قبل كده في مصر للطيران عشان تشتغل مضيفة وطبعاً معبروهاش يعني.

طارق: ليه هي شكلها مش مقبول؟؟

أحمد: بالعكس مقبول جداً جداً كمان.. بس مشكلتها في اللغة.

طارق: سيب الموضوع ده عليا أنا هتصرف وبعدين متنساش.. أن دلق القهوة خير.

لم ينتظر الطبيب رد من أحمد بل فتح باب السيارة وبادر بالنزول وبالطبع قد تبعه أحمد ليرشده إلى باب المنزل فوقف الطبيب أمام باب منزل قروي مكون من طابق واحد بينما ابتعد أحمد خطوات إلى الجانب خوفاً أن تراه دنيا ومن ثم ترفض الحديث معه من البداية وبالفعل بدأ الطبيب في طرق الباب.. لحظات مرت قبل أن تفتح الباب إحدى السيدات القرويات بزيهن الأسود المعروف يبدو من ملامحها التي تصارع الزمن أنها تجاوزت حد الستين بقليل نظرت في وجه الطبيب باستغراب واضح قبل أن يبدأ الطبيب بالكلام.

طارق: مساء الخير يا ست الكل.

السيدة: مين؟؟

طارق: مع حضرتك طارق عبد الحي من مصر للطيران يا ترى دنيا موجودة؟

السيدة: دنيا؟؟؟؟ عملت إيه الموكوسة بنت الموكوس عملت إيه؟؟ طول عمري بقولها تعيش عيشة أهلها لا هتودينا في داهية.

طارق: يا أمي ما عملتش حاجة ما تقلقيش هي كانت مقدمة في شركة طيران وأنا جاي أقابلها عشان تتقبل إن شاء الله وتشتغل مضيفة.

السيدة: يعني إيه مضيفة؟

طارق: يعني تركب الطيارة يا حجة وتسافر أرض الله كلها

السيدة: وتروح السعودية؟؟ وتبعتلي أعمل عُمرة؟؟

طارق: آه إن شاء الله يا حجة إن شاء الله هي فين بس؟

السيدة: لا بس أنا أخاف تسافر وتسيبني لوحدي دي وحيدتي.. بلاش بعيد كده شغلوها مضيفة في حتة قريبة.

طارق: حاضر يا أمي هنشغلهالك مضيفة على طيارة إسماعيلية أبو خليفة حلو كده؟؟؟ إندهيلها بقى.

في هذه الأثناء كاد أحمد أن يغمى عليه ضحكاً من ذلك الحوار بين الطبيب وتلك المرأة البسيطة التي تملأ الطيبة طيات كلامها قبل أن تقع عيناه على دنيا تقترب من بعيد يبدو عليها الإرهاق بسبب ما تحمل من حقائب مرتدية عباءة سوداء شعبية متعارف عليها لدينا جميعاً وتنساب خصلات شعرها التي قد صبغته باللون البني على عينيها.. لحظات قبل أن تقع عيناها هي الأخرى عليه فتوقفت عن السير للحظات في اندهاش

وذهول.. فتقدم أحمد بعض الخطوات باتجاهها حاملاً منها بعض الأكياس والحقائب قبل أن يتحدث:

أحمد: أزيك يا دنيا؟

دنيا: مش معقول جايلي لحد باب بيتي بعد 5 سنين عشان تسأل إزيي؟؟

أحمد: كلامك صح.. أنا عايزك في موضوع حياة أو موت.. وأبوس أيدك مترفضيش عالأقل تسمعيني.

دنيا: يااااه.. تبوس أيدي؟؟.. سبحان الله.. فاكر يا أحمد..

أحمد: مش عايز أفتكر يا دنيا ورحمة أبوكي يا شيخة تقعدي معايا عالأقل وتسمعي مني.

دنيا: ومين الراجل الغريب اللي بيكلم أمي ده.

أحمد: هتفهمي كل حاجة لما نقعد مع بعض.. ممكن؟

دنيا: حاضر يا أحمد هغير هدومي وأجيلك.

وبالفعل بدءا بالتقدم بعض خطوات حتى وصلا إلى باب منزلها وهنا وضع أحمد يده على كتف دكتور طارق الذي لا يزال يحاول إقناع والدة دنيا وإفهامها بوظيفة المضيفة قبل أن يلتفت لأحمد متحدثاً.

طارق: مش عايزك تقلق يا أبو حميد الوضع تحت السيطرة.

أحمد: سيطرة إيه بس يا دكتور.. ما خلاص دنيا أهي.

دنيا: بعد إذنك ممكن أخش بيتنا.. لو ما كنش يضايقك يعني هغير هدومي وجاية يا أحمد.

تحرك الطبيب بعض الخطوات إلى الجانب ليفسح المجال لتلك الأنثى ناصعة البياض ذات العيون السوداء والتي تشبه بقوامها المانيكانات

المعروضة بأفخم المحال التجارية ولكنها تزيد عنهم في بروز واضح بمفاتنها، تسمرت أقدام الطبيب كما تسمرت عيونه وهي تدرس تفاصيل تلك الفتاة من شفاه مرسومة وعنق أبيض طويل ونهدين بارزين وقوامٍ ممشوق، قبل أن يبتعد سامحاً لها للدخول قبل أن يلتفت لأحمد ويبدءا السير باتجاه السيارة مرة أخرى.

طارق: ها عملت إيه؟؟

أحمد: الحمد لله قدرت أقنعها تيجي تقعد معانا.. هتغير هدومها وتيجي.

طارق: شوفت بقى أن دلق القهوة خير.

وصل كلاهما إلى السيارة وركباها قبل أن ينظر الطبيب إلى أحمد ويبدأ بالحديث مجددا.

طارق: إيه القمر ده.. معقول فيه راجل يقدر يقاوم كلمة بحبك من بنت زي دي.

أحمد: قصدك دنيا يعني؟؟ هي حلوة آه بس تعرف أنها مش أحلى واحدة عرفتها.

طارق: كمان؟؟.. بس تعرف أن كيوبيد ليه حق يسميها وردة.. فعلاً وردة.

أحمد: ما خلاص يا عم هاني شاكر.. على فكرة كيوبيد كمل الحلم.

طارق: معقول؟؟؟ وإزاي متحكليش حاجة زي دي.. استنى لما أسجل.

وبالفعل بدأ الطبيب في إعداد هاتفه على وضع التسجيل قبل أن يبدأ أحمد في سرد حلمه الأخير وما تضمنه من ظهور الشاهد الثالث والطبيب يسمع بمزيج من القلق والترقب.

ارتسمت ابتسامات السعادة والفرح على جميع الجالسين فرحاً واستعداداً لقراءة الفاتحة تمهيداً لخطبة حازم وأميرة أخيراً.. وهو بالطبع ما يرضي والدي أميرة.. فها هو الزوج الذي تمنياه لأميرة، أما حازم ووالديه فقد اقتربا من التحليق فرحاً بتلك الخطوة الكل سعيد من قلبه.. إلا هي.. تحاول جاهدة رسم الابتسامة ولكن دون جدوى.. فقد حولتها الصدمة كالجدار المصمت غير قادرة عن التعبير عن أي مشاعر، يعتريها إحساس بالغربة وكأنها تحلق وحيدة بعيداً عن سربها ولكن كلما حاول فؤادها أن يوقظها قتلته نيران البغض والانتقام من جديد دقائق وانصرف الحضور بعدما حددوا تاريخ الخطبة بعد أسبوع من هذا اليوم.

ولكن بقيت خطوة واحدة من خطة انتقامها من هذا الخائن الذي اقتطف ثمار فؤادها فبعد أن رأته في أحضان أنثى أخرى يجب أن ترد له الصاع صاعين.. انصرف الحضور واتجهت إلى هاتفها محضرة رقم والدة أحمد.

أميرة:. أزيك يا طنط.

عائشة:. ميرو حبيبتي.. وحشاني أوي.

أميرة:. والله وحضرتك أكتر يا طنط.

عائشة:. عاملة إيه يا روحي.

أميرة:. أنا تمام يا طنط والله.. بقولك إيه طبعاً أنتي عارفة أنتي بالنسبة لي إيه بعيد عن أي حاجة وبعيد عن علاقتي بأحمد.

عائشة:. طبعاً يا حبيبتي.. وربنا يقرب البعيد ويخرج الشيطان اللي دخل بينكم.. والله عين ما صلت على النبي.. وكل حاجة هتتصلح.

أميرة:. طنط.. أنا بكلمك عشان أعزمك على خطوبتي الأسبوع الجاي.

عائشة:. خطوبتك؟؟؟.. خطوبتك إزاي يعني يا أميرة؟؟ أنتي بتقولي إيه

طب وأحمد يا أميرة؟

أميرة: أحمد عاش حياته يا طنط متقلقيش عليه فبتهيألي أنا كمان من حقي أعيش حياتي.

عائشة: لا يا أميرة أحمد بيحبك أنا أمه وأعرفه كويس.

أميرة: طنط.. أنا شوفت أحمد مع يارا يا طنط فاكراها؟؟ أنا مش عيزاكي تزعلي مني بس أحمد بالنسبة لي صفحة واتقفلت.

أغلقت والدة أحمد الخط وهي تشعر أن العالم يدور حولها بسرعة الضوء فكل ما يشغل بالها أن يطمئن فؤادها على وحيدها.. ولا ترى بغير أميرة أي اطمئنان أو أمان له وها هي تبتعد أكثر وأكثر بل وتخبرها أنه الآن بين يدي الأنثى الأبغض في العالم بالنسبة لها (يارا).. أمسكت هاتفها وأحضرت رقم أحمد لا شعورياً واتصلت به لتكمل دون أن تدري آخر أركان خطة أميرة للانتقام منه.. ولكن دون جدوى فقد كانت بطارية هاتفه قد نفدت لتوها من الشحن ظلت تتصل وتعاود الاتصال ولكن دون جدوى.

***

أحمد: ناديت عليها كتير أوي يا دكتور لدرجة أني صحيت صوتي مبحوح.

طارق: الغريب أن دنيا ظهرت وسط البنات عادي... مكنش ظهورها مميز. وده شيء غريب ومقلق.

أحمد: مقلق!!! تقصد إيه؟؟

أراد الطبيب أن يخبر أحمد أن ذلك الحلم إذا أصاب بتحليله قد يجعل من جلستهما مع دنيا بلا أي فائدة.. فالطبيب يرى أن وردة لها قدسية خاصة لدى كيوبيد.. ولكن خبطة رقيقة من يد دنيا على زجاج

السيارة كانت كفيلة بإنهاء الحوار قبل أن تفتح باب السيارة الخلفي ويتحرك أحمد بسيارته والصمت يسيطر على الطريق.

دنيا: كنت متأكدة أنك هتجبنا هنا.. ها بقى خير يا أحمد ومين الأستاذ ده؟

أحمد: بصي أنا مش عارف أبدأ إزاي.. مبدئيا ده دكتور طارق صاحبي

و... ما تتكلم أنت يا دكتور.

طارق: بصي يا أنسة دنيا الموضوع وباختصار.. أن أحمد تعبان.. وتعبان جداً كمان وراحته في إيدك أنتي.

دنيا: في إيدي أنا؟؟؟!! مش فاهمة!! تعبان ماله؟؟

طارق: مبدئياً أنا مش مجرد صديق لأحمد.. أنا قبل ما أكون صديقه فأنا طبيبه النفسي.

دنيا: نفسي؟؟؟!! أنا مش فاهمة حاجة.. في إيه يا أحمد؟؟

أحمد: دنيا أنا عارف إني ظلمتك معايا.. وجيت عليكي.. وأنتي متستحقيش مني ده.. وعارف أني ماستحقش أنك حتى تسامحيني.

طارق: أحمد بيعاني لعنة نادرة اسمها "لعنة كيوبيد" ودي بتحصل لما إنسان بيظلم قلب حب بجد.. زي ما أحمد عمل معاكي بالظبط وعمره ما هيبقى كويس إلا لما القلب البريء اللي ظلمه يسامحه.

دنيا: هههههههههه.. مش قادرة بجد.. انتو جايبيني هنا عشان الهطل ده.

أحمد: ده مش هطل يا دنيا دي حقيقة.. أنا عارف أني ظلمتك.. وصدقيني دفعت تمن ده غالي أووي دفعت تمنه البنت الوحيدة اللي حبتها في حياتي.. ضيعتها من إيديا.. دنيا أنتي الأمل الوحيد أن حياتي

ترجع كل اللي طالبه منك.. تسامحيني رغم أني عارف أني ماستاهلش ده. أنا حياتي اتدمرت بسبب اللعنة دي يا دنيا.. أبوس إيدك ساعديني.

أنهى أحمد حديثه وقد وجدت الدموع أكثر من طريق لعينيه حاول أن يقاومها كثيراً ولكن في نهاية الأمر استسلم لها ورضخت لها أجفانه ليظهر ضعفه جلياً.. وربما كانت تلك الدموع هي الضارة النافعة..

فبرغم كل ما توقعه أحمد وطبيبه من نار بغض وكره داخل قلب دنيا.. إلا أن تلك الدموع قد ألانت قلبها لتمد يداها إلى عيني أحمد ماسحة دموعه قبل أن تتحدث.

دنيا: مكنتش أتخيل أن يجي يوم وأشوف دموعك يا أحمد.. ما تعيطش أرجوك.. أحمد.. لو أنت فعلاً حياتك اتدمرت بسبب إنك ظلمت قلب بريء بيحبك زي ما الدكتور قال.. فصدقني أنا آخر حد تفكر فيه.

أحمد: يعني إيه؟!

دنيا: فاكر بتول يا أحمد؟؟

أحمد: أيوه فاكرها.. بس إيه علاقتها باللي بنقوله.

دنيا: بتول هي اللي معرفانا على بعض.. في نفس المكان ده.. فاكر؟؟

أحمد: آه طبعاً فاكر.. كنتي خارجة مع صحابك واتقابلتوا صدفة.

دنيا: لا.. مش هي دي الحقيقة.. دي مكنتش صدفة.

أحمد: أومال؟؟

دنيا: أنت لما ارتبطت ببتول.. وحكتلي عنك.. كنت عارفة أنك بتتسلى معاها وفترة وهتزهق.. بس هي مكنتش مصدقة.. فقررنا نتراهن.

أحمد: تتراهنوا!!! تتراهنوا على إيه؟؟؟

دنيا: إني أخطفك منها.. حاولت أقرب منك وأنت معاها وقولتلك إني معجبة بيك.. بس أنت طنشت.. وبعدها مادتناش فرصة نكمل الرهان وسبت بتول زي ما أنا كنت متوقعة.. وهنا بتول طلبت مني إني أنتقم منك.. وأقرب أكتر منك وأحببك فيا بأي طريقة.. فماكنش قدامي غير إني أظهرلك في دور البنت الضعيفة الهبلة المتعلقة بيك وبتموت فيك وفعلاً أخيراً قدرت أقنعك إننا نرتبط.. حاولت أخد قلبك بكل طريقة بس فشلت في ده.. لحد ما كلمتني عشان نسيب بعض في الوقت اللي كنت فيه للأسف حبيتك بجد.

أحمد: أنتي بتقولي إيه؟؟؟؟ يعني أنتي وبتول كنتوا بتلعبوا بيا؟؟؟ أنتوا إيه..؟

دنيا: متاخدكش الجلالة أوي كده يا أحمد.. عالأساس أنك مكنتش بتتسلى سواء بيا ولا بيها؟؟؟ عالأساس أنك ملاك مثلاً!!! إحنا كده يا دوب متعادلين.. أنا لو وحشة فعلاً.. مكنتش قولتلك كل ده دلوقت وكنت سيبتك مفكر أني البنت اللي مبوظالك حياتك.. عن إذنك يا أحمد.

انصرفت دنيا تاركة أحمد والذهول والحزن يسيطرا عليه.. وسيل من الأفكار المتناقضة تهاجم عقله وفؤاده.. ما حدث يعني أن دنيا ليست وردة..

وأن كل حبال الأمل التي تعلق بها فؤاده منذ البارحة ليست إلا خيوط من السراب صعدت به إلى أعلى قمة السعادة قبل أن تلقيه دون شفقة أو رحمة ليعود إلى نقطة الصفر من جديد ليسأل نفسه.. من هي وردة؟؟

طارق: على فكرة اللي حصل ده منطقي جداً.

أحمد: بقولك إيه والنبي يا دكتور مش ناقصاك خالص.

طارق: على فكرة أنا بتكلم بجد.. ولو كنت حكتلي رسالة كيوبيد بتاعت إمبارح من أول اليوم مكنتش خليتك تودينا لدنيا أصلاً.

أحمد: إشمعنى؟؟

طارق: لأن واضح من الحلم أن دنيا مش وردة.

أحمد: إزاي بقى؟

طارق: أولاً وجود أميرة كشاهد على قتل وردة معناه أن الاتنين على الأقل يعرفوا بعض.. وده مش موجود مع دنيا.. ثانيا وجود دنيا في المدرجات مع البنات اللي أنت عرفتهم.. وبعديها ظهور وردة.. معناه إن دي حاجة ودي حاجة.. ثالثاً بقى إن..

أحمد: أن دلق القهوة خير.. مش كده.

طارق: طبعاً خير وخير أووي كمان.. طب بذمتك لو كنا ما وصلناش ليها وفضلنا ندور عليها ومتخيلين ومتعشمين إنها هي وفي الأخر تطلع مش هي تخيل كده الوضع كان هيبقى إيه؟؟

اكتفى أحمد بهزات متتالية من رأسه للجواب على افتراض الطبيب يوافقه به الرأي من جهة ويواري خيبة أمله من جهة أخرى قبل أن يغادرا متجهين إلى منزل الطبيب ويفكر كل منهما في حل لذلك اللغز الذي يتوقف عليه حياة كليهما.. دقائق فصلت وصول كليهما إلى شقة الطبيب.

أحمد: أنا خلاص مابقتش قادر أفكر.. معدش فيه حد مفكرتش فيه.

طارق: غلطان لو فكرت دلوقتي أنت تحت تأثير صدمة أي تفكير هتفكر فيه هيبقى غلط 100% سيبك من دنيا وخلينا نفكر في الشاهد الثالث.. أميرة.

أحمد: هو أنا بفكر في غيرها يا دكتور.. نفكر فيها من ناحية إيه؟

طارق: أميرة تعرف وردة.. ووردة ماكنتش في وسط البنات اللي ظهروا في الحلم.. وردة ماينفعش تكون شخصية ثانوية في حياتك.. لازم يكون

ليها آثر كبير في حياتك.. تعالى نفكر من أول وجديد.. ولازم هنوصل لحل إن شاء الله.

أحمد: حاضر يا دكتور مع أني متأكد أن معدش فيه بنات مفكرتش فيهم بس حاضر خليني وراك.. بس هحط موبايلي في الشاحن عشان فصل.

طارق: جميل جداً وأنا هقوم أعمل كوبايتين شاي بالنعناع إنما إيه يعدلوا نفوخنا.

أوصل أحمد هاتفه بالشاحن ثم أشعل سيجارة ينفخ بدخانها ما يسيطر عليه من هم وحزن، فتح هاتفه وبدأ في تصفح موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" كعادته دائماً في الأوقات الصعبة فقط، بدأ في التجول سريعاً في منشورات أصدقائه السخيفة.

فأحدهم اعتاد دائماً تسجيل الدخول بكل موقع يمر به وكأن العالم كله يهتم بمكانه حالياً، أما الآخر فقد تقمص شخصية أمير الأحزان من منشورات حزينة أو صور بها مقولة كئيبة وعادةً ما تحمل صورة لفنان ليس له أي علاقة بالمقولة من قريب أو من بعيد.

أما ثالث الأنواع وأسخفهم هو من يرى نفسه الأوسم بالعالم، فينشر صورة له كل دقيقة تقريباً وهذا شأنه ولا دخل لنا به، أما الذي لا يطاق هو إشارته لكل أصدقائه بما فيهم أحمد وكأنه يبعث رسالة قائلاً (بصوا أنا حلو إزاي).

وغيرها من المنشورات السخيفة التي قد تصادف أي منا أثناء رحلة تجوله على ذلك الموقع، فأخذ يمرر بإصبعه بشكل سريع ليتلاشى كل هذه السخافات عسى أن يجد حدثاً مهماً يلهيه عما يشعر به، ولكن ما وجده لم يلهيه عن همه بل أزاده أطناناً وأطنان فقد وجد صورة

لصديقه فاروق نشرها أحد الأصدقاء الخاصين به يُدعى "سمير" مصحوباً بمنشور مقتضب جداً..

"فاروق اتقتل.. الله يرحمك يا صاحبي ادعوله بالرحمة"

أعد الطبيب كأسين من الشاي المضاف له نبات النعناع الطازج الذي يعشقه ويفضله جداً وهو لا يزال يفكر من هي وردة.. التي يتوقف عليها حلمه وتتوقف عليها حياة أحمد وضع كأسي الشاي على الصينية وحملها واتجه إلى غرفة الكشف المتواجد بها أحمد.. دخل الطبيب إلى الغرفة ليجد أحمد واقفاً مديراً ظهره إليه واضعاً يديه على رأسه فوضع الطبيب الصينية على إحدى الطاولات الموجودة بالغرفة.

طارق: شوية شاي بقى يا أبو حميد إنما إيه مزاج المزاج.

استدار أحمد ليواجه الطبيب وعيناه قد دمت دموعاً لاهثاً كمن يحاول أن يشق طريقاً للهواء إلى رئتيه قبل أن يسقط على ركبتيه لاهثاً مردداً كلمات غير مفهومة وسط سيل من الدموع.. فانطلق الطبيب نحوه.

طارق: أحمد مالك فيك إيه يا أحمد؟؟

أحمد: فاروق مات.. أنا السبب.. أنا السبب.

طارق: اهدى بس.. فهمني في إيه؟؟ فاروق مين

أحمد: قولتله بلاش أنا قولتله والله بلاش.. بس أنت اللي قولتلي إن مفيش حل غير كده يا دكتور أنت اللي قولت كده.

بدأ دكتور طارق في تجميع خيوط ما قاله أحمد بعقله ومد يديه ليساعد الأخير على الوقوف، كوالدٍ يسعى لمساندة ولده، فخلال تلك الأيام لم يصبح الطبيب هو منقذ أحمد ومؤنسه، بل تحول أحمد هو الآخر إلى مؤنس الطبيب ومنقذه من طيات الوهم والوحدة التي أحاطته طيلة السنوات السابقة، أحاط الطبيب عنق أحمد بذراعه وهو يحدثه.

طارق: فاروق ده اللي أنت سألتني عن حالته أول امبارح مش كده؟ لم يكن أحمد قد امتلك القدرة الكافية للإجابة عن أي أسئلة فاكتفى بهزة خفيفة من رأسه محاولاً التماسك ليستكمل الطبيب حديثه.

طارق: شيل من دماغك فكرة إنك السبب ده قدر يا أحمد ثم أن دي نهاية متوقعة وأهو على الأقل تخففله اللي عمله في اللي ظلمه، إدعيله يا أحمد .

قطع صوت هاتف أحمد حديث الطبيب فأمسك الهاتف وحاول ألا يبدو على صوته أي تأثر وخصوصاً وأن المتصلة هي والدته قبل أن يجيب.

عائشة: أنت إيه ما بتتعلمش؟؟ أنت نسيت عملت فيك إيه يا أحمد أهي بوظتلك حياتك تاني.

أحمد: بصي يا أمي صدقيني أنا مش ناقص أي كلام مالوش لازمة أنا فيا اللي مكفيني.. مين دي اللي بوظت حياتي يا أمي.

عائشة: اللي كنت معاها إمبارح يا روح أمك، يارا يا أحمد.

أحمد: آه قولتيلي، طيب بصي يا أمي والله أنا ما ناقص مناقشة في حاجات مانتيش فاهمة أساسها إيه أصلاً، مش مجرد أن يمنى قالتلك حاجة تعمليلي بيها حوار.

عائشة: يمنى؟! لا مش يمنى يا أحمد اللي قالتلي، أميرة شافتها معاك وعشان ترتاح أميرة هتتخطب الأسبوع الجاي يا أحمد، خلي يارا ترتاح أهي خربتها وقعدت على تلها.

اتسعت عينا أحمد ذهولاً مما سمع وقد وجدت الدموع التي جففها منذ لحظات طريقاً لعودتها إلى عينيه وتصاعدت أنفاسه بشكل مريب حتى وصلت إلى حد الشهق، ولا شعورياً أغلق اتصاله بوالدته دون أي مقدمات ولا تمهيد وأحضر رقم أميرة واتصل بها متجاهلاً نداءات الطبيب واستفساراته، وكأن سمعه قد توقف عند ذلك الخبر المشئوم.

مراتٍ ومرات من الاتصال دون رد، بالتأكيد لا تضاهي تلك التي قامت بها أميرة أثناء الثمانية شهور المشئومة قبيل انفصالهما وتجاهلها، ولكنه لم ييئس حتى أتاه صوتها بعد تنهيدة مغرورة تنم عن الانتصار.

أميرة: خير يا أحمد؟!

أحمد: أميرة.. اللي أمي قالتهولي ده صح؟؟

أميرة: آه صح، وياريت متتصلش بيا تاني عشان حازم بيغير عليا.

أحمد: حازم؟؟ أنتي مبتحبيش حازم يا أميرة أنتي بتحبيني أنا، أنتي بتاعتي أنا يا أميرة فاهمة؟

أميرة: مش مهم أكون بحبه المهم إنه بيموت فيا وعمره ما هيخوني، إلا أخبار يارا إيه؟

أحمد: أنتي مانتيش فاهمة يا أميرة يارا كانت..

أميرة: مش عايزة أفهم.. وياريت متتصلش تاني عشان أنا بحترم خطيبي ومعدش فيه كلام بينا سلام.

نظر أحمد إلى هاتفه وهو غير مصدق لما سمع من أميرة وقد انهمرت الدموع سيولاً على وجنتيه قبل أن يعود إلى أسماعه صوت الطبيب الذي لا يزال يتحدث ويستفسر دون يأس أو توقف.

طارق: في إيه يا أحمد فهمني إيه اللي حصل.

أحمد: أميرة راحت مني خلاص.. أميرة هتتخطب يا طارق ليه بس كده أنا عملت إيه عشان كل ده يحصلي.

طارق: عملت إيه؟! معقول مش عارف عملت إيه يا أحمد؟! طبيعي أنك تدوق من نفس الكاس اللي دوقته لوردة.

نظر أحمد إلى طبيبه نظرة أخافت الأخير قبل أن يمسح وجهه من دموعه ويقف ليجذب الطبيب الذي كان جالساً بجواره ليجعله واقفاً أمامه ومازال ممسكاً بياقة معطفه المهترئة.

أحمد: أنت السبب في كل ده، أنت اللي خلتني أقول لفاروق يروح لأهل هند ويموت أنت اللي خلتني أروح ليارا وأميرة تشوفني معاها أنت مين؟؟ انطق أنت مين؟؟ أنت شيطان ولا عقاب نازل من السما ولا إيه بالظبط؟! انطق بقولك.

ما زال أحمد ممسكاً بعنق الطبيب الذي تحول وجهه إلى الشحوب وطغى عليه اللون الأزرق وهو يحاول لاهثاً التخلص من قبضة أحمد، حتى استجمع قليلاً من قواه الكافية لدفع أحمد بضعاً من السنتيمترات، قبل أن يلهث ساعلاً بعد التحرر من قبضته وهو يجثو على ركبتيه قبل أن ينظر إلى أحمد متحدثاً.

طارق: كنت هتموتني يا مجنون، بطل هبل وحاول تفهم بقى. ارتفع صوت ضحكات أحمد المتتالية المستهزئة بكلام الطبيب الخارجة من طيات دموعه وهو يردد بحرقة كبيرة تلتهم فؤاده:

"هبطل هبل وأفهم"

أحمد: عارف إيه الهبل؟؟ الهبل أني أسيب حياتي وأجري ورا دكتور أهبل زيك مسمينه هوبا، طب بذمتك شوفت هبل أكتر من كده؟؟

هتفهمني إيه يا دكتور ما أنا خلاص فهمت.. فهمت أن دي لعنة مش كده؟؟؟ لعنة سابت الدنيا كلها وجتلي أنا تدمرني.

أيوه أيوه.. صح كلامك صح جداً وطبيعي. أفهم إيه؟ أن نصيحتك كانت سبب موت صاحبي الوحيد اللي وثق فيا وفيك يا دكتور.

أو أقولك أنا هفهم أني هرجع لأميرة تاني صح؟؟؟ مش ده كلامك؟؟؟ رد عليا.. مش ده كلامك.. أنا فهمت كل حاجة خلاص فهمت أن الحاجة الوحيدة اللي بقيالي راحت..

فهمت أني ضيعتها بأديا خلاص ومش هترجعلي تاني مبقتش ليا هتبقى في حضن غيري وتقوله بحبك ويتفقوا على أسامي عيالهم فهمت أنه هيمسك أيديها ويبوسها يا دكتور فهمت أن كل حاجة كانت معايا هتبقى ليه، بس عارف أهم حاجة فهمتها إيه يا دكتور إن دلق القهوة مش خير يا دكتور مش خير خالص.

أفلت أحمد طبيبه متراجعاً بضع الخطوات إلى الخلف قبل أن يستدير ليجد البرواز المُعلق عليه

"كيوبيد سهم يحمي المحبين"

ليوجه له لكمة قوية بقبضة يده تسقطه أرضاً وتتناثر قطع الزجاج المكسور المخلوط بقطرات من دماء يد أحمد.. ثم انصرف.

الفصل السابع

خمسة وعشرون يوماً من العزلة

استيقظ الطبيب من نومه يشعر بالفراغ يملأ طيات حياته من جديد لم ينظر إلى الساعة، فلن يغير ذلك مجريات الأمور.

فربما تشير عقاربها إلى الواحدة ظهراً مثلاً فهذا يعني أنه سيواجه ما يقارب من اثنتى عشرة ساعة من الفراغ الممزوج باللاشيء، توجه إلى مكتبه بعد أن أعد كوباً من الشاي وما زاد الأمر سوءاً أن مخزونه من النعناع قد نفد فاضطر إلى إعداده بدونه، جلس على مكتبه ممسكاً بهاتفه لا يجد سبيلا لانقضاء الساعات سوى العودة إلى ممارسة هوايته المفضلة التي انقطع عنها منذ تلك المشادة التي حدثت بينه وبين أحمد وانصرف أحمد بلا رجعة منذ خمسةٍ وعشرين يوماً..

نعم فاليوم هو 31 يناير، وقد قضى الطبيب تلك الأيام بعزلة تامة، يتذكر تلك الكلمات التي أفاض بها أحمد قبل خروجه ويفكر.

هل هو بالفعل السبب في كل ذلك؟!.. قبل أن يعود ويرد على ذلك السؤال بنفسه بأنه لم يفعل سوى ما أملته عليه معتقداته.

كان يهبط يومياً من منزله متوجهاً إلى العنوان الذي وجده على الكارت الخاص بمحل أحمد والذي أعطاه إياه في الجلسة الأولى عسى أن يجده ليطمئن عليه فقط ليس إلا، ولكن دون جدوى.. فقد علم من أصحاب المحلات المجاورة له أن أحمد لم يعاود الظهور طوال هذه الفترة واستطاع أن يحصل من أحدهم على عنوان منزل أحمد ولكنه تراجع في اللحظة الأخيرة عن زيارته ليعود ويزور تلك الكافيتيريا المحببة إلى أحمد متذكراً لقائه معه أكثر من مرة عسى أن يجده هناك ولكن أيضاً دون

جدوى، ليعود إلى عزلته ساحباً ذيول الخيبة محاولاً التحدث إلى زوجته قبل أن يعتريه شعوره بالفشل المتكرر فيخلد إلى نومه هارباً، ولكنه اليوم استيقظ وقد رآها بمنامه معاتبة إياه على طول غيبته والتي لم تحدث من قبل فقرر أن يتحدث إليها، أعد هاتفه على وضع التسجيل وبدء بالحديث:

".. حبيبتي أنا أسف أنتي أكيد زعلانة مني.. عمري ما قعدت المدة دي من غير ما أكلمك ولا اتطمن عليكي.. بس أنتي أكيد عذراني النهاردة أحمد بقاله 25 يوم مختفي.. من ساعة ما نزل من عندي بعد ما عرف خبر خطوبة أميرة معرفش عنه حاجة... عارفة يا هدى أنا قلقان عليه جداً.. بتقولي إيه؟؟ أروحله بيته ؟؟ لا طبعاً أنتي عارفاني يا هدى.. مهما كنت بحبه لا يمكن أروحله بعد اللي حصل ده غير أني عديت على المحل بتاعه كذا مرة وعرفت أنه مافتحش من يومها.."

***

مؤلم جداً ذلك الشعور.. عندما تفتح عينيك غير راغب بالاستيقاظ زاهداً بتلك الحياة التي تبدو وكأنها ترفضك بل وتصمم على ذلك الرفض.. تترجى عينيك لتنام مرة أخرى أو بالأحرى لتهرب من واقعك الذي ترفضه وتهابه.

مليئاً بكل تلك المشاعر وبما لا يمكن وصفه بالكلمات.. فتح أحمد عينيه ليواجه واقعه الأليم الذي لم يكن أفضل حالاً من طبيبه، حاول أن يغمض عينيه مرة أخرى متحايلاً على حقيقة استيقاظه لكن دون جدوى فجلس نصف جلسة باحثاً عن قداحته وعن علبة محملة بسجائر الحشيش التي تمادى في شربها طيلة الخمسة وعشرين يوماً وبالتحديد منذ أن تلقى خبر خطوبة أميرة وقتل فاروق وبعد تلك المشادة التي جرت بينه وبين طبيبه في ذلك اليوم المشئوم.

هبط في ذلك اليوم من شقة الطبيب غير مدرك خطواته لا يرى شيئاً صوب عينيه سوى أميرة وفاروق.. ينظر يميناً فيرى ضحكاتها.. ثم ينظر

يساراً ليرى فاروق معاتباً إياه.. تلاحقه الذكريات مع أميرة.. ويلعنه فؤاده ويؤنبه يحدثه معاتباً:

. ألم تكن بين يديك ؟؟! ألم تكن ملكاً لك وحدك؟؟ ألست من لفظتها وتركتها تتسلل من بين ضلوعك؟؟! فعلام الندم الآن؟ وبم يفيد؟؟.. هل كنت تتوقع منها أن تنتظر وتلقي بعنقها تحت نصل سكينك ؟! يا لك من أناني وغد.. تعودت أن ترى العالم كله تحت قدميك.. وألا تفكر سوى بنفسك.. والآن قد دارت الكئوس.. لفظتك الدنيا برمتها لتلقيك أسفل سافلين.

خاطبه فؤاده بكل ذلك بل وأكثر ولم يشعر بنفسه إلا وهو يوقف سيارته أمام تلك العمارة التي تحتوي على "عش السعادة" شقته التي كانت ستجمع بينه وبين أميرة يوماً من الأيام.. هبط من سيارته صاعداً إليها يرى بكل ركن منها أحلامه التي تبخرت يرى تلك السعادة التي وعدته بها أميرة ويرى تلك الحياة التي بناها في عقله وقلبه قبل أن يذهب كل شيء أدراج الريح.

كلما حاول أن يتجاهل كل ذلك استحوذت فكرة أن أميرة الآن بين يدي غيره يتباهى بضحكاتها وتمتلئ رئتيه بنفحات عطرها.. لا تفارق ذهنه صورة خطبة أميرة وحازم التي لم يرها حتى الآن ولكنه بالفعل يتخيلها.

وبالرغم من أن تلك الشقة لم تكن مجهزة تمام التجهيز للعيش فيها ولكنه ارتضى لنفسه بغطاء سيارته فارشاً إياه على أرض الشقة الخاوية من قطع الأثاث.

ومنذ أن صعد إلى تلك الشقة ولمدة خمسة وعشرين يوماً أمضى وقته باكياً تارة ومدخناً تارة قبل أن يستحوذ الحشيش على عقله فيقف صارخاً باحثاً عن كيوبيد الذي هجره هو الآخر وكأنه أنهى مهمة محددة انتهت بإلقاء الحكم عليه.. يبحث عنه كالمجنون يستجديه بالظهور بأحلامه أو يقظته عسى أن يرى أميرة ولو للحظة بأحلامه أو يجد سبيلاً

للوصول إليها.. مضت تلك الأيام على هذه الشاكلة لم تتضمن أي جديد سوى اتصالات هاتفية يومية من والدته تستجديه باكية أن يعود لبيته ولكن دون جدوى.. أو زيارة خاطفة من شقيقته تزوده ببعض الملابس وبعض الطعام قبل أن يجبرها على المغادرة.

لم يغادر شقته اللهم إلا هبوطاً لمقابلة "الديلر" الخاص به الذي وافق مرحباً على إيصال الحشيش إليه مقابل زيادة مجزية من المال.. وهكذا كان حاله طيلة الأيام الماضية حتى استيقظ اليوم ليشعل تلك السيجارة التي يتوهم أنها ستعينه على ما يعاني.

***

ما زال دكتور طارق ممسكاً بهاتفه محدثاً زوجته الراحلة التي يشعر وكأنها تسمعه بل وتجيبه وتسأله أحياناً.

"عارفة يا هدى أنا قربت أيأس.. زمان لما كنت أحس بكده كنتي أنتي اللي بتشجعيني وبتدعميني.. متعرفيش محتاجك قد إيه.. طبعاً يا حبيبتي أنتي معايا على طول.. بس حضنك يفرق أووووي.. أيأس ليه؟؟ بعد كل اللي حكتهولك ده وأيأس ليه؟!! عندك حق هي مش أول حالة أفشل أثبت النظرية من خلالها.. بس أنا كنت قربت أوي يا هدى.. هتصدقي لو قولتلك أن الحالة دي قربت تخليني أشك في النظرية أصلاً وتخليني أحس اني ضيعت السنين دي كلها من عمرنا عالفاضي.. آه طبعاً للدرجة دي.. هو مش مفروض أن الطبيعة تساعد المحبين؟؟!! مش دي تاني قاعدة من النظرية؟؟ طب ليه الطبيعة ماساعدتش أحمد يوصل لوردة زي ما ساعدت سايكي توصل لكيوبيد؟؟.. مش النهر ساعدها ؟؟!! والصقر ساعدها؟؟ ده حتى النملة ساعدتها.. ليه الطبيعة ماساعدتش أحمد رغم اني متأكد أنه بيحب أميرة من كل قلبه".

أنهى الطبيب تسجيله على الهاتف قبل أن يفتح حاسوبه لينقل عليه ذلك التسجيل كما جرت العادة ثم لم يجد ما يفعله ليقتل الوقت فلجأ

إلى الملف الذي يحمل اسم "أحمد يوسف" على حاسوبه الذي يحتوي على جميع الجلسات التي جمعته به منذ أول جلسه بعيادته القديمة حتى أخر جلسة بسيارة أحمد أمام منزل دنيا قبل أن يقف بعينيه أمام إحدى الجلسات التي تحمل اسم "ليلة الحشيش" قبل أن يضحك من كل قلبه فذلك الملف الصوتي يحتوي على تسجيل لتلك الليلة الرائعة التي قد قضياها معاً احتفالاً لظنهما بالوصول أخيراً إلى وردة قبل أن يضغط ليفتح ذلك الملف لينطلق صوته من الحاسوب وهو يتحدث إلى أحمد قائلاً:

"شوف بقى أنا مش هشغل حاجة بعد الست.. أنا هغنيلك شخصياً" ليأتي رد أحمد من الحاسوب المتزامن مع ضحكات دكتور طارق وهو يتذكر تلك اللحظات "حمدالله عالسلامة أنت وصلت؟؟ سمعني يا نجم"

"يا مشاء الله عالتحفجية أهل اللطافة والمفهومية.. يجعلها ليلة مملكة يا

.. كرييييم.. "

مازال دكتور طارق يضحك ثم يضحك وهو يستمع إلى غنائه وانخراط أحمد معه فقد نجح ذلك التسجيل الصوتي في إخراجه نسبياً من حالة الإحباط التي قد وصل لها قبل أن يعاود الانتباه من جديد مستمعاً إلى الحديث بينهما..

طارق: عارف يا أحمد كل ما بغمض عيني بحلم أني أنجح وأحققلها اللي ياما حلمنا أنا وهي بيه.

أحمد: هي مين؟

طارق: دكتورة هدى مراتي الله يرحمها.. تعرف أن أنا وهي قصتنا شبه قصتك أنت وأميرة.

أحمد: إزاي؟؟

طارق: أبوها برده الله يرحمه كان غني جداً وماكنش موافق بيا خالص بس هي قلبت الدنيا عشان نبقى لبعض.. كانت مؤمنة بيا جداً ماتت وهي بتحلم إني أثبت نظريتي وأنجح.. فكرك هقدر أعمل ده؟؟! لازم أقدر.. مقدرش أقابلها من غير ما أكون عملته.. هي دي هديتها كنت دايماً معييش فلوس ومخلص فلوسي عالأبحاث ومحاولة إثبات نظريتي.. وكل مناسبة أقولها معلش معييش أجبلك هدية.. تقولي هديتي إنك تنجح وتثبت نظريتك.. كان نفسي تبقى معايا أوي دلوقت وتشوف حلمنا وهو قرب يتحقق.. أنت كان نفسك مين يبقى معاك...

أحمد: ياااه ناس كتير أووي يا دكتور... أبويا الله يرحمه هو الوحيد اللي كنت أقدر أحكيله عاللي فيا... هو الوحيد اللي كان يقدر يرجعني أنا وأميرة لبعض دلوقت... نفسي كل اللي خسرتهم يبقوا جنبي.. ولاء وحسام خصوصاً.. الناس دي أنا خسرتها.. ولاء دي كانت أهم حاجة عندي فعلاً كانت الوحيدة اللي بتحس بيا وبتفهمني رغم أني مكنتش بستلطف حسام أووي بس كفاية أنه عرفني عليك يا دكتور.. صحيح هو مش مفروض أنكم صحاب؟؟

قبل أن ينطلق صوت شخير دكتور طارق المرتفع رداً على سؤال أحمد معلناً نومه.

هنا وقف دكتور طارق صارخاً ضارباً بيده مكتبه غير مصدق لما قد سمع حتى أنه قد أعاد الجزء الأخير من التسجيل عدة مرات ليتأكد مما سمع قبل أن يهتف:

"الطبيعة ساعدته يا هدى.. الطبيعة ساعدته.. أخيراً لقيت وردة.

الفصل الثامن

اسم شهرة

قد يبدو للجميع أن بكاءه على لبنٍ قد سكبه بكامل إرادته هو دربٌ من الخيال أو تصرف غير مبرر ولكن، كم منا قد أحس بالندم على شيء أقترفه بيديه وبكامل إرادته دون تدخل من الحياة والظروف أو القدر.. فما بالك بمن اختطفت حياته وسُير عقله بفعل لعنة.. اندست حبيبات اللامبالاة داخل عروقه فتمادى في فقده دون أدنى تمسك كمن خُدر.. قبل أن يستيقظ ليجد أنقاض ما بنى قد حُطمت وما زاد الطين بلة.. أنه قد وجد بيده فأساً تتقاطر من نصلها آثار الدمار.. هكذا كان حاله.

وبعد أن أشعل ما يقرب من ثلاث سجائر محملة بنبات الحشيش أمسك هاتفه متصلاً بأحد المطاعم طالباً ما يساعده على الحياة رغم كرهه لها إلا أننا جميعاً مثله نكرهها ولكننا لا نقوى على اتخاذ قرار فراقها، ربما لأننا لم نكن أصحاب قرار لقائنا بها وربما لأننا وبرغم كل ما تفعله بنا وبرغم كل ما نشعر به من مشاعر بغض تجاهها.. نريدها.. نريد أن نحيى.

صوت جرس الباب أجبره على ترك مقعده مترنحاً ممسكاً ببعض الأموال الكافية للأوردر مع البقشيش، يجد صعوبة بالغة في الوصول إلى باب شقته ربما كان ذلك بفعل ما شرب من مخدر ولكن الأقرب إلى الصواب والتصديق أن ذلك بفعل عقله الذي أراد أن يبقى في حالة المترنح عسى أن ينسى.. عسى أن يجد قلبه بلا شوق ويجد روحه بلا ذكرى.. وصل إلى باب الشقة وفتحه.. ليجد أمامه من علق قلبه بحبال الآمال وأحيى نبض قلبه وجد أمامه الطبيب.

طارق: أزيك يا أحمد؟؟.. ينفع نتكلم مع بعض حبة؟

أحمد: اووووه.. مستر هوبا!!.. اتفضل طبعاً طبعاً يا دكتور.. ها!!؟ هنثبت مع بعض إيه المرة دي؟؟ لعنة عبد الحميد؟؟

دخل الطبيب الشقة متجاهلاً كل ما تفوه به أحمد متجولاً بعينيه داخل الشقة ليجدها ليست أفضل حالاً من صاحبها.. فقد وجد شخصاً أشبه بالمتسولين بلحيته التي تمادى في إهمالها، وملابسه المتسخة والتي لم تفارق بدنه منذ آخر لقاء بينه رغم الملابس التي مدته بها شقيقته وشعره الذي أصبح أشعثاً.. دخل الطبيب ثم وقف مواجهاً أحمد قبل أن يبدأ بالكلام.

طارق: أنا عديت عليك في البيت ووالدتك هي اللي دلتني على مكانك أنا لقيت وردة يا أحمد.. لقيتها.. قال تلك الكلمات وهو يحاول أن يداري ابتسامة الفرح والنصر من على شفتيه ناظراً إلى مريضه الواقف أمامه.. الذي سمع تلك الكلمات قبل أن ينفجر ضاحكاً بشكل هيستيري:

أحمد: بجد؟؟؟ أفرح بقى ولا أتنطط من الفرحة؟؟ ويا ترى بقى دكتورنا العظيم المرة دي استنتج أن وردة مين؟؟!! الست والدتك؟

طارق: شوف لو قولت قد اللي أنت قولته عشر مرات مش هتعرف تخليني أكرهك أو أشوف أنك حالة ميئوس منها.. لأني في الأول وفي الآخر دكتور نفسي.. بس واضح أنك نسيت ده.

أحمد: آه طبعاً طبعاً.. دكتور نفسي شاطر جداً.. لدرجة أن زمايلك مسمينك هوبا.. تعرف أنت مش دكتور نفسي.. أنت مريض نفسي ومحتاج علاج.. أنت زيي بالظبط إحنا الاتنين متعلقين بحاجات عمرها ما هتبقى لينا.. أنا بأميرة وأنت بالنظرية الهبلة بتاعتك.. بس أنت حالتك أسوأ بكتير.. عارف ليه؟؟ عالأقل أنا متعلق بواحدة كانت ليا في يوم من الأيام.. لكن أنت متعلق بوهم يا دكتور.. خمستاشر سنة متعلق بوهم صدقني انصحك تشوفلك دكتور نفسي شاطر يعالجك.

طارق: جايز يكون كلامك صح أني مريض نفسي كلنا مرضى نفسيين لكن اللي مش صح إني أسوأ منك.. عالأقل ضيعت 15 سنة من عمري عشان أقدر أثبت حاجة.. حتى لو محدش اعترف بيها كفاية اني أثبتها لنفسي.. وده بفضلك أنت بعد ربنا.. وأنت شخصياً هتصدق ده بمجرد ما تعرف مين هي وردة.

أحمد: مش عايز أعرف مين هي زفتة.. ولا يفرق معايا في حاجة ما خلاص.. خلاص يا دكتور بح معدش يفرق شوفلك مريض ولا فار تجارب تثبت نظريتك عليه.. أنا معدش يفرق معايا حاجة بعد ما أميرة راحت.. وخلاص معدش فيه هلاوس ولا أحلام ويومين تلاتة هنسى وهرجع أحسن.. واتفضل من غير مطرود.

قال أحمد تلك الكلمات متجهاً إلى باب الشقة فاتحاً إياه للطبيب معلناً انتهاء المقابلة ونفاذ صبره.. لم يجادله الطبيب ولم يحاوره ولكنه اكتفى بوضع الحقيبة التي يحملها أرضاً قبل أن يخرج من إحدى جيوبه ناقلة للبيانات (فلاشة) ويضعها بجوار الحقيبة قبل أن يتحدث:

طارق: أنا هنزل يا أحمد بس قبل ما انزل حابب اقولك كلمتين.. جايز تكون إنسان أناني مبتفكرش في أي حاجة غير عايز إيه ويهمك إيه لكن لو حاولت تقنع كل الناس انك وحش.. مش هتعرف تقنعني بده.. عارف ليه؟؟ لأني مش بس قربت منك.. لا أنت فتحتلي قلبك وشوفت جواك حاجات جايز تكون أنت ماشوفتهاش في نفسك انا خلصت كلامي يا احمد.. ومش هقولك غير أن وردة اللي أنت ظلمتها وخربت حياتها هي حد قريب أوي منك ولو عرفته هتسيب كل اللي في أيدك وهتصلح حياتها ومش عشان توصل لأميرة.. لا عشان أنت من جواك طيب.. الفلاشة دي فيها ملف باسمك عملته بنفسي النهارده.. وده اللاب بتاعي ومتأكد أنك هتسمعوا.

انصرف الطبيب دون أن يودع مريضه تاركاً كل أماله معلقة على فضول أحمد الذي يعرفه تمام المعرفة ولكن الأكيد أنه الآن يشعر بالراحة فقد أثبت على الأقل لنفسه ولزوجته الراحلة صحة ما قضى عمره في إثباته ولا يفكر فيما سيحدث.. ربما سيتجاهل أحمد ذلك الملف ولن يكلف نفسه حتى بسماعه وربما لن يتجاهله ولكن لن يتخذ ولو مجرد خطوة واحدة في سبيل إصلاح ما أفسده وربما بعد عدة ساعات سيجد أحمد أمامه ولكن لن يبذل أي مجهود ولو مجرد التفكير فيما سيحدث.

أما أحمد فقد جلس أرضاً قانعاً نفسه بأنه لا يبالي بما تركه طبيبه أو بما قاله يحارب نار فضوله ليعرف من هي وردة.. ولكنه بنفس الوقت يسخر من ذلك الفضول ويخشاه وكلما حاربه تستحوذ على عقله فكرة أنه لا بأس بأن يعرف على الأقل من هي وردة التي يدعي الطبيب أنها أقرب الناس إليه أشعل سيجارة أخرى وهو يمسك بحاسوب الطبيب ويبادر بفتحه قبل أن يدخل ناقلة البيانات ويفتحها ليجد ملفاً يحمل اسمه يحتوي على عدة تسجيلات صوتية مرقمة تصاعدياً.

ليضغط على الملف الذي يحمل رقم "1"

ليأتيه صوت دكتور طارق يتحدث مع صوت ذكوري يألفه ويعرفه تمام المعرفة..

طارق:. طب أنت بتقول أنك فعلاً بتحبها ليه ما تلمحلهاش عالأقل بده؟؟

الصوت:. ألمحلها؟؟!! يا دكتور دي مش شايفاني كل تفكيرها معاه بيلبس إيه بيتكلم إزاي بيبص على مين.

طارق:. طب وهو فكرك بيحبها يا حسام؟

حسام: بيحبها؟؟ اللي زي رشدان ده ميعرفش يحب حد غير نفسه عارف يا دكتور أنا آه حكتلك بس ما تتخيلش كان بيعاملها إزاي لما كان مرتبط.. كأنها مش موجودة مكنش شايف غير اللي بيحبها قدامه وكانت دي فرصتي.. حاولت أقرب منها بكل طريقة لكن مكنتش شايفة غيره حتى وهي متأكدة أن قلبه مش معاها.. كانت عاملة زي الوردة الدبلانة معايا.. وأول ما اللي بيحبها سابته ورمته... جرت هي عليه زي المجنونة تطبطب وتداوي.

اتسعت عينا أحمد ذهولاً مما سمعه وبادر بسرعة أكبر إلى الملف "2" ليفتحه ويستمع إلى الحديث بين دكتور طارق وحسام الذي اتضح الآن أنه مجرد مريض من مرضى دكتور طارق:

حسام: أنا مش عارف أخلص من اللي أنا فيه إزاي يا دكتور.. تخيل أن البني آدمة الوحيدة اللي أنت حبتها واتعلقت بيها بتضيع منك قدام عنيك..

طارق: بتضيع إزاي؟

حسام: ولاء صارحتني أنها بتحب رشدان يا دكتور.. تخيل.. كل كلمة كان نفسي اسمعها منها بتقولها فعلاً بس على حد غيري يارتني ما كنت قربت منها ولا اتعلقت بيها.. يا رتني سمعت كلامك يا دكتور..

طارق: ياما قولتلك يا حسام.. أنا فرحت جداً لما قربت من ولاء ورشدان عشان تخرج من الاكتئاب اللي كنت فيه وده حصل فعلاً.. وبرده حذرتك أنك ممكن تتعلق بولاء تعلق مرضي متقدرش تبطله وأنك لازم تبعد عنها شوية بس أنت مسمعتش الكلام.. مفيش حل غير أنك تبعد عنها يا حسام وإلا هتتعب أوي..

حسام: مش قادر يا دكتور مش قادر.. أنا شايف كل حاجة قدامي هي بشوفها في كل البنات بسمع صوتها في وداني وأنا لوحدي.. لما بفرح

بفتكرها وهي بتضحك ولما بزعل بفتكرها وهي زعلانة.

بادر أحمد بالوصول للملف رقم "3" واضعاً يده على رأسه من هول ما سمع...

حسام: شكلها هتحصل يا دكتور شكلها قربت أووووي.. أنا فرحان أوي يا دكتور.

طارق: خير.. فرحني معاك.

حسام: رشدان ارتبط ببنت جديدة وشكلها كده واكلة عقله.

طارق: طب وإيه الجديد؟؟ ما هو ارتبط كتير قبل كده.

حسام: لا المرة دي بجد.. ده ناوي يخطبها وولاء هتبقالي لوحدي.

طارق: طب وده هيفرق إيه يا حسام ما هو كان مع غيرها وهي برده بتفكر فيه.

حسام: لا المرة دي غير بقولك هيخطب.

الملف رقم "4"

حسام: ولاء تعبانة أووي يا دكتور ومش قادر أعملها حاجة حاسس أني عاجز.. على قد ما أنا فرحان أن علاقتها برشدان اتقطعت من بعد ما اتشاكلت مع خطيبته.. على قد ما هي صعبانة عليا.

طارق: مش قولتلي أنك ناوي تروح لرشدان ده.. وتصلح الأمور بينه وبين ولاء؟

حسام: روحتله ويعتبر طردني.

طارق: يااااه للدرجة دي؟

حسام: عادي هو كشخص ميفرقش معايا أنا اللي تفرق معايا ولاء وحاسس أن فرصتي جت.

طارق: وهتقبل وجودك في حياتها كبديل.

حسام: أنا مش بديل هو مجرد وجود رشدان مش مديني فرصة أظهر بس أنا متأكد أني لو أخدت فرصتي هتحبني قده 10 مرات وبعدين أنا أصلاً شايف أنها مبتحبوش هي بس بتهيألها كده.

طارق: طيب هي دلوقتي خسرت رشدان روح وصارحها.

حسام: لا بتهيألي مش على طول كده.

طارق: بالعكس اضرب الحديد وهو سخن.

حسام: على رأيك.. خير البر عاجله.

الملف رقم "5"

طارق: انتهت حالة المريض حسام منتصر بالفشل الذريع زي كل اللي قبله.. وبرغم أنها حالة بعيدة تماماً عن لعنة كيوبيد ولكنها تثبت أن معظم إن لم تكن كل حالات الأمراض النفسية متعلقة بكيوبيد.. حسام جالي وهو مصاب باكتئاب شديد أدى إلى الانعزال عن المجتمع وكانت نصيحتي ليه محاولة تكوين علاقات وبالفعل فرحت جداً لما اتقابل بالصدفة مع ولاء ورشدان بعد ما نزل من العيادة عندي ولكني حذرته من التعلق المرضي بولاء.. وللأسف حبها.. الحقيقة أنا كنت عارف لما نصحته يصارحها أنه هيتصدم وهترفض فكرة الارتباط بيه.. وده لأن اللي متأكد منه إنها بتحب المدعو رشدان بجنون ولكني قصدت أعرضه لصدمة تفوقه وتبعده عنها مضطر.. أحياناً بنحقن نفسنا بالأمراض من أجل اكتساب مناعة منها.. وبرغم رد فعل حسام العدائي تجاهي وقطع العلاقة تماماً بنا ظناً منه أني السبب في ابتعاد ولاء عنه.. لكني مش زعلان وبعتبر فشلي نجاح.

كان معكم.. د/ طارق عبد الحي.

الملف رقم "6 "

فتح أحمد ذلك الملف الصوتي الأخير داخل ناقلة البيانات وهو يشعر بذهول كبير أدى إلى حالة غريبة من السكون والتخدير حلت على جسده وعقله وقلبه ليأتيه صوت دكتور طارق من جديد..

"أحمد.. لو بتسمع التسجيل ده فده معناه أنك سمعت التسجيلات اللي قبل كده.. ومعناه أنك لسه حي من جواك.. حسام منتصر مش صديق ليا حسام كان بيتعالج عندي.. فكر في كمية الصدف والإشارات اللي حصلت.. ظهوري في أحلامك وهلاوسك بشكل كيوبيد.. تعريف حسام ليك خلال فترة علاجه باسم رشدان عمره ما قالي أن اسمك أحمد.. وأنت عمرك ما قولتلي أن اسمك رشدان هتلاقي أن فيها رسالة من كيوبيد إنك تتعب وتعاني عشان تكفر عن ظلمك لوردة.. وكان لازم تعدي بكل ده عشان تعرف أن وردة اللي أنت ظلمتها هي ولاء.. وسواء جتلي تاني أو لا ياريت لما تيجي تسجل اسمك في أي مكان.. أوعى تنسى اسم الشهرة.

الفصل التاسع

وردة

جلس مذهولاً مما سمع تهاجمه الذكريات وتزيل عن بصره غشاء الصداقة الذي ربط بينه وبين ولاء يبحر بقارب ذكرياته ليقف على إحدى الشطئان.

ليتذكر عندما ارتبط ببتول وابتدت العلاقة بينه وبين ولاء في الاضمحلال نتيجة انشغاله بملهاته الجديدة، واستيقظ في صباح إحدى الأيام ليجد رقم ولاء على هاتفه تتصل به وتطلب منه أن تقابله في الكافيتيريا التي اعتادا الجلوس بها لأمر شديد الأهمية لا يحتاج إلى تأجيل.

استغرق الطريق حوالي النصف ساعة قضاها مفكرا.. فهو يعلم فيما ستتحدث ولاء.. عن اهتمامه ببتول وإهماله لها بالفعل وصل إلى المكان ودخل إلى الطاولة حيث تجلس ولاء والعبوس يسيطر على ملامح وجهها والضيق يملئ العينتين الزرقاوتين فيظهرهما كاضطراب الموج

أحمد: إيه يا لولا.. وحشتيني وربنا.

لم تلتفت إليه وظلت أنظارها تطل من النافذة وكأنه لم يدخل أو يجلس حتى بأنه بدأ يشك في تحوله إلى سراب.. وما هي إلا ثوان حتى جاء أحد العاملين بالكافيه يحمل فنجالين من القهوة ليضعهما أمامهما فحولت نظرها إليه قائلة:

. طلبتلك قهوتك عشان تشربها.. وتفوق.. عشان نعرف نتكلم

مسح بيديه خصلات شعره وهو يتذكر ذلك الموقف لاعناً حماقته كيف لم يلحظ اهتمامها به وهي التي تحفظ كل تفاصيله وأدقها عن ظهر قلب

تعلم جيدا أن بدأ يومه دون فنجال القهوة هو أبغض شيء بالنسبة له.. حتى في أشد درجات الغضب.. تحفظ حقوقه.. وتخشى المساس بنظامه أعادت ذاكرته إلى ناظريه باقي ذلك المشهد بعدما فرغ من قهوته وبدأ في توجيه الحديث إليها وكأنه بريء طاهر اليدين..

أحمد: خير يا ولاء؟؟؟ .. سامعك.

الغريب في الأمر أنها ابتسمت.. بل ضحكت..!! نعم ضحكت بما تحمله الكلمة من معنى.. أو بالأحرى.. ضحكت بما تحمله العين من دمعة.. ثم ما لبست أن تمالكت نفسها وعاد الغضب يسري في وجدان ملامحها.. ووجهت حديثها له.. والانفعال يطغاها.

ولاء: أنت إزاي كده؟؟؟.. لا بجد.. جايب البرود ده منين.. بقالي أسبوعين بكلمك ومابتردش عليا.. ولا كأن ليك صاحبة أو حد مهم في حياتك وجاي دلوقتي تقولي خير.. ماكنتش بترد عليا ليه يا أحمد؟؟ أعملك شعري أحمر زي بتول عشان ترد عليا.. ولا أبقى شمال زيها؟؟

أحمد: وطي صوتك يا ولاء.. الناس بتتفرج.

ولاء: لا بجد بتعمل حساب للناس أوي أنت.. أنت لو بتعمل حساب للناس مكنش زمانك رايح جاي مع واحدة أنت أكتر حد عارف بيتقال عليها إيه.. بجد يا خسارة واحدة زي دي سحباك وجراك وراها كده؟

أحمد: احترمي نفسك وإلزمي حدودك في الكلام يا ولاء.

يتذكر كيف نزل رده عليها كالصاعقة وللمرة الأولى بعد أكثر من 3 سنوات مدى صداقتهما في ذلك الوقت يرى دموعها وهي محتبسة بعينيها تلعنه.. نعم تلك الدموع كانت تريد أن تسقط لتلعنه كل دمعة.. ولكنها

رفضت أن تفسح لها المجال.. هل خوفاً على كرامتها.. أم رفضاً للعنه وقامت ولاء منصرفة على الحال.

ما زال يجلس ضارباً أخماس في أسداس كيف لمن كان لا يراها سوى صديقة ورفيقة خلال صداقة دامت ما يقارب الثماني سنوات أن يكتشف اليوم فقط أنها تهواه... ولما لا؟؟!! ألم تصفح له هجره لها خلال فترة ارتباطه ببتول ومع أول محاولة للتودد إليها سامحته على ما اقترف بحقها؟!

كيف لم يلحظ كيف شكلها بكلماته بعدما تقرب منها أكثر فأكثر عقب فشل قصته مع بتول وإصلاحه لعلاقته بها.. لاحظ الآن فقط إنها بدلت من شكل حجابها خصيصاً بعدما علمت أنه يعشق الحجاب بالطريقة الإسبانية، ألم يلحظ كيف داومت على لبس الأحذية ذات الكعب العالي بعدما صرح بعشقه للبنات القادرات على لبسها؟؟ كانت تحاول أن تكون حلمه وأن يراها ولكنه لم يرها.

اكتفى فقط بكلمات غزل.. كان يراها عادية بحق من يراها كشقيقة له ولكنها نسجت من هذه الكلمات خيوطاً من السراب لتعشش بقلبها داخلها حالمة بقصة حب لم تكن يوماً بطلة لها.

سالت الدموع من عينيه يبكي بحرقة وهو يتذكر ردة فعلها عندما اتصل بها ذات صباح طالباً مقابلتها لأمر ذات أهمية قصوى وكالعادة لبت ولاء النداء..

ولاء: ها بقى يا سيدي.. خير عايزني في إيه؟؟

أحمد: أنا شكلي كده وقعت ومحدش سمى عليا.

ولاء: مش فاهمة!!

أحمد: أنا في واحدة شغلاني كده وشكلي بحبها.

ولاء: بتحبها بتحبها يعني؟؟ ولا ناوي تلعب بيها زي كل اللي عرفتهم.

أحمد: لا يا ولاء المرة دي غير كل مرة... المرة دي بجد ومينفعش تكون غير بجد.

ولاء: إشمعنى؟!

أحمد: عشان المرة دي مش مجرد واحدة عجبتني.. فيه حاجات وعلاقات كتير بيني وبينها أهم من الحب.

ولاء: اممم.. طب ماتقولها وتصارحها.

أحمد: المشكلة أن يارا مهمة جداً عند يمنى أختي.

ولاء: يارا مين؟!!!

أحمد: دي يا ستي أختها تبقى صحبة يمنى أختي.. بصي صورتها.. شايفة رقيقة إزاي!!

يتذكر جيداً كيف تمالكت نفسها وهي تنظر إلى صورة من يحب بعدما هيأت نفسها لسماع اسمها.. يتذكر كيف استأذنت للذهاب بعد لحظات معدودة من ذلك الموقف بحجة التأخر عن المنزل.. ولكنها على الأرجح أرادت أن تجهش بالبكاء.. فقد اقترب منها حد الوريد في الشهور الماضية.. وأحست باقتراب ما تمنت.. كم هو مؤلم ذلك الشعور أن تبني قصوراً بخيالك ثم يحولها الواقع إلى أنقاض تبكي على أطلالها ومع كل ذلك كانت هي اليد الوحيدة التي امتدت لتداوي جراحاً خلفتها بديلتها... لم يجد من يحنو عليه غيرها.. لم يجد سواها ليبكي ويعري ضعفه أمامها بعدما تخلت عنه يارا... داوت جروحاً لم تكن سبباً فيها بل على النقيض كانت أول من اكتوى بها.. نعم فولاء هي التي لم تكل ولم تمل حتى أخرجته من آثار تلك الصدمة وأعادته إلى الحياة وبهجتها.

يتذكر كيف كان يتحدث إليها في منتصف الليل ليبكي، نعم يبكي فراق أنثى غيرها كالطفل وبعدما أخرجته من كل ذلك.. يأتيها ببشارة وأي بشارة فها هو يستعد لخطبة أميرة.. ها هو يستعد لقتلها بسكينٍ تلم بعدما

حاول قتلها مرتين.. تماماً كما اتهمه كيوبيد. ولم يكن بمقدورها كتمان مشاعرها ولا البوح بها.. فلم تستطع سوى إبراز غيرتها على هيئة انفجار.. ولكنه كالعادة لم يشعر بها.

نعم غارت من أميرة تلك الأنثى التي عرفته فقط منذ بضعة أيام واستطاعت أن تقتلع قلباً حاولت هي الزفر به في سنوات ولكنها فشلت. بالتأكيد تساءلت مراراً كيف استطاعت أميرة أن تستحوذ على عقله وقلبه ولسانه.. كيف استطاعت أن تجعله كفيفاً لا يرى أنثى خلقت سواها.. غارت من كل ذلك ولم تستطع أن تكتم غيرتها ألم تستحق ولاء منه التقدير والصبر.. ألم تستحق منه على الأقل البُعد باحترام دون أي جرح أو إهانة.. ولكن شخص أناني مثله لا يرى سوى نفسه ولا يفكر سوى فيما يخصه.. يتذكر أخر مشهد جمعه بها.. يتذكر كيف تخلص منها دون أدنى مجهود وكأنها عبئاً على روحه.

حدث ذلك عندما أقامت له أميرة حفلا للاحتفال بعيد مولده قبل السابق عندما أتم الثلاثة والعشرين عاماً.. كانا في ذلك الوقت يستعدان لحفل خطبتهما الذي لم يتبق عليه سوى ما يقل عن شهرين أعدت أميرة حفلا صغيرا لم تدعو إليه سوى حسام صديق أحمد بالإضافة إلى ولاء التي دعتها أميرة رغماً عنها.. فقد كانت أواصر الكره ممتدة بينهما منذ اللحظة الأولى.. وذلك لشعور أميرة المستمر بالغيرة على أحمد منها.

حضر أحمد إلى الكافيتيريا ليجد ثلاثتهم بانتظاره.. كان كل شيء على ما يرام.. حتى بدأت ولاء كعادتها في سرد مواقفها وذكرياتها مع أحمد وذلك ما كان يشعل نيران الغيرة بفؤاد أميرة خصوصاً عندما قالت ولاء وهي توجه حديثها لأميرة:

"عارفة يا أميرة كل حبة حمادة كان يرتبط بواحدة يومين وبتاخد زهوتها.. ويلف يلف ويعرف أن مفيش حد زيي.. فيسيبها ويرجع.. ويا سلام بقى لو واحدة من اللي عرفهم فكرت ولو لحظة إنها تقارن نفسها بيا

عنده.. تطلع خسرانة على طول يرميها من غير ما يفكر ويجيلي.. عشان كل البنات عند حمودي كوم.. وأنا كوم تاني."

فلم تحتمل أميرة ذلك فثارت قائلة:

"خلاص يا ولاء عرفنا أنكم صحاب وقريبين من بعض.. بس خدي بالك هو كان بيعمل كده عشان البنات اللي كان يعرفهم وقتها ما يستحقوش.. ولو كانوا يستحقوا مكنش هيعمل كده.. وعلى فكرة اسمه أحمد.. عشان أنا بس اللي بقوله يا حمودي."

قالت أميرة تلك الكلمات والغضب ينهش ملامحها قبل أن تضع يدها فوق يد أحمد أمام ولاء وكأنها توضح لها أنه يخصها وحدها فقط.. ولكن ولاء لم تصمت فتحدثت قائلة:

"من ناحية قريبين.. فإحنا قريبين وأوي كمان.. وبعدين ما تتعصبيش أوي كده الغيرة طالعة من عنيكي.. خليكي واثقة في نفسك حبة".

حاول أحمد وبصحبته حسام أن يهدئا من شدة الحديث ويغيرا مجرى الحوار ولكن الأوان قد فات فقد ثارت أميرة قائلة:

"والله أنا واثقة من نفسي كويس أوي.. ويوم ما أغير مش هغير من واحدة عمالة تلزق نفسها في واحد خاطب"

هنا أيقن أحمد أنه أفلت زمام الأمور فنظر إلى أميرة نظرة غضب وهم أن يتحدث.. إلا أن ولاء قد قالت ما غير دفة الأمور تماماً عندما وجهت حديثها إلى أحمد قائلة:

"ميرسي أوي يا أحمد.. بعد عِشرة سبع سنين تيجي واحدة ماتسواش زي دي وتقولي كده".

همت أميرة أن ترد ولكن إشارة واحدة من أحمد كانت كفيلة بمنعها من الحديث خصوصا وهي ترى الغضب قد تمكن منه قبل أن يقول:

. مبدئياً يا ولاء.. ماسمحلكيش تقولي على أميرة كده.. دي خطيبتي ياولاء.. يعني كرامتها من كرامتي.. ويارِيت تفهمي أنها مش مجرد واحدة أعرفها ضايقتك فهسيبها.. وبعدين أنا حذرتك قبل كده أن طريقتك دي بتضايقها.. وأنتي مفيش فايدة برده.

هنا نظرت إليه ولاء والذهول والصدمة يسيطرا على ملامحها.. والدموع قد عرفت طريقها إلى عينيها الزرقاء.. فاحتبستا بداخلهما.. في محاولة منها لحفظ ما تبقى لها من كرامة.. ثم قالت:

"عندك حق يا أحمد.. أنا فعلاً غلطانة.. عالعموم أوعدك إني هخرج من حياتك خالص عشان ترتاح من قرفي ما أنا خلاص بقى دلوقت معدليش لازمة".

قالت تلك الكلمات غير منتظرة لرد.. وانصرفت.. هنا وقف حسام مستأذناً للانصراف ليلحق بها.

ومنذ هذا اليوم اختفت ولاء أو وردة بمعنى أدق تماماً ولم يكلف أحمد نفسه حتى بمحاولة الوصول إليها.. لم يكن يعلم أن لهذا القلب البريء الذي اعتدى عليه بل وأذاقه العذاب بكل ألوانه ثأراً ستثأر له الأيام يوماً.

الفصل العاشر

وتبدلت الأدوار

مضى ما يقرب من ساعتين منذ أن ترك الطبيب الاختيار لأحمد وراهن على فضوله.. والآن هاهو يجلس على مكتبه مستمتعاً بكوب من الشاي الممزوج بالنعناع الطازج يزفر هم الشهر المنقضي والذي شعر بأنه قد تخلص منه بمجرد الوصول إلى وردة وإيضاح ما كان يجب عليه إيضاحه إلى أحمد ما زال يجلس مستمعاً وهو يدندن مع أنغام أم كلثوم "أمل حياتي" قبل أن يقطع انسجامه صوت جرس الباب.. وبرغم أن قلبه يعلم تمام المعرفة من يقف وراء باب شقته.. ولكنه لم يستطع إخفاء علامات الدهشة والذهول عندما وجد أحمد واقفاً أمامه بلحية مهذبة، ممتاز الهندام.. يبدو كمن أعادت إليه الحياة بريقها تفوح منه أجمل رائحة عطر استنشقها الطبيب بحياته، قبل أن يضع الحاسوب على إحدى الطاولات ويدخل إلى غرفة الاستقبال ويجلس على إحدى الأرائك.. ليغلق الطبيب الباب ويجلس أمامه.

طارق: كنت متأكد أنك هتسمع اللي سبتهولك وهتجيلي.

أحمد: عمري ما كنت أتوقع أن ولاء تكون بتحبني.

طارق: ساعات يا أحمد ناس كتير بتبقى جنبنا وحوالينا روحهم متعلقة بروحنا وإحنا مش حاسين وبدل ما نصحح مشاعرهم.. بنعلقهم بينا أكتر بكلام ممكن يكون على سبيل المجاملة.

أحمد: فعلاً كلامك صح يا دكتور.. بس أنا مش هاممني اللي فات أنا عايز أكفر عن ذنبي بأي شكل.

طارق: حتى لو قولتلك أن أميرة ممكن مترجعلكش؟

أحمد: أنا اكتشفت النهارده قد إيه كنت أناني مبشوفش غير نفسي.. أنا جايلك دلوقتي عشان أصلح حاجة غلط أنا عملتها أنا مش بس جرحت ولاء أنا كمان فرقت بينها وبين أكتر شخص بيحبها ويقدر يسعدها ولازم أصلح ده مهما كان التمن.. أما أميرة فأنا غلطت وضيعتها من إيدي واستاهل أي عقاب يحصلي.. ولو ربنا كتبهالي هترجعلي.

طارق: مش قولتلك أنت من جواك نضيف يا أحمد؟

أحمد: في حاجة كمان يا دكتور لازم تحصل.. النظرية بتاعتك.. أنا موافق إني أكون أول حالة اتعالجت من لعنة كيوبيد وهكتبلك إقرار بده.

طارق: بس أنت أميرة مرجعتلكش يا أحمد.

أحمد: بس رجعت إنسان بحس يا دكتور.. وده الأهم.. أميرة كانت معايا لما كنت بني آدم وسابتني لما أتغيرت وبقيت ملامح وبس.. كان لازم أفهم إني لازم أرجع بني آدم الأول قبل ما أفكر في أميرة وأنت نجحت في ده وقف كلاهما محتضناً الآخر معلنا عودة عهد الصداقة بينهما قبل أن يتحدث أحمد مجدداً:

. فكك من الصعبانيات دي بقى.. قولي هنجمع بين ولاء وحسام إزاي؟

طارق: سيب الموضوع ده عليا بس قولي هي ولاء اسمها بالكامل إيه.

أحمد: ولاء علاء الدين رضوان.

أمسك الطبيب هاتفه ضاغطاً على زر الاتصال وسط انتظار وترقب أحمد قبل أن يبدأ الطبيب بالحديث.

طارق: آلو.. سلام عليكم إزيك يا حسام.. معلش أنا عارف إنك بتضايق لما بتسمع صوتي بس حصلت حاجة مهمة لازم تعرفها.. لأ خير إن شاء الله.. بس فيه مريضة جت النهارده أعتقد أمرها يهمك.. اسمها؟؟... ولاء علاء الدين رضوان.. أيوه زي ما بقولك كده.. تعالالي حالاً أنا مستنيك في العيادة الجديدة.

أحمد: يخرب عقلك يا دكتور.. وهتعمل إيه لما يجي.. ده غبي وهيقلب الدنيا.

طارق: متقلقش سيب الموضوع ده عليا المهم خش أنت جوه الأوضة ومتخرجش غير لما أقول يا جزر.

أحمد: جزر إيه بس ده شغل قديم أوي.. أقولك كح جامد أول ما تحتاجني أخرج عشان أفهم.

طارق: يا سلام؟؟!! يعني ده اللي شغل جديد.. طب افرض شرقت؟

أحمد: ماحبكش تشرق دلوقت يعني يا دكتور.. طيب بص أول ما تحتاجني قول وردة في جملة مفيدة.

طارق: حلو جداً اتفقنا يلا خش.

لحظات مرت قبل أن يعلن صوت الجرس عن وصول حسام متلهفاً فتح له الطبيب باب الشقة وأدخله إلى غرفة الاستقبال..

حسام: ولاء جتلك إمتى يا دكتور وليه؟؟! هي كويسة؟!

طارق: الأول جاوبني.. أنت لسه بتحبها؟

حسام: وهو أنا لو مبحبهاش يا دكتور كان إيه جبني على ملى وشي..

طارق: تمام متقلقش.. ده مجرد اكتئاب بسيط ومعتقدش إنها هتجيلي تاني تعمل إيه في اللي يخليك توصل لقلبها؟

حسام: بقولك إيه وحياة أبوك مش ناقصة لعب عيال.

طارق: تمام خلاص أسف أني كلمتك.

حسام: أوصلها إزاي؟

طارق: لا أصل أنت مش هتصدق ومش هتوافق.. فمالوش لازمة.

حسام: لا قول بس فهمني.

طارق: مش أحياناً بنحقن نفسنا بالمرض عشان ناخد وقاية منه؟

حسام: مش فاهم؟!!

طارق: يعني أنت اللي ضيع منك ولاء هو رشدان.. والوحيد اللي ممكن يرجعهالك برده هو رشدان.

حسام: أنت بتقول إيه يا دكتور.. أنت في حاجة في مخك؟

طارق: خلاص.. متزعلش نفسك أوي كده خليها في اكتئابها وعلى فكرة ممكن حالتها تتفاقم وتنتحر.

حسام: أنت بتقول إيه؟؟؟!

طارق: وساعتها هيبقى ذنبها في رقبتك على فكرة.

حسام: وسي زفت ده هيساعدني إزاي بقى إن شاء الله.

طارق: الأول توعدني.. إنك لو فعلاً وصلت لقلبها ماتقولهاش أي حاجة.

حسام: طبعاً أوعدك.. قولي إزاي بقى؟!

طارق: أحمد عشرته بولاء تعدي السبع سنين.. يعني أكيد يعرف يخليك تكسب قلبها بكل الطرق.. يعرف بتحب إيه ومابتحبش ويساعدك توصل لقلبها يا حسام.

حسام: هههههههه!!! وأنت فكرك بني آدم زي ده ممكن يساعد حد؟! تبقى لسه متعرفش رشدان.. ده أناني وحقير ومابيفكرش إلا في نفسه وبس.

طارق: صدقني أحمد اتغير وهيرحب جداً بده.. وردة غيرت فيه حاجات كتير...

وفور نطق الطبيب لاسم وردة خرج أحمد ليقف خلف حسام مباشرةً ليتحدث إليه قائلا:

. كل كلمة أنت قولتها عني صح يا حسام.. بس صدقني زي ما دكتور طارق قال بالظبط أنا فعلاً اتغيرت وهساعدك.

***

جلست ولاء علاء الدين الموظفة بإحدى البنوك على مكتبها تتناول قهوتها في صباح أول يوم من شهر فبراير تتجاذب أطراف الحديث اليومي مع زملائها وزميلاتها بقسم الائتمان قبل أن يدخل أحد السعاة ممسكاً ببوكيه ورد أبيض واضعاً إياه على مكتبها قائلاً:

. الورد ده عشانك يا أستاذة ولاء

انصرف الساعي وأمسكت ولاء بالبوكيه وسط غمزات من زملائها وزميلاتها ولكنها كانت منفصلة تماماً عن العالم.. فها هو الورد الأبيض الذي تعشقه حد الجنون وبرغم أن هذا التوقيت من العام لا يشهد ظهور الورود بهذا التفتح والنضارة إلا أن أحدهم قد استطاع أن يصل لهذه المجموعة من الورود ويهديها إياها انتقلت بأعينها لتجد رسالة معلقة على هذا البوكيه لتقرأ بعينيها ما عليها..

إلى من أعشقها حد الجنون.. وأراها ملئ العيون.. أنتي أيتها الفاتنة التي اعتليتي عرش قلبي.. وتساءل عقلي من تكون.. إليكي الورود يا أحلى وردة..

إمضاء/ مجنون ولاء

انتهت من قراءة هذه الرسالة بعينيها وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة فرحة كبيرة ظلت طوال اليوم تنظر إلى تلك الورود متخيلة مرسلها مفكرة في هويته.. وما أثار دهشتها وصول بوكيه آخر من تلك

الورود بنفس ميعاد وصولها إلى منزلها لتستلمه بنفسها وتجد عليه من كلمات الغزل ما أذاب روحها محملاً بنفس التوقيع.. "مجنون ولاء".

أما ثاني الأيام في فبراير فقد دخلت إلى مكتبها لتجد قرصاً مرناً.. ليخبرها زملاؤها أن أحدهم قد تركه إلى الساعي مرة أخرى.. لتجده قد كُتب عليه.. "مجنون ولاء".

أسرعت إلى حاسوبها لتفتح ذلك القرص.. لتجد عليه تشكيلة كبيرة لجميع أغاني واستعراضات ثلاثي أضواء المسرح التي تعشقهم حد الجنون فاتسعت شفتاها لتعلن عن ابتسامة سعادة وبهجة.. لم تشعر بهما منذ فترة بعيدة.. إذن فمن ذا الذي يعلم ما تعشقه ويهتم بها إلى هذه الدرجة.. من ذلك العاشق الولهان.. وما شكله.. وأن كان فعلاً لا يهمها شكله.. يكفي أنه يهتم بمثل هذه التفاصيل ويغذيها.. هل هو الفارس الذي سيختطفها على حصانه الأبيض من وسط حزنٍ أحاط بفؤادها.. تستمع بأذانها إلى دقات من قلبها تعرفها تمام المعرفة.. ولكنها تكذبها تريد أن تقاومها بكل السبل.. أرادت أن تزيح عن عقلها كل ذلك.. ففتحت حسابها على موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك.. لتجد طلباً للمراسلة من شخص يحمل اسم.. "مجنون ولاء".

حاولت أن ترفض ذلك الطلب بكل السبل ولكنها لم تستطع فقبلته لتبدأ بالإرسال إليه..

مين؟؟.

ليأتي إليها الرد سريعا ودون أي تفكير..

بصي من شباك مكتبك

انتفضت من على مقعد مكتبها لتنظر من النافذة.. لتجد ما أبكى عيناها فرحاً وذهولاً.. فقد وجدت صفاً كاملاً من "البالون شو" يحمل نفس اللافتة

"والله بحبك يا ولاء"

إمضاء/ مجنون ولاء

استمر الحال على هذا المنوال لليوم الثالث على التوالي فتارة تجد بوكيه آخر من الورد الأبيض وتارة تجد جواباً غرامياً يحمل من كلمات الغزل ما يحمل وتارة أخرى قصائد لنزار الذي تعشقه جداً حتى أتت اللحظة التي انكشفت فيها عباءة ذلك المُتيم الذي يطاردها حينما دخل أحد السعاة يحمل ملفاً يقدمه إلى ولاء قائلاً:

. فيه أستاذ بره إداني الملف ده وقالي أدهولك تناقشيه حالاً يا أستاذة نظرت داخل الملف لتجد ورقة تحتوي على كلمة واحدة.

تتجوزيني؟؟

انتفضت من مكتبها باحثة عن ذلك الرجل وهي متأكدة أنها ستخرج لتجده قد رحل.. خرجت من قسم الائتمان لتجد رجلاً يرتدي حُلة كحلية اللون حاملاً بين يديه بوكيه آخر من الورود البيضاء ليكرر نفس الطلب..

. تتجوزيني يا ولاء؟!

ساد الذهول وسيطر على ملامحها وهي تنظر إلى "مجنون ولاء" أو بالأحرى إلى حسام.

***

محكمة..

فتح عيناه عند سماعه تلك الكلمات تصفع بأذانه من جديد ليجد نفسه بقاعة المحكمة المضاءة بالكامل.. وليجد كيوبيد واقفاً على منصته يبتسم إليه للمرة الأولى ابتسامة رضا.. قبل أن يُفتح قفصه.. خرج من قفصه مدققاً بملامح الحاضرين المتحجرة قبل أن يسمع صوت صرير صادر من فتح باب القاعة.. اقترب من ذلك الباب بخطى سريعة ليجد

نوراً يشع من خارجه خرج من باب القاعة والفرحة تملأ صدره قبل أن يوقفه ذلك الصوت الصارخ المستنجد به من داخل القاعة.. "الحقني يا أحمد.."

نعم إنه صوت أميرة.

فتح عيناه ليجد نفسه على سريره.. اليوم هو 14 فبراير لعام 2017 وهو يوم خطبة ولاء وحسام وربما ذلك هو التفسير الأنسب للحلم الذي رآه منذ قليل لم يطل التفكير بذلك ولكنه نظر إلى ساعته ليجدها تشير إلى العاشرة صباحاً فاستعد بأقصى سرعة لديه وهبط من منزله مودعاً والدته متجهاً إلى محله ليبدأ نشاط يومه.

مضت الساعات كسابق الأيام دون أي تغير وبينما يجلس يشاهد إحدى الأفلام على التلفاز أصدر هاتفه رنيناً فأخرجه من جيب معطفه مستعداً للرد على دكتور طارق في الأغلب أو ربما والدته.. نظر إلى شاشة هاتفه والصدمة تمتلكه.. فقد ظهر اسم أميرة.

أحمد: ألو أميرة.. أنتي كويسة؟؟

أميرة: لا مش كويسة وعمري ما هكون كويسة من غيرك يا أحمد رغم أنك خاين.. بس مش قادرة أكون لحد غيرك.. أنا سبت حازم

أحمد: أنا عمري ما خنتك يا أميرة والله عمري ما خنتك.. أنا بحبك.

أميرة: طب ويارا؟؟! أنا شوفتك في حضنها في المستشفى.

أحمد: يا عبيطة أنتي فهمتي إيه... يارا كانت تعبانة وبتموت وكان لازم أروحلها.

أميرة: يا سلام؟؟! يعني مفيش بينكم حاجة؟

أحمد: طب ولو فيه بنا حاجة كنت هحاول أرجعلك قبلها بيوم ليه؟! طب ما خطبتهاش ليه لحد دلوقت؟

أغلق معها الخط وهو يرى الدنيا ترقص أمامه يرى الناس في الشوارع يبتسمون لا يتذكر لحظة حزن واحدة بل البهجة التي بداخله كافية بأن يسعد العالم بأسره.

أراد أن يخبرها بكل شيء قد مر به وعن دكتور طارق.. ولعنة كيوبيد وكل شيء.. ولكن لم يستطع ففضل أن يداري عنها كل ذلك أنهى مكالمته معها بعدما حددا موعداً لالتقاء الأهلين.. ومرت الأيام واتفقا على موعد للزفاف بداية شهر يوليو من نفس العام.

ولكن ما أحزن أحمد هو فراق دكتور طارق.. الذي سافر بحثاً وراء إثبات نظريته دولياً والذي وعده بزيارة حتمية عقب عودته إلى مصر خصوصاً أنه يود كثيراً أن يتعرف على أميرة.. تلك الفاتنة التي استطاعت أن توقف جبروت قلب كقلب أحمد.

***

بعد مرور ثلاث سنوات..

اليوم هو يوم الخميس... يجلس دكتور طارق بمكتبه في مركز الهدى.. أكبر مراكز الجمهورية في علاج الأمراض النفسية ولعنة كيوبيد بعيادته القديمة بشارع شبين.. وقد أطلق هذا الاسم عليه نسبةً إلى زوجته الراحلة وشريكة دربه بعدما استطاع إثبات صحة نظريته سنداً إلى أكثر من حالة عملية كان أحمد رشدان أولها، استمر خارج البلاد ما يقرب من سنتين قبل أن يعود إلى تلك العيادة القديمة ويجعلها على أهبة الاستعداد، حاول كثيراً التواصل مع أحمد ولكن دون جدوى فالانشغال بعيادته الجديدة قد حرمه من ذلك خصوصاً مع زيادة عدد المرضى، ولكنه قد نمى إلى علمه بمحض الصدفة أن أحمد قد رُزق بتوأم من الذكور وقد أطلق عليهما " يوسف وطارق".

خصص دكتور طارق يومي الأربعاء والخميس لمرضى لعنة كيوبيد بينما يحصل يوم الجمعة على أجازته الأسبوعية.

تقترب عقارب الساعة من الحادية عشر ونصف وقد تمكن الإجهاد منه شر تمكن فضغط بيديه على زر بالهاتف الداخلي للعيادة مخاطباً سناء الممرضة.

طارق:. لسه في حد يا سناء أنا خلاص معنتش قادر.

سناء:. معدش فيه إلا واحدة بس يا دكتور هجبلك ملفها حالاً.

طارق:. لا سيبي ملفها بعدين أنتي عارفة إني بحب أتعرف عالمريض

بنفسي.. دخليها.

دخلت فتاة في منتصف العشرينيات يبدو على مظهرها الترف.. قبل أن تجلس وتشعل سيجارة وتتحدث..

"أنا متأكدة إني مصابة بلعنة كيوبيد.. أنا وجوزي كنا كويسين أوي مع بعض.. فجأة حسيت إني أتغيرت ناحيته.. رغم أنه بيحبني أووي لكن معرفش ليه اتغيرت..

أنا اسمي أميرة على صديق.. "